

دراسة في الأديان

المسيح

فصائد العقائد المسيحية

خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب

مهندس

أحمد عبد الوفاة

الناشر: مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية، طابدين

تليفون ٣٩١٧٤٧٠



للطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يعتبر هذا الكتاب واحدا من بين الكتب التي تشرفت بالكتابة عن المسيح ، سبقه الآلاف والآلاف وسوف يتبعه ما شاء الله من آلاف .

وهو رؤية للمسيح لا زيف فيها ، وتقرير حق يشهد الكاتب على خلاصة القول فيه ، شهادة يقين .

★

ولما كانت هذه الدراسة تقوم أساسا على رؤية المسيح كما تتضح من مصادر العقائد المسيحية ، فإن المنطق يقتضينا أن نركز على دراسة تلك المصادر بالقدر الذي يكفي ويلزم لدراسة المسيح .

★

إن هذا الكتاب يعتبر — في جملته — تأليفا بين ما انتهت إليه أغلب الدراسات والأبحاث لمجموعة متميزة من علماء المسيحية تم عرضها بالقدر الذي يسمح بتوضيح الحقيقة لفئات شتى من القراء ، تختلف ثقافتهم كما تختلف حصيلتهم العلمية ، فقد يكون فيهم العالم المدقق كما يكون منهم القارئ العادي ، ومن أجل هذا الأخير بذلت كثير من الجهود .

ولقد يكون من القراء من لم تتح له الفرصة من قبل ليتعرف على الكتاب المقدس ، ولذلك تعذر الأكتفاء بالإشارة إلى مواقع النصوص بذكر أسماء الأسفار وأرقام الاصحاحات وأعدادها — كما جرت العادة في مثل هذه الدراسة — ولكن رؤى من الأفضل ذكر النصوص المطلوبة مع شيء من التفسير ، كما كان ذلك ضروريا .

ونظراً لأهمية بعض النصوص المقتبسة من مختلف المراجع ، فقد رؤى كذلك أن تذييل بها بعض الصفحات في لغتها الإنجليزية التي نقلت عنها ، لما في ذلك من فائدة يدرکها الكثيرون .

ومن المؤكد أن الدراسات الدينية تأتي على رأس قائمة الأبحاث التي يجب أن تقوم على التوثيق والأصالة ، حيث يستحيل قبول قول يلقى جزافاً دون سند أو دليل . ولقد كان هذا هو السبب الرئيسي في كثرة الشهادات المقتبسة من أقوال علماء المسيحية في كل موضوع تطرق إليه البحث او جاءت له إشارة في هذا الكتاب .

وعلى القارئ أن يميز بين أقوال المؤلف وأقوال المصادر التي ينقل عنها وذلك سهل ميسور حيث وضعت الفقرات المقتبسة بين علامات الترقيم التي أشير عند نهايتها بعدد يعطى بيانات مصدرها .

ويمكن القول بأن كل باب من أبواب هذا الكتاب الأربعة - بل كل فصل من فصوله الأثني عشر - يعتبر بحثاً مستقلاً يستطيع أن يقوم بذاته ليعطى القدر الضروري والكافي لما يمكن أن يقال في موضوعه ، ثم تجتمع الفصول والأبواب معا ليكمل بعضها البعض في تألف وانفاق وطيد الدعائم ثابت الأركان ، يحدثنا حديث صدق عن حقيقة ما كان من أمر المسيح ومصادر العقائد المسيحية ، وما شاع في القرنين الأول والثاني من أفكار ومعتقدات شكلت العقائد المسيحية المختلفة ووضعت بذور الشقاق العقائدي فيما تلاها من قرون .

★

وإذا كان هناك ما أرجوه فهو أن يرى المستبصرون في هذا الكتاب دليل صدق يسير بهم نحو الله .

أحمد عبد الوهاب

كلمة عن المراجع :

المراجع الرئيسية

يشتمل الملحق المذكور في نهاية هذا الكتاب على قائمة بالمراجع الرئيسية ، التي تعطى لكل منها رقما مسلسلا يستخدم عند الاشارة إليه في ثنايا الكتاب .

وقد رؤى من الأفضل أن نورد هنا تعريفا مبسطا بأغلب تلك المراجع حتى يكون القارئ على بينة من أمرها .

★ ★

١ - المراجع رقم (١) : الكتاب المقدس :

- وقد جرى استخدام ترجمته العربية الحديثة التي يشار إليها باسم « نسخة «بروتستانت» ، كذلك استخدمت ترجمته الإنجليزية المناظرة التي تعرف باسم «النسخة المعتمدة (A.V.) Authorised Version» أو نسخة الملك جيمس التي نشرت عام ١٦١١

ومن المعلوم أن هناك تراجم إنجليزية أخرى مختلفة من أهمها :

- «النسخة المراجعة - (R.V.) Revised Version» : وقد نشرت عام ١٨٨٥ بعد مجهودات استغرقت نحو خمسة عشر عاما ، وشارك فيها المتخصصون من العلماء والهيئات العالمية .

- «النسخة القياسية الأمريكية - (A.S.V.) American Standard Version» بعد ظهور النسخة المراجعة عام ١٨٨٥ ، فان لجنة المراجعة الأمريكية استمرت تعمل ببقية الحصول على ترجمة أفضل ، وكان من نتاج ذلك أن ظهرت تلك النسخة عام ١٩٠١ .

- «النسخة القياسية المراجعة - (R.S.V.) Revised Standard Version» :

لقد أقر المجلس العالمي للتعليم الديني - الذي يمثل الكنائس في الولايات

المتحدة وكندا — النسخة القياسية الأمريكية ، لكنه شكل لجنة مراجعة عام ١٩٣٧ تأخذ في اعتبارها جميع العوامل التي تمكن من الحصول على نصوص أفضل مما في التراجم السابقة .

ونتيجة لذلك ظهرت النسخة القياسية المراجعة من الكتاب المقدس عام ١٩٥٢ وقد اعتمدها مجلس الكنائس العالمي .

هذا — وتختلف هذه التراجم فيما بينها اختلافا كبيرا ، لا يقتصر فقط على تغيير الألفاظ الحاكمة ، ولكنه يتعدى ذلك إلى النصوص ذاتها ، حيث أن بعض التراجم الحديثة تسقط بعض النصوص التي ذكرت في تراجم سابقة ، وسوف نرى أمثلة لذلك فيما بعد .

★

٢- المرجع رقم (٤) :

— الكتاب : الأناجيل ، أصلها وتطورها .

— المؤلف : (دكتور) فريدريك كلفتن جرانث .

أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت
الاتحادي بنيويورك .

★

٣ - المرجع رقم (٥) :

— الكتاب : كتابات مقدسة .

— المؤلف : جنر لانسر كوفسكي .

أخصائي في تاريخ العقائد بجامعة هيدلبرج الألمانية — نشر هذا الكتاب
في عام ١٩٥٦ ثم ظهرت ترجمته الإنجليزية في عام ١٩٦١ .

★

٤ - المرجع رقم (٦) :

- الكتاب . تفسير إنجيل مرقس .

- المؤلف : دنيس إريك نينهام .

أستاذ اللاهوت بجامعة لندن - ورئيس تحرير سلسلة « بليكان »
لتفسير الإنجيل .

★

٥ - المرجع رقم (٧) :

- الكتاب . تفسير إنجيل متى .

- المؤلف : جون فنتون .

عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا .

★

٦ - المرجع رقم (٨) :

- الكتاب : تفسير إنجيل لوقا .

- المؤلف : (دكتور) جورج بردفورد كيرد .

عمل أستاذا لدراسات العهد الجديد بجامعة مكجيل بكندا ثم عميدا لكلية
اللاهوت المتحدة - وكذلك عمل أستاذا بجامعة أوكسفورد ورئيسا للجمعية
الكندية لدراسة الكتاب المقدس .

★

٧ - المرجع رقم (٩) :

- الكتاب : . . . حسب الكتب .

- المؤلف : (دكتور) تشارلز هارولد دود .

عمل أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس بجامعة مانشستر ومديراً عاماً للجنة الترجمة الحديثة للكتاب المقدس - وهو زميل بالأكاديمية البريطانية و زميل شرف بجامعة أوكسفورد وكبريدج . ويمثل هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها في كلية اللاهوت بجامعة برنستون .

★

٨ - المرجع رقم (١٠) :

- الكتاب : أمثال الملكوت .

- المؤلف . (دكتور) تشارلز هارولد دود .

يمثل هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقاها في مدرسة اللاهوت بجامعة ييل .

★

٩ - المرجع رقم (١٣) :

- الكتاب : تاريخ العقيدة .

- المؤلف : (دكتور) أدولف هرنك .

أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ويعتبر واحداً من أكبر العلماء في التاريخ الكنسى - له أبحاث ومؤلفات عديدة من أهمها هذا الكتاب الذى يقع فى سبعة أجزاء - وقد ظهرت طبعته الثالثة الألمانية عام ١٨٩٣ ثم نقل عنها إلى الإنجليزية عام ١٩٠٠ .

★

١٠ - المرجع رقم (١٥) :

- الكتاب : اعتراضات على العقيدة المسيحية .

-- المؤلفون : ماكينون ، وفيدلر ، وويليامز ، وبزنت .

يشتمل هذا الكتاب على أربعة محاضرات ألقاها بكلية اللاهوت بجامعة كمبردج أربعة من أعضاء تلك الكلية .

وما أن ظهرت طبعته الأولى في أبريل ١٩٦٣ حتى تلقفه الأيدي ولذلك صدرت منه ثلاث طبعات في نفس الشهر .

وتقول مقدمة هذا الكتاب :

« إن هذا عصر أصبحت فيه أساسيات العقيدة المسيحية موضع ارتياب ، وإن الدعاوى التي تقوم ضد المسيحية لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة أو تلك التبريرات الواهية » .

الباب الأول

مصادر العقائد المسيحية

● العهد الجديد

● الأناجيل

الفصل الأول

العهد الجديد

مقدمة :

يتكون « الكتاب المقدس » اللين نجه بين أيدنا اليوم من جزئين رئيسين هما « العهد القديم » و « العهد الجديد » .

« ويتكون العهد القديم - حسب عقيدة البروتستانت - من ٣٩ سفرا بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا (الأسفار المحذوفة) ، على حين تضيف الطوائف (المسيحية) الأخرى مثل الكاثوليك والإنجيليين والكنائس الأرثوذكسية تلك الأسفار المحذوفة - وعددها ١٤ سفرا - إلى أسفار العهد القديم وبذلك يصبح مجموع أسفاره ٥٣ سفرا ..

ويتكون العهد القديم (بدورد) من ثلاثة أجزاء (فرعية) هي :

١ - الناموس - وهو يتكون من أسفار التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية (وهذه الأسفار تنسب إلى موسى وتعرف بالتوراة) .

٢ - الأنبياء - وهو يتقسم إلى جزئين :

(أ) الأنبياء السابقين ، ويتكون من أسفار : يشوع - القضاة - صموئيل (الأول والثاني) - الملوك (الأول والثاني) .

(ب) الأنبياء المتأخرين ، ويتكون من أسفار : أشعيا - أرميا - حزقيال - الاثني عشر نبيا الأصاغر (هوشع - يوثيل - عاموس -

عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفييا - حجى -
زكريا - ملاخى) .

٣ - الكتب - وهى تتكون من أسفار :

(أ) المزامير - الأمثال - أيوب .

(ب) راعوث - نشيد الأنشاد - الجامعة - مرثى أرمياء - استير .

(ج) دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام (الأول والثانى) .

وقد اكتسبت كل من الأجزاء الثلاثة الرئيسية للعهد القديم صبغتها
القانونية على مدى قرون طويلة بيانها كالآتى :

اكتمل الناموس شرعيته حوالى عام ٤٠٠ ق . م - والأنبياء حوالى
عام ٢٠٠ ق . م - وأما الكتب فكانت حوالى عام ٩٠ ميلادية (١) .

ويؤمن اليهود بهذه الأسفار التسعة والثلاثين - ولذلك يمكن تعريفها
بأنها الأسفار اليهودية .

★

أما أسفار العهد الجديد - التى تكون الجزء الرئيسى الثانى من الكتاب
المقدس - فهى الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة
على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف .

وفى هذا الفصل سوف ندرس « العهد الجديد » مسترشدين بملخص
أبحاث الثقات من علماء المسيحية .

الصورة العامة للعهد الجديد

العهد الجديد ملحق غير متجانس للعهد القديم

يقول فردريك جرانث : « إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهداً جديداً يتميز عن العهد القديم ، فقد كان العهدان (اللذان نعرفهما الآن) شيئاً واحداً متصلاً . لقد كان الناموس والأنبياء والمزامير - كما يذكر لوقا ٢٤ : ٤٤ - كتباً مألوفة لكل اليهود بما فيهم اليهود المسيحيين في فلسطين وغيرها ، كما كانت مألوفة لكل المتصربين الذين كانوا على صلة بالمعابد اليهودية .

وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية ، وفي مقدمتها رسائل بولس التي كانت تقرأ على الجمهور في اجتماعات العبادة (كولوسي ٤ : ١٦) ثم تلها رسائل أخرى وأناجيل - فقد كان ينظر إليها جميعاً باعتبارها اضافات صحيحة أو ملحق لما في أسفار الناموس والأنبياء التي كانت تقرأ أسبوعياً في المعابد اليهودية والكنائس المسيحية .

وعندما ننظر في العهد الجديد فاننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة وثابتة ، أو تفصيلاً كاملاً لتنظيم الكنيسة ، بل العكس من ذلك تماماً ، فإننا نتوقع - وهذا ما نجده فعلاً .. اقترحات لم يعمل بها أبداً ، وحلول تجريبية قصد التغاضي عنها في مستقبل تطور الكنيسة .

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة ، وإن الإنسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي سار فيها التفكير المسيحي ، كما يتتبع - إلى حد ما - التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة ، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعباداتها وتنظيماتها (٢) .

(٢) المرجع رقم (٤) ص ١٢ ، ١٥ ، ١٧ .

نظرة الطوائف المسيحية للعهد الجديد

« إن العقائد التي تبناها مختلف الكنائس ومدارس الفكر اللاهوتي ، فيما يتعلق بالسلطة الروحية للعهد الجديد ، تختلف كثيراً من واحدة لأخرى .

فالكنيسة الكاثوليكية تتمسك بشدة بعقيدة الإلهام التي تؤكد القول بها في مجمع الفاتيكان الذي عقد بروما عام ١٨٦١ - ١٨٧٠ ، والذي تقرر فيه أن الكتب القانونية لكل من العهدين القديم والجديد قد كتبت بإلهام من الروح القدس ، مؤلفها ، وقد أعطيت هكذا للكنيسة .

كذلك فإن طائفة المحافظين من البروتستانت يقبلون عقيدة الإلهام ، بينما يعتقد الليبراليون منهم أن كتب العهد الجديد إنما هي وثائق تسجل بداية العقيدة المسيحية وهي مثل أى من الوثائق التاريخية القديمة ، معرضة للبحث العلمي والنقد اللغوي « (٣) .

ويعتقد الأورثوذكس كما يقول تيموثي وير : « أن الكتاب المقدس هو التعبير الأسمى عن وحى الله للإنسان وأن على المسيحيين أن يكونوا دائماً أهل الكتاب ..

وللكنيسة الأورثوذكسية نفس العهد الجديد المتداول بين المسيحيين الآخرين ، وأما بالنسبة لقانونية أسفار العهد القديم فإنها تستخدم الترجمة الإغريقية القديمة لهذه الأسفار والتي تعرف باسم السبعينية (التي تشمل على ٣٩ سفراً الموجودة في النسخة العبرية بالإضافة إلى الأسفار المشكوك فيها التي تعرف بالأبوكريفا ، هذا مع العلم بأن كلا من النسختين العبرية والإغريقية مختلفتان في كثير من المواضع) .

(٣) المرجع رقم (٥) ص ٣١ .

وتعتقد الأورثوذكسية أنه لو كانت المسيحية صادقة ، فلا يوجد ما تخشاه من التساؤلات البريئة ، ولهذا فإنها لا تمنع الدراسات النقدية والتاريخية للكتاب المقدس على الرغم من أنها تعتبر الكنيسة صاحبة السلطة الشرعية في تفسير الكتب المقدسة» (٤) .

محتويات العهد الجديد

يقول جنر لانز كورفسكى : «يحتوى العهد الجديد على السبعة وعشرين كتابا التالية :

الأناجيل الأربعة - وفق روايات : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .
سفر أعمال الرسل .

رسائل بولس إلى : أهل رومية - أهل كورنثوس الأولى والثانية - أهل غلاطية - أهل أفسس - أهل كولوسى - أهل تسالونيكي الأولى والثانية - تيموثاوس الأولى والثانية - تيطس - فليمون - العبرانيين .
(وبذلك يبلغ مجموع رسائل بولس ١٤ ، ويشك في نسب بعضها إليه وخاصة الأخيرة كما سنرى فيما بعد) .

الرسائل الكاثوليكية (العامة) - وهى رسالة : بطرس الأولى والثانية - يوحنا الأولى والثانية والثالثة - يعقوب - يهوذا .

(ومجموع هذه الرسائل ٧ ، وقد عرفت باسم الرسائل الكاثوليكية أى العامة لأنها ليست كرسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينين ، بل لكل الكنائس) .
وأخيراً - رؤيا يوحنا .

وفى فترة المائة وخمسين عاما الأخيرة تحقق العلماء من أن الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) تختلف عن الإنجيل الرابع (يوحنا)

(٤) المرجع رقم (١١) ص ٢٠٧ - ٢٩٠ .

أسلوباً ومضموناً - وأن الأناجيل الثلاثة الأولى متقاربة بدرجة كبيرة ، ولما كان من اللازم دراستها معا فقد سميت بالأناجيل المتشابهة .

إن صلة كل منها بالآخر هي أساس ما يعرف بنظرية المصدرين ، والتي تقرر بمقتضاها أن أقصر الإنجيل - وهو إنجيل مرقس - قد استخدمه الانجيليين المطولين ، وهو لذلك يعتبر مصنراً لكل من متى ولوقا .

كذلك فإن متى ولوقا يشتركان في موضوعات محددة تتكون غالبا من كلمات ليسوع وهذه المادة المشتركة في هذين الإنجيلين ترجع إلى مصدر ثان . .

إن وجود الأناجيل المتشابهة يرجع إلى تأثير حياة يسوع الأرضية ورسالته كما تناقلتها الكنيسة . وهذه الأناجيل تأخذ شكل دلائل المتجولين فيما تعرضه من رواياتها التاريخية .

فهي تربط بدء رسالة يسوع بين الجماهير بمهمة يوحنا المعمدان (يحيى ابن زكريا) وهي تصف أسفاره في الجليل ، وتعطى روايات عن مواعظه التي بلغت ذروتها في موعظة الجبل ، كما تذكر معجزاته . وأخيراً فإنها تصف رحلته الأخيرة إلى اورشليم التي تؤدي إلى إدانته (من شيوخ اليهود) . ثم تختتم الأناجيل المتشابهة بروايات عن ظهور (المسيح) الذي أقامه الله من الأموات .

إن الرواية التي يعلنها يسوع جزئيا على شكل أمثال يتكلم بها ، هي الاقتراب الوشيك لملكوت الله ، والتي يربطها بموعظة يوحنا المعمدان الذي قال : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات متى ٣ : ٢ وحسب تعاليم يسوع فإن المطلوب هو تغيير كلي لتطلعات المستقبل وهو ما يمكن تحقيقه فقط باتباع الوصيتين العظيمتين المذكورتين في متى ٢٢ : ٣٧ ، ومرقس ١٢ : ٣٠ (رداً على سؤال وجهه أحد الفريسيين إلى يسوع قائلاً : يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس) ؟

فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى .

والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء .

إن يسوع لا يفسر تعليمه الجديد على أنه حيود عن شريعة العهد القديم ، بل إنه يعتبر ذلك مكملها - فهو يقول :

لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل - متى ٥ : ١٧ .

لقد وصلتنا خمسة كتب من أسفار العهد الجديد تنسب إلى يوحنا وهي : إنجيل يوحنا وثلاث رسائل وسفر الرؤيا . ومن المحتمل أن يكون الإنجيل والرسالة الأولى قد كتبهما نفس المؤلف ، الذي نجد الكنيسة قد أشارت إليه منذ نهاية القرن الثاني بأنه : التلميذ الذي كان يحبه يسوع .

إن إنجيل يوحنا يختلف اختلافاً بيناً عن الثلاثة المتشابهة ، فهو لا يذكر أى شيء عن رواية الميلاد لكنه يبدأ بمقدمة يذكر فيها أن أصل يسوع يرجع إلى أزلية الله ، حيث يصف يسوع أنه الكلمة التي صارت جسداً (يوحنا ١ : ١ ، ١٤) .

وبالنسبة للروايات التي تحكى نشاط يسوع الجماهيرى ، فانه توجد اختلافات في الزمان والمكان إذا قورنت بنظيرها في الأناجيل المتشابهة ، كما يوجد في يوحنا تأكيد ضعيف على مجيء ملكوت الله ، مع تركيز على الجانب الإلهي للمخلص (يسوع) . وبدلاً من قصص روايات عن الأحداث ذاتها ، نجد يوحنا يقدم لنا شروحاً وتفسيرات مبنية على الاعتقاد في لاهوت المسيح .

ويعتبر سفر أعمال الرسل ملحقاً للإنجيل الثالث ، أو بتعبير آخر فانه يكون الجزء الثاني من رواية لوقا . ونجد هذا السفر - مثل الأناجيل - لا يهتم بالتاريخ ، فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ ، وبيان كيفية

تكوين الكنيسة الأولى ، وتوسع إرساليات التبشير المسيحية بعيداً إلى روما كذلك نجد هذا الكتاب يهاجم الوثنية .

وتكون الرسائل إلى كتبها بولس من السجن مجموعة قائمة بذاتها ، فهي تتكون من رسائله إلى : أهل فيليبى - أهل كولوسى - أهل أفسس - فليمون - هذا ، ولا تزال حقيقة مؤلف الرسالة إلى أهل أفسس موضع جدل .

أما الرسالة إلى العبرانيين التي تعتبر رسالة تعاليم أضيفت إلى الأسفار القانونية كاحدى الرسائل البولسية فقد أصبح من المؤكد الآن أن بولس لم يكتبها .

كذلك نجد من بين مجموعة الرسائل التي تعرف باسم ما بعد بولس ، أن الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس لم يكتبها بولس .

هذا - ولقد أسقط عدد كبير من الكتب المسيحية الأولى ، من العهد الجديد القانونى ، وهذه تتكون أساساً من الأناجيل المحذوفة مثل : أناجيل العبريين ، والمصريين ، وبطرس .. وأسفار رؤيا غير معترف بها مثل رؤيا بطرس ، وراعى هرمس .. وخطابات الآباء الرسوليين .

على أن التاريخ المضبوط الذى تحدتت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد . (٥)

اللغة الأصلية التي كتب بها العهد الجديد

« إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب أغريقى . فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التي تختص بأعمال يسوع وأقواله ، لاشك ، إنما كانت متداولة بالارامية - وهي اللغة كانت سارية في فلسطين وبعض

أجزاء الشرق الأدنى ، وبالتأكيد بين اليهود (وهى اللغة التى تكلم بها المسيح وتلاميذه) - فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة ، التى كانت لغة الحديث فى عالم البحر الأبيض المتوسط .

ولا تزال بقايا من الأرامية الأصلية توجد هنا وهناك - فى أسفار العهد الجديد وعلى سبيل المثال ما نجده فى مرقس ٥ : ٤١ ، ١٥ : ٣٤ ، (٦) .
والمثالان المشار إليهما من إنجيل مرقس هما على الترتيب :
« وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومي . الذى تفسره يا صبية لك أقول قومي » .

« وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لما شبقتنى . الذى تفسره الهى الهى لماذا تركنى » .

* * *

عوامل هامة أثرت فى إيجاد العهد الجديد

لقد أثرت عوامل مختلفة فى إيجاد العهد الجديد على الصورة التى وصلنا بها ، وذلك من حيث مادته وتركيبه وجمعه ، ولكن الرأى الغالب هو أن عاملين فقط من بين هذه العوامل ، كان لهما أكبر الأثر فى تشكيل العهد الجديد ، ألا وهما :

١ - عودة المسيح إلى الأرض أو ما يعرف بالحيء الثانى .

٢ - مذهب الغنوسية ، ويمكن تعريفه فى أبسط صورة بأنه فلسفة تقول بان المادة شر ، وأن الخلاص يأتى عن طريق المعرفة الروحية ، دون الإيمان .

وفىما يلى بيان موجز لأثر هذين العاملين .

١ - الحجة الثانية :

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل - ومنهم تلاميذ المسيح - أن نهاية العالم وشبكة الحدوث ، وأن كثيرين من الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي وعاصروا المسيح ، سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة بعقبا عودة المسيح إلى الأرض « في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات ، وفي هذا تقول دائرة المعارف البريطانية :

« إن امتداد الكنيسة المسيحية في أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو في نظرنا كأنه بداية عهد جديد في التاريخ ، لكن هذه الحركة كان ينظر إليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا في إمتدادها (من المسيحيين الأوائل) فقد كانت في نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بدايه . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وأن اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا .

إن مؤلفات عصر الرسل والحواريين التي كتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما للكنيسة تبقى عبر العصور (اللاحقة) لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذي توقع أن يعيش بنهاية التاريخ وبداية إفتتاح رسمي للملكوت الله .

وعلى هذا الأساس فإن العهد الجديد كمجموعة من الكتب المقدسة ، كان عملا لم يخطط له من قبل وكان نتاجا غير منتظر لعصر الرسل والحواريين - ثم ما لبثت حمية العصر الأول أن بردت حين ظهر أن تحقيق

أملها المبكر قد تأخر ، لكنه ترك جماعات كثيرة من المؤمنين ، لم تزل تحافظ على العقيدة ومثلها العليا التي تعلمتها من المبشرين الأولين « (٧) .

*

ويقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) الذي يمتلئ بالخطيئة والمرض والموت ، سوف يأتي إلى نهايته سريعاً ، وأن يسوع سوف يأتي بمجد ، وأن كل إنسان سيكون إما من المباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) .

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعاً قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير في كل مدن إسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصري يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) .

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى .

ورغم أن إنجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذي ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فإننا في الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة . وفي اعتقاد كثير من العلماء أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته ، في مجد وجهاء .

إن الفكرة التي كانت تتردد عن تدخل الله سريعاً في هذا العالم ، وإظهار ذاته كملك يحكم العالم ، ويمحي كل شيء ضد إرادته ، لم تكن هذه مردها للمسيحيين ، فانا لنجد ذلك في كتابات اليهود المعروفة باسم أسفار الرؤيا مثل سفر دانيال . ويبدو أن طائفة اليهود التي انتجت وثائق البحر الميت ، كانت تفكر بهذه الطريقة .

ونحن نعلم من المصادر اليهودية ، أن بعض الناس قد ظهروا في فلسطين أيام المسيح ، وأعلن الواحد منهم أنه المسيا ، أى الملك المرسل من قبل الله ليحكم العالم عند نهاية ذلك العصر . ولقد نجح هؤلاء الأدعياء في تحريض الناس على اتباعهم ، وقبول دعاواهم . وعلى هذا - فإن الإعتقاد في النهاية السريعة لذلك العصر ، كان منتشراً في القرن الأول من الميلاد ، ولقد تنفس المسيحيون هواه ، تماماً كعاصريهم من اليهود .

إننا لا نستطيع أن نأخذ أقوال متى عن نهاية العالم حرفياً ، فقد برهن التاريخ على خطئها « (٨) » .

✱

ولقد كان لفكرة المحيي الثاني الوشيك ، أثرها في كتابات المسيحيين الأوائل وسلوكهم . فبرزت الدعوة إلى التسامح المثالي ، ومجافاة مطالب الحياة وتكريس الرهبة .

ويتفق العلماء على « أن العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيراً في أشياء أخرى ، فقد اتفقوا في أنهم يعيشون في عالم يتجه سريعاً إلى نهايته . فهو عالم قد ينبج فيه الرجال والنساء أطفالاً ، لكن أحدا منهم لم يتطلع إلى جيل تال .

إن السبب الرئيسي في انعدام التفكير في الغد ، هو أن ذلك الغد سوف لا يأتي ، وبناء عليه كان الحض على عدم الزواج ، وإهمال تربية الأولاد وفقدان روح الجماعة ، وعدم الاهتمام بأمور الدنيا - إن كل هذا واضح في العهد الجديد .

ومما يجب ذكره هو أنه على الرغم من أن كاتب رسالة يوحنا الأولى يعلن عن الساعة الأخيرة :

(٨) المرجع رقم (٧) - ص ٢١ - ٢٢ .

(أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة ، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي قد صار الآن أصداد للمسيح كثيرون . من ها نعمل أنها الساعة الأخيرة - ٢ : ١٨) - فانا نجد في كتابات يوحنا بداية ميل لإعادة تفسير توقعات المسيحيين الأوائل بالنسبة للنهية السريعة للعالم .

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم ، فإن الدراسة المتأنية للعقائد اليهودية التي شاعت في الفترة من عهد المكابيين (عام ١٦٨ ق . م) حتى مطلع القرن الأول الميلادي ؛ تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم ، لكنه التوقع العام للشعب اليهودي (وهو : أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال - لوقا ١٩ : ١١) .

إن هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهي الحرب التي انتهت بانقراض الولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ م «(٩) .

٢ - الغنوسطية :

« إن مصدر الغنوسطية وجوهرها الحقيقي لا يزال موضع جدل بين العلماء ، فالبعض يراها هرطقة مسيحية ، أو حركة روحانية داخل الاكليروس هددت بتحويل المسيحية إلى خرافة تأملية ، أو هي عقيدة شرك للخلاص عن طريق المعرفة . كما يعتبرها البعض حركة دينية عالمية أقدم من المسيحية ، وكانت تمتد باكتساح داخل الكنيسة الأولى ، كجزء من انتشارها في كل مكان في القرنين الثاني والثالث من الميلاد «(١٠) .

(٩) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢٣ ، وانظر أيضا كتاب المبشر الشهير البرت شفيترز : Von Reimarus zu Werde (1906) وقد ترجم عن الألمانية الى الانجليزية تحت اسم :
The Quest of the Historical Jesus (1910)

(١٠) المرجع ١٦ - الجزء ٢ - ص ٦٥٣ .

« ولقد أثرت الغنوسية بعمق في الكنيسة المسيحية في القرن الثاني ، وفي العادة نجد اول إشارة لها ترجع إلى سيمون الساحر السامرى (أعمال ٨ : ٩ - ٢٤) ، رغم أن أخطر معلمها كانوا رجالا مثل باسيليدس وفالنتينوس في الفترة ١٣٠ - ١٥٠ م .

لقد كانت الغنوسية في أساسياتها ثنائية ، تقول أن المادة والروح في تعارض تام .. وأن الجسد مقبرة للروح . وقد اشتملت على عناصر من التنجيم الشائع ، وافترضت أن الكون المادى شر ، وأن خلق الأرواح الشريرة أو السفلية تأجج بالعواطف الشريرة ، في ثورة ضد الذات الأعلى الذى تفرد بالوحدانية ..

وعلى ذلك فإن الولادة شر لأنها ، تعنى دخول كائن روحانى إلى مستوى مادى منحط .

كذلك فإن الزواج شر ، لأنه يقود إلى التناسل وإلى عبودية خلال دورة الوجود ، ولذا يجب المحافظة على نقاء الروح بتجنب الزواج ، وعدم تعريض الجسم لذنس الحياة .

إن أصداء هذه التعاليم توجد في العهد الجديد (مثل : لكن الروح يقول صريحا أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم في الإيمان ، تابعين أرواحا وتعاليم شياطين ..

مانعين عن الزواج وأميرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق . ١ - ١ - تيموثاوس ٤ : ١ - ٤)

وبجانب الأنواع الكثيرة للفلسفة الغنوسية ، فإن أخطرها ولا شك تلك التى أثرت بعمق في التعاليم المسيحية في المنطقة التى جاء منها الإنجيل الرابع ..

ف نجد أن الرسول الإلهى ، أو الشاهد الذى يأتى بالمعرفة المخلصة هو المسيح .. وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواده الطبيعية . لقد كان النور الحقيقى ، والظلام لم يطمسه .

إن هذا يعني أنه لم يكن ذو جسد مادي ، فقد كان شبحا يشبه الإنسان المادي ..

إن جسده غير حقيقي .

لم يصفه بولس بقوله أنه جاء : في شبه جسد الخطية (رومية ٨ : ٣)
ولم يقل : في الجسد أو كجسد ، على عكس ما يذكر يوحنا في انجيله
(١ : ١٤) ، حين يصرح علنا بما يتعارض مع عقيدة بولس ، فيقول :
والكلمة صار جسدا .

لقد جاء الإنجيل الرابع ليعارض مثل هذه الأفكار (البولسية
والغنوسطية) .

ونجد في الأناجيل الغنوسطية ، أنه قبل دق المسامير في يدي (المصلوب)
وقدميه ، فانه قد ترك منزله المؤقت (الجسد) وترك غلافا أجوف
على الصليب .

ولم تكن صرخته الأخيرة (على الصليب ، والتي تعرف بصرخة
اليأس) : إلهي إلهي ، لم تركنتي ؟ (كما تذكر الأناجيل المعتمدة) - لكنها
كانت : قوتي قوتي ، لم تركنتي « (١١) .

فالغنوسطية بأنواعها المختلفة ، وأصولها التي جلبتها من الأساطير البدائية
ثم غلفتها بالأفكار الميتافيزيقية - قد أثرت أبلغ الأثر في المسيحية الأولى .
فقد أعتقها الكثيرون من المسيحيين الأوائل وخاصة رجال الكنيسة ، ثم
مالبت صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء وتمخض عن ذلك
إنجيل يوحنا (الإنجيل الرابع وهو أحدث الأناجيل) الذي استحدث في
الكتب المسيحية الأولى تعبيرات فلسفية جديدة مثل :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ..
كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان .. »

كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم ..

والكلمة صار جسدا وحل بيننا ..

الآب الحال في هو يعمل . صدقوني أني في الآب والآب في ..

في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي ، وأنتم في ، وأنا فيكم ..

لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم ..

ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب في ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني . وأنا قد أعطيتهم الحمد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت في ، ليكونوا مكملين إلى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتني ، وأحببتهم كما أحببتني! ...

*

ذلك هو الإنجيل الفلسفي الذي أثار مشكلة لاهوت المسيح ، والذي استورد فكرة الحلول - حلول الخالق في المخلوق - من الفلسفات والأقاصيص القديمة ، وجعل الله في المسيح والمسيح في الله ، والمسيح في التلاميذ والتلاميذ في المسيح ..

وجعل الجميع واحداً ، والواحد شاملاً للجميع !!

فرغم ما يقال من أن إنجيل يوحنا قد وضع ليحقق عدة أغراض خطط لها من قبل ، مثل :

تقرير لاهوت المسيح ، ومحاربة الغنوسية التي تأثر بها بولس ، وذلك بالتأكيد على أن المسيح كان جسداً حقيقياً ، إلا أنه لم يلبث أن تلبس بالغنوسية - التي جاء ليقاومها - فإذا بها تتسرب إليه .

يقول تشارلز بوتز : (إن الجزء الأول - وبعض أجزاء أخرى - من إنجيل يوحنا مثل : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله .. - إن هذا

القول غنوسطية محض .. إن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصي - بقدر ما نستطيع استخراجها من الكلمات التي وضعها كتبة الأناجيل - لم تكن أبداً عقيدة التثليث التي إستحدثت في الغنوسطية التي أنشأها بولس ومن جاء بعده ..

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد أطلع على المجموعة الأولى لمكونات الانجيل الأصيل الذي تكلم عن تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته في شفاء المرضى - وهي الوثائق التي نفترض أن جزءاً منها على الأقل ، كان مصادر للأناجيل الأربعة القانونية» (١٢) .

لقد كانت العقيدة - عقيدة التثليث - التي تضمنها انجيل يوحنا هي ما قبلته الكنيسة فيما بعد ، رغم مخالفتها للكثير مما في الأناجيل المتشابهة ، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التي تضمنها كذلك نفس هذا الإنجيل ، انجيل يوحنا !! ولقد دفعت هذه الحقيقة علماء المسيحية إلى تقرير « أن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الأناجيل الرابع والثلاثة المتشابهة .

إن الاختلاف بينهم عظيم .. ° لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقاً بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة انجيل يوحنا» (١٣) .

متى كتبت الأسفار والرسائل المسيحية

تحدد المراجع المختلفة تواريخ مختلفة من المحتمل أن تكون قد كتبت فيها الأسفار والرسائل المسيحية المختلفة . وفيما يلي بيان يمثل وجهة النظر الشائعة ، حول توقيت كتابة هذه الكتب التي إندرج أغلبها بين دفتي العهد الجديد القانوني :

(١٢) المرجع رقم (١٤) ص ٢٤ ، ١٣٣ .
C.F. Potter : THE LOST YEARS OF JESUS REVEALED

* «if the Synoptics are accepted as authentic, the unauthenticity of John must follow.»

(١٣) المرجع ١٦ - الجزء ١٣ - ص ٧٣ .

| التصنيف | إسم الكتاب | تاريخ الكتابة (سنة ميلادية) | مسلسل |
|---------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------|-------|
| | الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكى | ٥٠ | ١ |
| | الرسالة إلى أهل غلاطية | ٥٥ و ٥١ | ٢ |
| (اغلب) رسائل | الرسالة الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس | ٥٥ | ٣ |
| بولس | الرسالة إلى أهل رومية | ٥٦ | ٤ |
| | الرسالة إلى أهل فيلبى - الرسالة إلى فليمون - الرسالة إلى أهل كولوسى - من المحتمل كذلك الرسالة إلى أهل أفسس | ٥٩ - ٦١ | ٥ |
| | انجيل مرقس | ٦٨ | ٦ |
| الأناجيل المتشابهة | انجيل لوقا | ٩٠ | ٧ |
| وسفر اعمال | اعمال الرسل | ٩٥ | ٨ |
| الرسل | انجيل متى | ٩٥-١١٢ | ٩ |
| | رؤيا يوحنا | ٩٥ | ١٠ |
| مجموعة رسائل كاثوليكية | حوالى ٩٥ الرسالة إلى العبرانيين - رسالة بطرس الأولى - رسالة يهوذا - رسالة يعقوب | | ١١ |
| | رسالة كليمنت الاولى | ٩٦-٩٨ | ١٢ |
| رسائل رعوية | الرسالة الاولى والثانية إلى تيموثاوس - الرسالة إلى تيطس | ١٠٠ | ١٣ |
| كتب ضد الغنوسطية | انجيل يوحنا - رسائل يوحنا الاولى والثانية والثالثة . | ١٠٠-١٢٥ | ١٤ |
| | رسائل اجناتىوس - رسالة بوليكارب | ١١٠-١١٥ | ١٥ |
| كتب رسولية متأخرة | رسالة برنابا - تعاليم الاثنى عشر رسولا | ١٣٥ | ١٦ |
| | رسالة بطرس الثانية | ١٥٠ | ١٧ |
| | حوالى ١٥٠ تحديد قانونية الأناجيل الأربعة - رسالة كليمنت الثانية . | | ١٨ |

« إن الغرض من هذا الجدول (كما يقول فرديريك جرانت) لا يهدف إلى التحديد النهائي لتواريخ هذه الكتب ، حيث أننا نجد في أحوال كثيرة أن هذه التواريخ ؛ إما غير مؤكدة أو أنها تقريبية فقط » (١٤) .

*

ومن الملاحظ أن كثيراً من الكتب المسيحية التي يشتمل عليها العهد الجديد ، قد كتبت ثم نسبت إلى أشخاص ، ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها بعشرات السنين . مثال ذلك ما ينسب إلى بطرس وبولس اللذين قتلوا قبل عام ٧٠ م بضع سنين - إذ تنسب إلى الأول : رسالة بطرس الأولى (حوالي عام ٩٥) ، ورسالة بطرس الثانية (عام ١٥٠) ، كما تنسب إلى الثاني الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس ، والرسالة إلى تيطس (عام ١٠٠) .

وفي جميع الأحوال يجب أن نتذكر أن التاريخ المرجح لنهاية حياة المسيح على الأرض ورفعته إلى السماء هو حوالي عام ٣٣ م - وبذلك يكون أقدم الأناجيل (انجيل مرقس) قد كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاماً ، وأن أحدث الأناجيل (انجيل يوحنا) قد كتب بعد المسيح بفترة تتراوح ما بين ٧٠ و ٩٠ عاماً - وكل ذلك حدث في عهود اشتهرت بالقسوة والوثنية .

كذلك فإن أقدم الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى ، كانت رسائل بولس - ذلك الداعية الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، لكنه فجأة أعلن تحوله إلى المسيحية بطريقة إرتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه ، ولم تخف ربيبتهم إلا بعد أن شهد له برنابا :

« ولما جاء شاول (بولس) إلى اورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذته برنابا وأحضره إلى الرسل - أعمال الرسل ٩ : ٢٦ - ٢٧ » :

وأما برنابا الذى « كان رجلا صالحا وممثلة من الروح القدس والأيمان - أعمال الرسل ١١ : ٢٤ » .

وهو الذى كان فى مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوبا عنهم والذى صاحب بولس فى كثير من رحلاته التبشيرية - مالمبث أن تشاجر معه بولس ثم افترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراؤه الخاصة فى الدعوة والتعاليم المسيحية :

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر . وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس . وأما بولس فاختر سبيلا . . فاجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس - أعمال الرسل ١٥ : ٣٩ - ٤١ » .

لكن تعاليم بولس هى التى شاعت وكان لها الغلبة ، كما أن رسائل بولس هى التى سبقت الأناجيل فى الكتابة ، ولم تزل تتقدم عنها فى الاستشهاد بهافى الدراسات والتعليم المسيحى حتى اليوم .

قانونية العهد الجديد

« إن كلمة : قانون ، تعنى (بالأغريقية) مقياس أو معيار . . ولقد أطلق اللفظ : قانونى ، أو قانونية على قائمة الكتب التى قبلتها الكنيسة بوجه عام ، باعتبارها كتبت بالهام ..

وبعنى تاريخ قانونية العهد الجديد : تاريخ الكتب التى تم فرزها بالتدرج من بقية المؤلفات المسيحية الأولى ، ثم أضيفت إلى مجموعة الكتب المقدسة اليهودية ، التى احتواها العهد القديم الأغريقى .

إن العهد الجديد المكتمل الذى هو بين أيدينا لم يتحدد موقفة تماما قبل القرن الرابع الميلادى .

لقد كانت محتويات العهد الجديد معروفة - على العموم - حوالى

عام ٢٠٠٠م . وأما المحتويات الرئيسية ، ونقصها ، الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ، فقد قبلت على نطاق واسع . ولقد لحقت الرية بثلاث أو أربع كتب من تلك التي يشمل عليها العهد الجديد الحالي ، كما كان هناك بعض الخلاف حول إمكانية ضم كتابين أو ثلاثة من الكتب التي تم استبعادها في آخر الأمر .

• إن اختيار (كتب العهد الجديد) لم يتم عن طريق مرسوم صدر عن سنودس أو مجمع بل بالحقك الدائم لاستخدامها في الحياة اليومية ، فقد صار ينظر إليها على أنها فريدة القيمة في نواحي التهذيب والتعليم ..

لقد كان هناك تأخير لمدة طويلة ، فيما يتعلق بقانونية كتابين رئيسيين من كتب العهد الجديد . فرغم أن الرسالة إلى العبرانيين قد كتبت في الغرب ربما في روما ، ومن المحتمل في إيطاليا ، فإنها لم تقبل في الغرب لمدة طويلة . إن أسباب هذا التأجيل غير واضحة ، ولعلها ترجع الى عدم التحقق من مؤلفها ، أو لأن تعاليمها اللاهوتية وتأويلاتها تبدو غير متفقة مع التعاليم البولسية ، أو أن نظرتها الفلسفية نوعاً ما لم توافق الكنيسة في الغرب - لكنها قلبت في الشرق .. حيث ظهر أن الجهل بحقيقة مؤلفها لم يكن له شأن كبير . لقد اعترف أوريجين السكندري ، بأن أحدا لا يعرف من ألف هذه الرسالة ، أو على حد تعبيره * * الله وحده يعلم .

لكنه ألح باصرار على أن تعاليمها تتفق وتعاليم بولس . . .

أما الكتاب الرئيسي الثاني الذي تأخر الاعتراف بقانونيته فقد كان رؤيا يوحنا اللاهوتي . وفي هذه الحالة ، كان الشرق هو الذي تردد في قبوله . . . ومن عجب أن يكون الغرب هو الذي قبل أولاً رؤيا يوحنا .

* «It was not by any decree of synod or council that the choice was made, but by the constant test of daily usage...»

** «Only God knows»

لقد جمعت الأناجيل معاني انجيل رباعي حوالى عام ١٥٠ م ، فكونت بذلك مجموعة رئيسية أخرى من كتب العهد الجديد . . لقد جرى العرف على رد السبب الرئيسى فى خلق شرعية العهد الجديد إلى المحاولة التى قام بها ماركيون حوالى عام ١٤٠ م ، لجمع عدد من الكتب المسيحية المقدسة لكي تستأصل نفوذ العهد القديم ، وتتعادل مع كتبه .

لقد كان ماركيون عنيفا فى آرائه ضد اليهودية ، كما كان يعتبر بشيء من التجاوز غنوسطيا .

فقد اعتقد بان إله اليهود الذى اعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان فى الحقيقة الها شريراً !! !

وفى محاولة ماركيون لاستئصال كل آثار اليهودية من الكتب المسيحية المقدسة ، فإنه صنف عهدا جديدا ، اقتصر على لوقا - الذى راجعه بعنف لكي يناسب آراءه العجيبة - واشتمل كذلك على الرسالة الى أهل غلاطية - وهى معروفة بتقدمها للناموس ثم الرسائل :

الأولى والثانية لأهل كورنثوس - والى أهل رومية - والأولى والثانية الى أهل تسالونيكى - والى أهل افسس - والى أهل كولوسى - والى أهل فيلبى - والى فليمون .

لقد كان هذا ما عرف باسم : الانجيل والرسول - الذى اقامه ماركيون ضد : الناموس والأنبياء ، التى يشتمل عليهما العهد القديم .

* وما من شك فى أنه كانت توجد كتب مسيحية أخرى اقدم (من تلك التى تدرج فى العهد الجديد) لم تعش ، وفى الواقع فان العهد الجديد ذاته يحتوى على اشارات لمثل هذه الكتب - كما فى الرسالة الى أهل كولوسى ٤ : ١٦ وانجيل لوقا ١ : ٢ - ١ .

* «There were undoubtedly other earlier Christian writings which have not survived»

وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك بعض الكتب التي استخدمت كمصادر استقت منها الكتب الحالية وقامت على اكتافها (وخاصة الأناجيل) وبمجرد أن استخدمت تلك المجموعات الأولى من الكتب في تصانيف أكبر ، فقد بطل نسخها ثم ما لبثت أن أختفت « (١٥) .

★

وخلاصة القول فيما يتعلق بتحديد الزمان والمكان والكيفية التي اكتسبت بها الأناجيل الأربعة الصيغة القانونية ومن ثم اعتبرت كتباً مقدسة - فإن أحدا لا يدري عن هذا الموضوع شيئاً . ولا يملك العلماء إلا أن يتمولوا : « ليس لدينا أي معرفة محددة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذي تقر فيه ذلك .

ومما يجب ملاحظته هو أن كليمنت الرومي (حوالي عام ٩٧م) . وبوليكارب (حوالي عام ١١٢م) قد استشهد كل منهما بأقوال (للمسيح) في صيغ مستقلة عما في أي من الأناجيل التي صارت قانونية فيما بعد .

** انه من المحتمل ان يكون كل من الاناجيل الاربعة القانونية قد اكتسب التداول و النفوذ عن طريق تبنى احدى الكنائس الكبيرة له وعلى هذا الأساس يوجد سبب قوى لربط انجيل مرقس بروما ، ومنها يحتمل أن يكون قد اكتسب التداول في كنائس أخرى . وأما انجيل متى - الذي يعتبر نسخة مراجعة ومطولة من انجيل مرقس - فيبدو أنه كان يستخدم في أنطاكية في بداية القرن الثاني ، ويرتبط انجيل يوحنا بافسس « (١٦) .

★

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل ، فمن الملاحظ أن عملية

(١٥) المرجع ١٦ - الجزء ٣ - ص ٦٥١ - ٦٥٢ .

* «We have no certain knowledge as to how or where the fourfold Gospel canon came to be formed.»

** «It is probable that each of the four canonical Gospels gained currency and prestige through being adopted by someone of the great churches.»

(١٦) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥١٤ .

بنائه وتقرير شرعية كتيبه ، قد استغرقت حوالى ٣٥٠ عاما . فحتى بداية القرن الرابع « كان يوجد كثير من البلبلة . وبصف ايزبيوس هذا الوضع ، فيقسم الكتب الى ثلاث طبقات :

١ - كتب قبلت بوجه عام .

٢ - كتب لاتزال موضع جدل ، لكن قد اعترف بها على نطاق واسع .

٣ - كتب مرفوضة .

ويتمى للطائفة الأولى : الأناجيل الأربعة - أعمال الرسل - رسائل بولس - رسالة بطرس الأولى - رسالة يوحنا الأولى - ويمكن إضافة رؤيا يوحنا .

ويتمى للطائفة الثانية : رسالة يعقوب - رسالة يهوذا - رسالة بطرس الثانية - رسالتى يوحنا الثانية والثالثة .

ويتمى للطائفة الثالثة : رسالة أعمال بولس - راعى هرمس - رؤيا بطرس - رسالة برنابا - وبالنسبة للبعض رؤيا يوحنا « . (١٧)

الاناجيل والكتب المسيحية المرفوضة

رأينا منذ قليل إشارة إلى عدد من الكتب المسيحية التى رفضتها الكنيسة ولم تكن تلك الكتب الاندرايسيرا من قوائم طويلة ، تذكرها المصادر المسيحية المختلفة ، وفيما يلى بيان بأشهر هذه الكتب المرفوضة كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية :

١ - إنجيل توما .

- إنجيل متى المكذوب .

- ومن بين الأناجيل العامة ، توجد أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية وهى : إنجيل العبريين - إنجيل الناصريين - إنجيل الأثني عشر - إنجيل الأيونيين .

- إنجيل المصريين : وعرف بذلك لانتشاره بينهم ، وقد اشار له كليمنت السكندرى ، وأوريجين .

- إنجيل بطرس : من مصدر قديم جدا ، وقيل أنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة . . فى الربع الأخير من القرن الثانى .

- إنجيل باسايوس : من أصل سكندرى تكون قبل منتصف القرن الثانى .

- إنجيل ماركيون : نسخة من لوقا صنفها ماركيون .

- إنجيل أبللس : تلميذ لماركيون ، وقد فقد النص .

- إنجيل ناسينس : ينسب لطائفة غنوسية .

- إنجيل فيليب : من المحتمل أن يكون أصله قد تكون فى الربع الأخير من القرن الثانى ، وقد كانت تستخدمه طائفة غنوسية مصرية .

- إنجيل ماتياس .

- إنجيل مريم : توجد منه ثلاث قصاصات فقط ، إحداها بالقبطية .

- إنجيل برثولماوس توجد منه شرائح باللاتينية والاغريقية والقبطية ، ويستفاد منه أن يسوع سمح لبرثولماوس أن يرى الشيطان ويسأله . وقد وجدته ٦٠٠ ذراع طولاً ، و ٣٠٠ ذراع عرضاً ، وبحرسه ٦٠٦٤ ملاكا .

- إنجيل نيقوديموس : أصبح منشرا في الحقبة الأخيرة .

- إنجيل غملايل .

- إنجيل الكمال .

وبالإضافة الى الوثائق المذكورة آنفاً، فإنه توجد وثائق أخرى ذكرها آباء الكنائس الأولى ، ولكن لا يوجد لدينا منها أى بقايا أو نصوص ، فهي مطموسة المعالم لعلماء اليوم . ومن هذه الوثائق المطموسة :

رسالة أعمال أندراوس - إنجيل أندراوس .

انجيل برنابا . . .

إنجيل الانكراتيين - إنجيل هسيثيوس - إنجيل يهوذا

رؤيا إستفانوس - إنجيل ثداوس - إنجيل الحق

هذا بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة كتبت تحكى أعمال الرسل . (١٨)

نسخ وطبع العهد الجديد

بدأ المسيح دعوته « وكان له نحو ثلاثين سنة » - حسب رواية لوقا ٣ : ٢٣ - واستمر يدعو فترة أختلف في تقديرها ، فالبعض يرى أنها حوالى العام ، بينما يرى آخرون أنها تقرب من ثلاثة أعوام .

فاذا اعتبرنا التقدير الأخير هو الأقرب للصواب - كما هو شائع - لكان معنى هذا ، أن المسيح أستغرق الفترة من ٣٠ - ٣٣ م وهو يبشر بالإنجيل ، ويلقى حكمه ومواعظه ويعلم تلاميذه ومريديه ، ويحاور خصومه ومعانديه . في كل هذا كانت الآرامية هي اللغة التى نطق بها المسيح والتلاميذ « والجموع » من يهود ذلك العصر . وباختصار ، كانت هي اللغة الأصلية للإنجيل ، ولغة ذلك الجيل الأول الذى عاصر المسيح :

★

وبعد أن انقضت فترة تزيد عن العشرين عاما بدأ تسطير أولى الكتابات المسيحية ، وكانت تلك رسائل بولس ، الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح . ثم أعقب ذلك فترة أخرى تقدر بنحو الخمسة عشر عاما ، ظهر بعدها أقدم الأناجيل ، وهو إنجيل مرقس ، الذى لم يكن أيضاً من تلاميذ المسيح ؟

وفى كل ذلك كانت الإغريقية هى اللغة التى وصلتنا بها أقدم النسخ من أولى الكتب المسيحية التى صارت فيما بعد كتباً مقدسة . وبذلك تكون أقدم نسخة عرفت من الإنجيل إنما هى ترجمة إغريقية عن الآرامية . ولاتزال الأناجيل - بعد ترجمتها من الإغريقية إلى مختلف اللغات - تحمل بين طياتها بقايا من تلك اللغة الآرامية : لغة المسيح والإنجيل .

★

ولقد رأينا فيما سبق أن العهد الجديد - الذى هو كتاب إغريقي من أوله الى آخره - لم يكتسب قانونيته ، وتحدد محتوياته على النحو الذى نعرفه اليوم ، الا قرب نهاية القرن الرابع الميلادى .

فقد انقضى نحو ٣٥٠ عاما بعد ميلاد المسيح حين أمكن الوصول إلى إجابة تقريبية للسؤال الهام :

أى الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة ، وتجمع معا لتكون فى العهد الجديد؟

ولكن الى الآن - وبعد أن اقترب الالف الثانى لميلاد المسيح -- لم يمكن الوصول الى السؤال الأهم ، بل والأخطر - الا هو :

أى الأقوال : نطق بها المسيح فى إنجيله ، وتحدث بها التلاميذ فى رسائلهم ؟

لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة ، وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة لما عرفت به من قبل . وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ .

إن مشكلة « النص » تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل بال العلماء اليوم ، والتي إستحدثت بسببها دراسات وعلوم ، مثل النقد ، الذي يهدف أول ما يهدف إلى معرفة حقيقة النص الأصلي. فحين يمكن تحقيق ذلك ، تتحدد كثير من المواقف ويصبح في الإمكان بعث التوحيد في العقيدة المسيحية ويتحقق الأمل الذي يراود الكثير من المسيحيين - وغيرهم من المؤمنين - في الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة ، بدلا من تلك العقائد المسيحية المختلفة ، التي عرفت - ولا تزال تعرف - منذ عرف إسم المسيح إلى اليوم ، والتي اصطبغت في أغلب عهودها بصراعات دموية ، تمثل تطبيقا معاكسا لكل ما جاء به المسيح .

تقول دائرة المعارف البريطانية « ان النسخ الأصلية (الاغريقية) لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدة طويلة ، (وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر) فان كل النسخ التي استخدمها المسيحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير .

وما يجب ذكره ، أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل في أي من نصوص العهد الجديد : الاغريقية أو اللاتينية .

إن السبب الرئيسي لهذه الحالة العجيبة يجب رده إلى التغييرات الواسعة ، التي انتشرت في القرون الأولى . فبالنسبة لرسائل بولس ، نجد أننا لو صرفنا النظر عن حوالي ست قراءات مختلفة تماما ، فإن النص يشبه أقدم إنتاج منها ، ولو أن به كثير من أخطاء الكتابة . . إلا أن التغييرات الحادثة غير ذات قيمة ، وأغلبها قابل للشرح والتأويل من سياق الكلام . وبإختصار يمكن القول بأن هذه التغييرات عرضية .

* «Greek Mss., The original autographs of the New Testament books have long since perished, and (except for a few fragments, all from Upper Egypt) the same fate had overtaken all the mss. used by Christians in the ante-Nicene period.»

« أما موقف الأناجيل فعلى العكس من ذلك إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل إضافة أو ادخال فقرات باكملها. وبالتأكيد فإن بعضاً منها قد استمد من مصدر رخرارجي (١٩) . »

ويقول جورج كيرد : « إن أول نص مطبوع من العهد الجديد كان ذلك الذى قدمه ارازموس عام ١٥١٦ ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص فى مخطوطات نسختها أيدى مجهدة لكتبة كثيرين . ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش . »

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف إختلافاً كبيراً ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيلمنها قد نجا من الخطأ . ومهما كان النسخ حى الضمير ، فإنه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت فى كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية .

إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة (٢٠) . »

★

وقد جرى العرف على درج النصوص المختلفة تحت ثلاث مسميات رئيسية هى :

« النص البيزنطى : وهو تنقيح أخذ الصورة التى قدم بها الانجيل إلى

* «In the Gospels on the other hand, the characteristic variations are intentional, such as the addition or insertion of whole passages, some of which must certainly have been supplied from an external source.»

(١٩) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥١٩ - ٥٢١ .

(٢٠) المرجع ٨ - ص ٢٢ .

المطرائية المسيحية الجديدة في القسطنطينية ، ولقد أخذ من مجموعة من النصوص المنتشرة آنذاك ، مزجها رجال الاكليروس

النص السكندري : ويبدو أن له بعض الصلة بالعالم المسيحي أوريجين ، الذي كان - حسب معلوماتنا - اول من اولى العناية لمعرفة النص الدقيق لكلمات الأناجيل ، وعمل مقارنة بين النصوص المختلفة .

النص الغربي : وهو ليس غربيا في المعنى الجغرافي ، كما انه ليس تنقيحا محددآ .

انه بصورة أدق ، يعنى النصوص في حالتها دون تصحيح في الفترة التي سبقت مجمع نيقية (عام ٣٢٥) وخصوصا منذ حوالى عام ١٥٠م - عندما جمعت الأناجيل معا لأول مرة تحت غلاف واحد حتى عهد قسطنطين (٢١) .

*

ولقد جرت محاولات كثيرة لامكانية إستخراج نص واحد تتفق عليه غالبية النصوص المعروفة ، لكن النتيجة كانت سلبية ، واستمرت هذه المحاولات عقيمة حتى اليوم . وفي هذا نقول دائرة المعارف البريطانية :

* « انه أمل لا طائل من ورائه أن نتصور إمكانية الوصول إلى النص الأصلي ، وذلك عن طريق ترتيب : النص السكندري ، والنص الغربي القديم ، والنص الشرقي القديم (البيزنطى) ، ثم قبول النص الذى يتفق عليه اثنان منهم ضد الآخر » (٢٢) .

*

الحق ان الله وحده يعلم حقيقة من كتب اسفار العهد الجديد ، وحقيقة ما كتبوا . « والله الذى انزل الكتاب بالحق » يعلم حقيقة انجيل المسيح : ما بقى منه ووصلتنا اخباره ، وما انظمت معاملة وعميت علينا انباؤه في غيابات الجهالة والنسيان .

(٢١) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢١ .

* «It is a vain hope to imagine that we can arrive at the original text by constructing the Alexandrian, the old-Western, and the old-Eastern texts, and then accepting the agreement of either two against the other.»

(٢٢) المرجع ١٧ - الجزء ٢ - ص ٥٢١ .

الفصل الثاني

الأنجيل

ما هو الانجيل

لقد جرى التقليد على تعريف الانجيل بأنه : البشارة أو الأخبار السارة-
وفي أحوال كثيرة فإن هذا التعريف تلحق به تحريجات لغوية تحاول تأكيده
كما في الانجليزية حيث نجد ما يقال من أن كلمة : «الانجيل = Gospel»
وأنها تأتي من Good spell

لكن حقيقة الأمر ليست على هذه الدرجة من البساطة ، فرغم أن التعريف
السابق يعتبر هو الأكثر شيوعا ، إلا أنه ليس التعريف الوحيد ، ذلك أن
علماء المسيحية يحاولون حتى الآن تحديد ماهية الانجيل ، باعتبارها شيئا
لايزال في حاجة إلى تحديد .

وفي واحدة من هذه المحاولات ، نجد جون فنتون يقول في مقدمة
تفسيره لانجيل متى : « إن أحد التعاريف الشائعة لكلمة الانجيل أنه الشيء
الذي يمكن تصديقه بثقة . فإذا كان القارئ يقبل على انجيل متى وهو يتوقع
أن يجد فيه سردا تاريخيا دقيقا لحياة يسوع فليسوف يصاب بخيبة الأمل .
لهذا يجب أن نبدأ بتحديد ماهية الانجيل ، حتى نفهم كيف نقرأه ، ونعلم
ما الذي نبحث عنه بين طياته لكن سرعان ما تواجهنا هذه الصعوبة ، وهي
أننا لانجد وسيلة تعيننا على تحديد ماهية الانجيل إلا من الأنجيل نفسها .

★ ★

* إن أيا من الكتاب الذين عاشوا في الزمن الذي كتبت فيه الأنجيل لم
يقدم لنا أى معلومات قد تعيننا على الإجابة على هذا السؤال : ما هو الانجيل؟

* «No writer from the time when the Gospels were written has
left us any information that would enable us to answer the
question, What is a Gospel ?

من أجل ذلك فإن بحثنا في طبيعة الانجيل والغرض منه ، صار مقصورا على دراسة الأناجيل ذاتها . وبعد أن أجرى فتون دراسته فإنه إستطاع أن يحدد ماهية الانجيل بقوله :

« يبدو أن كلمة : انجيل - تعنى ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة الزم نفسه بها (١) . »

★

وعلى أية حال ، فإن واقع الأمر الذي نجده فيما بين أيدينا من أناجيل يجعل الاتفاق ممكنا - بل ولا مفر منه - بأن : الانجيل يحوى أخبار المسيح ، رغم أن الأناجيل جميعا فصرت عن تحقيق العناصر الرئيسية من هذه الأخبار ، مما دعانفرا من العلماء إلى تقرير أن : « الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح ، أو مذكرات ، عن حياته ، أو حتى حوادث تستحق التدوين سطرها أشخاص لتحكي تعاليمه ، انما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متواترة تناقلتها الكنيسة شفاهيا في أول الأمر ، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها .

إن اسم المؤلف أو المصنف إما أنه قد أتى عليه بمحض الصدفة ، أو أنه أضيف فيما بعد ، كما حدث في القرن الثاني عند ما جمعت الأناجيل معا ثم أريد التمييز بينها باضافة أسماء منفصلة لكل منها .

فرغم أن عنوان المجموعة كلها كان : الإنجيل - فقد حملت الكتب المختلفة منها عنواناً يقول : حسب رواية مرقس ، أو لوقا .. « (٢)

★

(١) المرجع رقم (٧) - ص ٩ - ١٧ .

(٢) المرجع ٤ - ص ٢٦ .

ويقول دينيس نينهام في مقدمة تفسيره لإنجيل مرقس : « إنها الحقيقة تصدمنا أنهم (كتبة الأناجيل) لم يخبرونا بأى شيء عن هيئة (يسوع) ، وبنيته الجسمية وصحته ، كما لم يخبرونا بشخصيته وعمه إذا كان - على سبيل المثال - سعيداً ، مبهجاً ، رابط الجأش ، أم أنه كان على العكس من ذلك .

إنهم لم يفكروا حتى أن يخبرونا بطريقة قاطعة عما إذا كان قد تزوج أم لا .

كذلك فإنهم لم يعطونا معلومات محددة عن طول فترة دعوته ، أو عمره حين توفي ، كما أنه لا توجد أقل نبذة عن تأثير بيثته الأولى عليه ، أو عن أى تطور في نظره ومعتقداته .

لقد أمكن حساب الفترة التي تلزم لإتمام الأحداث التي يرويها مرقس فوجد أنها لا تتعدى ثلاثة أو أربعة أسابيع ، عدا الفقرة ١ : ١٣ (التي تقول : وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان) .

لقد دفعت هذه الحقيقة سترير أن يمرر في كتابه : الأناجيل الأربعة - ص ٤٢٤ : أن المجموع الكلي للأحداث التي سجلها الإنجيل صغير جداً لدرجة أن الثغرات الموجودة في الرواية لا بد أن تكون هي الجزء الجدير بالاعتبار .

إن الحقيقة التي نقرأها - لأسباب لا بد أن تكون قد وضحت الآن - هي أن الأناجيل ليست قصة حياة يسوع ، ومن النادر أن تمدنا هذه الأناجيل بالأساسيات التي يستطيع بها الناس أن يكتبوا مثل هذه القصة « (٣)

(٣) المرجع رقم (٦) ص ٢٥ .

المصادر التي استقت منها الأناجيل

« إن القول بأن متى ولوقا استخدمتا إنجيل مرقس ، أصبح على وجه العموم مسلماً به . ولكن بجانب إنجيل مرقس فلا بد أنهما قد استخدمتا وثيقة أخرى أصبح يشار إليها الآن بالحرف Q (يرمز هذا الحرف إلى المصدر أو الأصل إذ أنه أخذ من الكلمة الألمانية Quelle التي تعطي هذا المعنى وسوف نصلح على الرمز العربي المقابل له بالحرف : ص) - ومن هذين المصدرين (إنجيل مرقس ، ص) استمد الكاتبان (متى ولوقا) أساس رواياتهما عن : يوحنا المعمدان ، وتجربة يسوع ، وموعظة الجبل ، وقصة غلام قائد المائة ، وبعض الأمثال ، وبعض الأقوال عن نهاية العالم .

إننا لا نعلم ما هي الأشياء التي أغفل ذكرها هذا المصدر (ص) ، كما أننا لا نعرف خواصه ومحتوياته التي انفرد بها ولم يرفها كل من متى ولوقا ما يناسبه لكي يضيفها إلى إنجيله .
من أجل ذلك فإننا لا نستطيع أن نخاطر بتحديد قيمته التاريخية واللاهوتية « (٤) » .

★

وبجانب هذا المصدر المفقود ص ، يرى العلماء أن هناك مصادر أخرى نقل عنها كتبه الأناجيل مثل المصدر M : وعنه نقل متى المادة التي انفرد بذكرها - (٥) وسوف نرمز له بالحرف « م » .
المصدر L : ومنه استقى لوقا المادة التي انفرد بها ، وهي تبلغ حوالى نصف الإنجيل - (٦) وسوف نرمز له بالحرف « ل »

★

(٤) المرجع ١٧ - ص ٥٢٣ .

(٥) المرجع ٧ - ص ١٤ .

(٦) المرجع رقم (٨) ص ١٩ .

وكما رأينا - في الفصل السابق - فقد كانت الرواية شفاها هي المصدر الأول والهام الذي نقل عنه المسيحيون الأوائل ما سطره في كتاباتهم ، وخاصة في الفترة التي سبقت كتابة أولى الكتب المسيحية - ونقصد بها رسائل بولس - والتي تقدر بنحو ٢٠ عاماً بعد رفع المسيح .

ونعود هنا للتأكيد على « أن نقل التعاليم شفاها ليس مجرد فرض أساسى اقترحناه كمصدر للأناجيل المكتوبة - (انظر مرة أخرى مقدمة إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل) - التي لا يمكن فهمها وشرح محتوياتها بغير هذا الفرض ، بل ان لدينا فعلا شهادة عن وجود هذا التقليد الشفاهى في الفترة التي سبقت كتابة أول الأناجيل ٠٠ ففي فقرة هامة في ١ - كورنثوس ١٥ : ٣ ، نجد القديس بولس يذكر قراءه فيقول : سلمت إليكم في الأول ما قبلته - أى في المقام الأول ما تلقاه شفاها » (٧)

★

وعلى ذلك تكون المصادر المسيحية الأولى هي : التعاليم والروايات التي كانت تنقل شفاها طيلة عشرات السنين - ثم مجموعة من الأناجيل والكتب المفقودة ، يرمز إلى بعض منها بالحروف : ص ، م ، ل

★★★

أسباب تاخير كتابة الأناجيل

لقد كتبت الأناجيل الأربعة القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عاماً ، والأخطر من هذا أن اقدمها لم يكتب في حياة المسيح ولا عقب رفعه مباشرة أو حتى بعد ذلك بوضع سنين - لكنه كتب بعد ٣٥ عاماً مضت منذ رفع المسيح . لهذا جد العلماء في البحث عن الأسباب التي أدت

إلى تأخير كتابة هذه الأناجيل ، وكانت خلاصة ما وصلوا إليه هو : « أن تأخير الكتابة لم يرجع إلى عامل واحد ، لكنه في الواقع برد إلى عدة عوامل مجتمعة ، هي التي جعلت التأخير أمراً لا مفر منه . وهذه العوامل هي :

١ - نجد في المقام الأول أن المسيحيين الأوائل لم يكونوا - أو حتى الغالبية العظمى منهم - طائفة مثقفة أو متعلمة . لكن وضعهم نجده في قول بولس ليس كثيرين حكماء حسب الجسد ليس كثيرين أقوياء ليس كثيرين شرفاء . بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء . - ١ كورنثوس ١ : ١٦
لقد كانوا الحقرء والسذج والفقراء ، ولا شك أن بعضاً منهم كانوا أميين ..
إن أقدم انجيل - وهو انجيل مرقس - برينا أى لغة إغريقية عامية .
أخسنة كتب بها هذا الإنجيل .

٢ - يضاف إلى هذا ، أنه بالنسبة للفترة الأولى من عملية التبشير بالإنجيل في فلسطين فقد كانت العادة هي نقل التعاليم الدينية شفاهاً .

لقد كان هناك معلمون كثيرون للعقائد الدينية في العالم الإغريقي الروماني ، وهؤلاء لم تنقل تعاليمهم البتة في شكل مكتوب ، بل بالأسلوب الشفاهي . وبناء على ذلك فإن ما بقي منها في آخر الأمر لم يزد عن فكرة باهتة لوجهة النظر العامة التي تقول بها تلك العقائد ، بالإضافة إلى بعض الأقوال المبعثرة التي غالباً ما تكون غير المتن الأصلي ، وبذلك يصعب تفسيرها .

٣ - والعامل الثالث كان ثمن التكاليف والمواد اللازمة للكتابة . إن ذلك قد لا يكون عائقاً بالنسبة للشخص العادي ، لكنه ولا شك يعتبر عائقاً بالنسبة للمعدين (الذين كانوا يمثلون الأكرية الساحقة من المسيحيين الأوائل) .

٤ - وثمة عامل آخر ، كان له أثره الفعال في عملية إنتاج روايات مكتوبة عن حياة المسيح وتعاليمه - الا وهو تفشى فكرة الهجاء الثاني ، أى

عودة المسيح ثانية إلى الأرض في مجده . فاذا كانت نهاية كل شيء وشيكة ، وإذا كان أى يوم يأتى قد يكون هو الأخير ، فمن الواضح أن أولئك الذين اشتركوا في مثل هذه الأفكار ، لا بد وأن يفتقدوا المزاج النفسى لكتابة سجلات الماضى .

٥ - وأخيراً فقد كانت هناك الصعوبة في جمع البيانات والمعلومات اللازمة للكتابة . إذ يحق لنا أن نسأل : كيف يجد المسيحي العادى في الفترة المبكرة من حياة الكنيسة (التى اتسمت بالإضطهاد والاضطرب) من الوقت ما يمكنه من جمع المعلومات عن حياة المسيح ؟

بيد أنه بمرور الوقت ظهرت الحاجة إلى السجلات المكتوبة ، وذلك بعد موت أولئك الذين كانوا معانين وخداما الكلمة (كما يقول لوقا) ، وبعد أن انتشرت المسيحية خارج حدود فلسطين ، بل لقد حدث في داخل فلسطين ذاتها أن تشتت الكنيسة أكثر من مرة نتيجة للاضطهاد الذى لاقته « (٨)

*

لنعد لاقى المسيحيون الأوائل - وفي مقدمتهم تلاميذ المسيح - كثيراً من الأذى والاضطهاد على أيدي اليهود الذين حاولوا منعهم من نشر الدعوة الجديدة . ويحكى سفر أعمال الرسل - وغيره من رسائل التلاميذ - شواهد كثيرة من هذا الاضطهاد فيقول :

« وبينما هما (بطرس ويوحنا) يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جنديا فيكيل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب . . . فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد . . . (وفي الغد) تأمروا فيما بينهم قائلين . . . لثلاثين (تعاليمهما) أكثر في الشعب ، لنهددهما تهديداً

أن لا يكلمنا أحداً من الناس فيما بعد بهذا الاسم ، فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع - أعمال الرسل ٤ : ١ - ١٨ «

« وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب . فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقين وامتلأوا غيرة . فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة . وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم - أعمال الرسل ٥ : ١٢ - ١٨ «

« وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة . وأما شاول (بولس) فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن . فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقيين إلى أورشليم - أعمال الرسل ٨ : ١ - ٩ ، ٣ - ١ : ٩ «

« وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسىء إلى أناس من الكنيسة . فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف . وإذا رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضا . . . ولما أمسكه وضعه في السجن مسلماً إياه إلى أربعة أرباع من العسكر ليحرسوه ناويا أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب - أعمال الرسل ١٢ : ١ - ٤ «

★

لقد كان الاضطهاد اليهودي للمسيحيين شديداً ، ثم ما لبث هؤلاء أن تعرضوا للمذابح على أيدي حكام روما . وسواء كانت اليد الخفية وراء ذلك الاضطهاد الروماني هي يد اليهود - كما هو شائع عما حدث في روما تحت حكم نيرون أم لم تكن ، فالذي يعيننا هو أن تلك السنوات الأولى الهامة والحاسمة في تشكيل العقيدة المسيحية قد اتسمت من قبل السلطات المسئولة - سواء كانت دينية يهودية أو دنيوية رومانية - باضطهاد دموي

ومطاردات وتشريد ، وهو الأمر الذى ساعد على صد الطائفة - المسيحية - الجديدة عن الاهتمام بالكتابة وأعاقها عن التسجيل ، فاكثفت بمعتقداتها فى الحجىء الثانى ، وقعدت تنظر الخلاص الوشيك .

ولكن لما اوشك الجيل الأول الذى عاصر المسيحيين على الانقراض ، وتباعد الأمل فى تحقيق الحجىء الثانى ، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات ، وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثانى فى المسيحية وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة ، وقتل وتشريد اغلب تلاميذه ومريديه - وسط اجواء تغلقها الكتابة ويسودها الاضطراب .

الأناجيل الأربعة

انجيل مرقس

المؤلف والكتاب : لا يزال ما يرويه بايياس (حوالى عام ١٣٥ م) نقلا عن (من يدعى) الشيخ (الذى يقال أنه يوحنا) هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافى للنواحى التاريخية والأدبية فى انجيل مرقس - إذ يقول هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ : فى الواقع أن مرقس ، الذى كان ترجماناً لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته ، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله - ولكن دون مراعاة للنظام .

ولقد حدث ذلك ، * لأن مرقس لم يكن قد سمع (يسوع) ولا كان تابعا شخصياً له ، لكنه فى مرحلة متأخرة ، كما قلت أنا (بايياس) من قبل ، قد تبع بطرس الذى اعتاد التوفيق بين تعاليم (المسيح) والمطالب ..

* «For he had neither heard the Lord nor been his personal follower»

ويتفق مع قول بابياس هذا ، ما اقتبسه إيرينيوس - في قوله :

بعد موت - بطرس وبولس في الاضطهاد الذى حدث في روما تحت حكم نيرون - فان مرقس تلميذ بطرس وترجمانه - سلم إلينا - كتابة ما صرح به بطرس «(٩)» .

ولمعرفة حقيقة مرقس ، نجد نينهام يقول : «لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة (بيسوع) ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ..

ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢ : ١٢ ، ٢٥ (ثم جاء وهو منبته إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس .. ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعد ما كملوا الخدمة وأخذنا معها يوحنا الملقب مرقس) .

أو أنه مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣ (نسلم عليكم التى في بابل المختارة معكم ومرقس ابني) .

أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس : (يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا - كولوسى ٤ : ١٠ ، لوقا وحده معي خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة - ٢ تيموثاوس ٤ : ١١ ، يسلم عليك أبقراس المأسور معي في المسيح يسوع ومرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي - فليمون ٢٤) .

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى ان تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم . ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية . فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة «(١٠)»

(٩) المرجع (٤) - ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٠) المرجع ٦ - ص ٣٩ .

وبالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل « فإنه غالباً ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ٦٥ - ٧٥ م وغالباً في عام ٦٥ او ٦٦ م . . ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م » (١١)

*

وأما عن مكان الكتابة « فإن المآثورات المسيحية الأولى لا تسعفنا ، فبينما يصمت كل من بابياس وايرينيوس عن هذا ، فإن كليمنت السكندري وأوريجين يقولان روما ، بينما يقول كريسوستم بنفس الثقة أنه من مصر . وفي غياب أى تحديد واضح تمدنا به المآثورات لمعرفة مكان الكتابة ، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به ، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل أنطاكية ، لكن روما كانت هي أكثر الأماكن قبولاً » (١٢)

*

من ذلك يتضح أن احدا لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وإن كان الرأى الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه . وإذا كان الرأى الشائع كذلك أن مرقس كاتب الإنجيل كان هو مبشر الاسكندرية وأول أسقف لكنيستها ، فان بعض العلماء يعتبر هذا الرأى من المآثورات العجيبة ، تماماً مثل الاستدلال الخاطيء الذى توصل إليه اوغسطين من أن : مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى ، واختصروا إنجيله . (١٣)

كذلك فان أحداً لا يعرف بالضبط من اين جاء هذا الإنجيل ، فالبعض يقول : انطاكية أو مصر أو روما - لكن الرأى الشائع أنه جاء من روما .

**

(١١) المرجع ٦ - ص ٤٢ .

(١٢) المرجع ٦ - ص ٤٢ .

(١٣) المرجع ٤ - ص ٧٤ .

محتويات الإنجيل : يحتوي الإنجيل على الموضوعات الرئيسية الآتية :

العنوان ١ : ١

١ - مقدمة : يسوع ويوحنا المعمدان ١ : ٢ - ١٣

٢ - يسوع في الجليل ، الفقرات من ١ : ١٤ إلى ١٠ : ٥٢ - وهي تتحدث عن :

(١) حول بحر الجليل ، من ١ : ١٤ إلى ٥ : ٤٣ وتشتمل على أخبار :

يوم في كفر ناحوم ١ : ١٦ - ٣٨ ، المحاورات من ١ : ٢ إلى ٣ : ٦ (وكذلك ٣ : ٢٢ - ٣٠) ،

مجموعة من الأمثال ٤ : ١ - ٣٤ ، ومجموعة من قصص المعجزات الكبيرة ، من ٤ : ٣٥ إلى ٥ : ٤٣

(ب) رحلات أخرى طويلة : واحدة إلى الشمال من ٦ : ١ إلى ٩ : ٥٠ ،

والأخرى إلى أورشليم ١٠ : ١ - ٥٢ ، وهذه تشتمل على أخبار :

روايتين عن رحلة الشمال ، من ٦ : ٣٠ إلى ٧ : ٣٧ ، ٨ : ١ - ٢٦

أربع محاورات أخرى ، ٧ : ١ - ٢٣ ، ٨ : ١١ - ١٢ ، ٩ : ١١ - ١٣ ،

١٠ : ٢ - ١٢

طريق الصليب من ٨ : ٢٧ إلى ١٠ : ٤٥ ، مع مجموعة من قواعد

التلمذة ٨ : ٣٤ - ٣٨ ، ٩ : ٣٣ - ٥٠ ، ١٠ : ١٣ - ٣١ ، ٣٥ - ٤٥ .

ويبدو أن هذه المجموعة المختلفة من الأقوال والروايات قد جمعت

قبل مرقس .

٣ - يسوع في أورشليم ، الأصحاحان ١١ - ١٢ ، ويشتملان على :

مجموعة أخرى من المحاورات ، من ١١ : ٢٧ إلى ١٢ : ٣٤ ، مع الفقرة

١٢ : ٢٥ - ٤٠ التي تعتبر تذييلاً من صنع الكاتب .

٤ - محاضرة عن الأحداث المنتظرة : الأصحاح ١٣ .

٥ - رواية الآلام : الأصحاحان ١٤ - ١٥ .

٦ - أكتشاف المقبرة الحالية ١٦: ١-٨ ، ويتبعها خاتمة ١٦: ٩-٢٠ ، تلخص حوادث قيامة يسوع وظهوره (١٤) .

★ ★

مشاكل انجيل مرقس :

يثير هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - عدداً من المشاكل ، من أخطرها ولاشك مشكلة الاختلافات التي تظهر في النسخ المختلفة للإنجيل الواحد وذلك بالإضافة إلى اختلافه مع غيره من الأناجيل .

يقول نينهام : « سوف يتحقق القراء من أن الإنجيل قد كتب أولاً باليد ، واستمرت هذه الطريقة اليدوية تستخدم لقرون طويلة في إنتاج نسخ منه .

« ولقد زحفت تغييرات تعذر اجتنابها وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، ومن بين مآت المخطوطات - أى النسخ التي عملت باليد - لإنجيل مرقس ، والتي عاشت إلى الآن ، فإننا لا نجد أى نسختين تتفقان تماماً (١٥) » .

★

وثمة مشكلة أخرى هامة ، إلا وهي خاتمة الإنجيل ، ذلك أن نهاية هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل وخاصة إنجيل متى - غير متفق عليها في النسخ المختلفة إذ أن الأصحاح السادس عشر - وهو الأخير - من إنجيل مرقس يحتوي على ٢٠ عدداً ، لكن الأعداد من رقم ٩ إلى رقم ٢٠ - وهي آخر الإنجيل تعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد كأنها فقرات غير موثوق منها .

(١٤) المرجع ٤ - ص ٨٠ .

* «Inevitably changes, both intentional and unintentional, crept in, and of the hundreds of manuscripts (that is, hand-written copies) of Mark that have survived, no two agree exactly.»

(١٥) المرجع ٦ - ص ١١ .

وتضيف بعض المراجع القديمة بعد العدد ٨ النهاية البديلة الآتية :
« لكنهم نقلوا باختصار إلى بطرس وأولئك الذي كانوا معه كل
ما أخبروا به . وبعد هذا فإن يسوع نفسه أصدر عن طريقهم من الشرق
إلى الغرب الأعلان المقدس الخالد للخلاص الأبدي » (١٧) .

★

كذلك نجد في النسخ المتداولة لانجيل مرقس أن العددين ١٤ ، ١٥ من
من الإصحاح الأخير يقرأان هكذا :

« (١٤) أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون وويخ عدم إيمانهم
وقساسة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . (١٥) وقال لهم
أذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » .

لكن « إحدى النسخ الأخرى من القرن الخامس تضيف بعد العدد
١٤ فقرة أخرى ، وهذه قد استشهد جيروم بجزء منها ، باعتبارها كانت
في النسخ المعلومة لديه . . ويمكن أن تعنى هذه الفقرة مايلي :

وعندئذ أجابوا قائلين هذا الجيل المتمرد وغير المؤمن تحت إمرة
الشیطان الذي يستخدم الأرواح الشريرة في منع قدرة الله الحقيقية من
الأدراك ، ولهذا أظهر برك الآن .

لقد كانوا يتحدثون إلى المسيح الذي أجابهم قائلاً : أن نهاية سنوات
نفوذ الشيطان قد انقضت » (١٨) .

فما سبق يتبين بوضوح أن أحداً من الناس لا يدري حقيقة الخاتمة التي
انتهى بها إنجيل مرقس . وأن الغموض الذي يحيط بخاتمته لا يختلف كثيراً
عن الغموض الذي يكتنف شخصية مرقس الذي التصق اسمه بهذا الإنجيل .

★★★

(١٧) المرجع ٦ - ص ٤٥٣ .

(١٨) المرجع ٦ - ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

انجيل متى

المؤلف والكتاب : إن مؤلف إنجيل متى يهودى ولاشك ، وهو يختلف عن مرقس الذى لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلا . كما أنه يختلف عن لوقا الذى يفهم اليهود جيداً ويعرف حسن إيمانهم وقوته . لكن خلفيته الثقافية تأتي من العالم الواسع للامبراطورية الرومانية والهلينية الشرقية . إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودى المولد . إن حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم لا تنجب حقيقة الموقف (تجاه الناموس) وهو أنه : لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل - ٥ : ١٨

وهو لا يجامل ذلك النوع المسيحى المنحدر (من قيود الناموس) الذى يبدو أن بشارة بولس (وتعاليمه) قد شجعت سلوكه ووجهة نظره بطريقة شؤوم .

وبالرغم أنه من النادر ملاحظة التلميح لشخص بولس (الذى هاجم الناموس فى رسائله) على أنه المقصود بالأصغر فى ملكوت السموات - باعتباره قد علم الناس أن يتجاهلوا المطالب الدقيقة للناموس (٥ : ١٩) . فلا يزال من الواضح أن كلا من بولس اثنائى ومتى المبشر اليهودى له وجهة نظر تخالف الآخر تماما فيما يتعلق باعمال يسوع وتعاليمه (١٩) .

*

لقد ذكر اسم متى فى إنجيل متى مرتين . الأولى - فى الفقرة التى تقول : وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى : فقال له اتبعنى فقام وتبعه - ٩ : ٩ - وفى هذا يقول جون فنتون فى تفسيره لهذا الإنجيل :

« لقد ذكر المؤلف نفسه في هذه الفقرة ، أو بالأحرى فانه يصف دعوة شخص بدعى متى على الرغم من أن ربط شخصيته (كؤلف) بهذا التلميذ إنما هي بالتأكيد محض خيال .

وأما المرة الثانية التي ذكر فيها التلميذ (متى) بالإسم فكانت في قائمة الأثني عشر تلميذا حيث ذكر : متى العشار ١٠ : ٣ .

لقد حذف متى قول مرقس في ١٣ : ٢ (ثم خرج أيضاً إلى البحر وأتى إليه كل الجمع فعلمهم) . بينما نسخ قوله في ١٣ : ٢ (وفيما هو يجتاز رأى لاوى بن حلفي جالسا عند مكان الجباية فقال له اتبعني فقام وتبعه) ،

مع إجراء هذا التغيير الهام ، فبدلاً من قول مرقس : رأى لاوى بن حلفي - نجد متى قد غيّر إلى : رأى إنساناً جالسا عند مكان الجباية اسمه متى .

إن اسم لاوى لم يذكر في مرقس مرة أخرى كما أنه لم يدرج في قائمة الأثني عشر تلميذاً الذين ذكرهم مرقس في ٣ : ١٦-١٩ ، رغم أن اسم متى قد ذكر بينهم .

لماذا أحدث مبشرنا (متى) هذا التغيير هنا ؟

إننا لنجد أى دليل على أن اسم متى كان هو اسم التنصير للاوى : إنه من المحتمل - ولو أن هذا مجرد ظن - أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل ، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى . ويحتمل أن يكون المبشر (كاتب الإنجيل) قد اغتتم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الإثني عشر (متى) الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها « (٢٠) .

★

وأما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول أنه « كتب في حوالي الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م ، وعن أية حال فيمكن القول بأنه كتب في الربع الأخير من القرن الأول أو في السنوات الأولى من القرن الثاني » (٢١).

★★

وفيما يتعلق بمكان تأليف إنجيل متى « فإن شواهد قوية تشير إلى إنطاكية باعتبارها موطنه الأصلي . . ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة محددة (مثل إنطاكية) فمن المناسب إذن أن نقول بأنه يأتي من مكان في المنطقة المحيطة بها ، أو أي مكان مايقع في شمال فلسطين » (٢٢).

★★

محتويات الإنجيل :

- « يمكن تقسيم هذا الإنجيل كالآتي :
- الاصحاحات من ١ - ٤ : مقدمة .
- ٥ - ٧ : الجزء الأول من تعاليم المسيح (موعظة الجبل) .
- ٨ - ٩ : معجزات الشفاء التي أجراها يسوع .
- ١٠ : الجزء الثاني من التعاليم (إرشادات لأولئك الذين يعلنون بشارة الملكوت للآخرين) .
- ١١ - ١٢ : رفض اليهود ليوحنا المعمدان ويسوع .
- ١٣ : الجزء الثالث من التعاليم (استخدام الأمثال في شرح مجيء ملكوت السموات) .
- ١٤ - ١٧ : معجزات أخرى ، ومحاورات مع الفريسيين وإعتراف بطرس .

(٢١) المرجع ٧ - ص ١١ .

(٢٢) المرجع ٤ - ص ١٤٠ .

١٨ : الجزء الرابع من التعاليم (كيف يعامل التلاميذ بعضهم البعض) .

١٩ - ٢٢ : رحلة يسوع وتلاميذه لأورشليم وتعليمه في الهيكل .

٢٣ - ٢٥ : الجزء الخامس من التعاليم (مجيء ملكوت السموات وكيفية الدخول فيه) .

٢٦ - ٢٨ : الأيام الأخيرة ليسوع في أورشليم وحوادثها - القبض عليه ومحاكمته وصلبه وقيامته وظهوره الأخير في الجليل « (٢٣) » .

★

مشاكل إنجيل متى :

يوجد في هذا الإنجيل عدد من المشاكل الخطيرة يمكن تحديدها في ثلاث رئيسية هي (٢٤) :

١ - خطأ الاستشهاد بنبؤات العهد القديم : لقد كان متى - أو بالأحرى كاتب إنجيل متى - حريصاً على ربط كل ما يتعلق بقصة المسيح منذ ولادته حتى رفعه ، بنبؤات العهد القديم . ولقد أسرف في هذا أيما أسراف ، الأمر الذي أوقعه في أخطاء لا مفر من التسليم بها ، وذلك بسبب التطبيق الخاطئ لتلك النبؤات على ما حدث للمسيح .

٢ - توقع نهاية العالم سريعاً : ولو أن هذه الفكرة قد سيطرت على تفكير مؤلفي أسفار العهد الجديد - كما رأينا سلفاً - إلا أن متى كان أكثرهم حرصاً على تأكيد ذلك . فهو قد توقع أن تأتي نهاية العالم في أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد أكملوا التبشير بالإنجيل في مدن إسرائيل

(٢٢) المرجع ٧ - ص ١٥ .

(٢٤) المرجع ٧ - ص ١٧ - ٢١ .

(١٠ : ٢٣) ، وقيل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يكون ذلك الحيل الذي عاصر المسيح وتلاميذه قدفى (٢٤ : ٣٤) .

ومن الواضح - كما يقول جون فنتون : « أن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه متى » (٢٥) .

٣ - ثم تأتي خاتمة إنجيل متى التي يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه . فهي تنسب للمسيح قوله لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس - ٢٨ : ١٩ » . ويرجع السبب في ذلك الشك . كما يقول أدولف هرنك - إلى الآتى :

١ - « لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطى تعليقات بعد أن أقيم من الأموات وان بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

٢ - إن صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن : الآب والإبن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل - وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً ، (٢٦) .

وبعد - لقد كان من تلاميذ المسيح الاثني عشر جاني ضرائب يدعى متى ، وإليه نسب هذا الإنجيل الذي اعتبر نسخة مطولة من إنجيل مرقس - وهذا الأخير استعان به كاتب إنجيل متى بالإضافة إلى مصادر أخرى مثل المصدرين : ص ، م .

(٢٥) المرجع ٧ - ص ٢١ .

(٢٦) المرجع رقم (١٣) الجزء الاول - ص ٧٩ .

ويرجع كتابة هذا الإنجيل في الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م أى بعد أكثر من ٥٠ عاماً مضت بعد رفع المسيح - ولعله قد كتب في انطاكية أو قريباً منها .

إنجيل لوقا

المؤلف والكتاب : يبدأ إنجيل لوقا بمقدمة هامة ألقت كثيراً من الضوء على ما كان يحدث في صدر المسيحية وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل - فهو يقول :

« إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها لنا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس . لتعرف صحة الكلام الذى علمت به .

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ... لوقا ١: ١-٥»
ويتضح من هذه المقدمة جملة أمور لا بد من التسليم بها - وهى :

١ - أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما تتوفر لها إمكانيات الكتابة من وقت ومعلومات .

٢ - وأن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصى بحت بغية أن تصل المعلومات التى علم بها إلى ثاوفيلس . ولم يدع الرجل فى رسالته أنه كتبها بالهام أو مسوقاً من الروح القدس ، أو أنه كتبها لأنها الحق المقدس ، بل إنه يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لإجتهاده الشخصى لأنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

٣ - كذلك يقرر لوقا أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف أناجيل .

٤ - وأخيراً يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه ،

لكنه كتب رسالته عن المسيح إلى ثاوفيلس بناء على المعلومات التي تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا في خدمته .

هذا - ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل - وهو أطول أسفار العهد الجديد - هو الجزء الثاني من رسالة لوقا إلى ثاوفيلس ، بعد أن اعتبر الجزء الأول منها إنجيلاً صار يعرف باسم إنجيل لوقا .

ذلك أن سفر أعمال الرسل يبدأ يقول لوقا :

« الكلام الأول انشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به . إلى اليوم الذي ارتفع فيه ... أعمال الرسل ١ : ١ - ٢ » .

★

لقد حاول العلماء معرفة ثاوفيلس - ذلك الذي وجه إليه لوقا رسالته لكن جهودهم في هذا السبيل لم تصل إلى نتيجة محققة ، ولم يتعد الأمر تقديم بعض الفروض والتخمينات حول شخصية ثاوفيلس ، تماماً مثل شخصية لوقا نفسه .

يقول فريدريك جرانت : « لم نخطر بمن يكون ثاوفيلس هذا : قد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً ، ربما في إحدى مدن المقاطعات التي ليس من الضروري أن تكون روما أو حتى في إيطاليا ... كذلك لم نخطر بمن أولئك الكثيرون الذين أخذوا في تأليف قصص مماثلة ..

إن لوقا لم يكن مؤرخاً فقط ، لكنه كان شاعراً أيضاً .. وكما قال إيرنست هونشن ، يجب أن يكون لدى الإنسان روح الشاعر حتى يستطيع أن يفهم كتابة لوقا .

ولاريب في أنه يوجد شعر كثير في التعاليم الإنجيلية القديمة ، لأن يسوع كان شاعراً كذلك .

* «Jesus also was a poet.»

ورغم أن الموضوع لا يتعدى مجرد احتمالات غير مؤكدة ، فليس من المتعذر أن يكون مؤلف إنجيل لوقا قد جمع مادته في فلسطين أو سوريا مبكراً في الفترة ٧٠ - ٨٠ م ان لم يكن قبل ذلك ، ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقس في وقت ما من السبعينات ثم أصدر انجيله حوالي عام ٨٠ أو ٨٥ م . وبعد ذلك بحوالي خمس سنوات فإنه ذيل كتابه الأصلي برسالة ثانية نعرفها الآن باسم أعمال الرسل ، لكي ترد عن أسئلة المثقفين وربما كبار موظفي الرومان مثل ثاوفيلس ثم نشر مصنفه في حوالي عام ٩٥ م (٢٧).

★

ويقول جورج كيرد في مقدمة تفسيره لإنجيل لوقا : « لقد كان (لوقا) ينتمي إلى الجيل الثاني من المسيحيين . . وقد يوحى إهتمامه بالألمين (غير اليهود) وتجنبه الخوض في المسائل اليهودية البحتة ، بأنه كان أمياً ..

ونجد في سفر أعمال الرسل، أن هناك فقرات معينة ينتقل فيها الكاتب فجأة من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم الجمع (نحن) - مثل الفقرات ١٦ : ١٠ - ١٨ ، ٢٠ : ٤ - ٢١ : ١٨ ، ٢٧ : ١ - ٢٨ : ١٦ .

إن هذه الفقرات يمكن فهمها بطريقة مقبولة على أساس أن المؤلف كان يستخدم المفكرة الخاصة به أو بشخص آخر غيره . لكننا نلاحظ أن هذه الفقرات قد كتبت بأسلوب متميز عن أسلوب بقية الرسالة ، فإذا افترضنا أن المؤلف كان يستخدم مفكرة أحد أصحاب بولس كمرجع لرسالته ، لوجب علينا أن نضيف أنه أعاد كتابة تلك المفكرة من أولها إلى آخرها حتى يمحذف كل أثر لأسلوبها الأصلي ولكن ذلك حدث بإهمال جعله لم يتذكر دائماً عمل التغييرات اللازمة لنقل الكلام من ضمير المتكلم إلى الغائب .

إن أبسط تفسير هو اعتبار أن المؤلف كان يستخدم مفكرته الخاصة ،
وأنه ترك ضمير المتكلم ليدل على أنه في تلك المواقف كان شاهد عيان ،
وفي هذه الحالة يمكن القول بأن المؤلف كان مصاحباً لبولس .
وعلى العموم فإن العلماء الألمان والأمريكيين يفضلون النظرية التي تقول
بأن مؤلف المفكرة ومؤلف الإنجيل وأعمال الرسل هما شخصان مختلفان ،
وذلك لأن سفر أعمال الرسل يوجد به كثير من النقاط التي تتعارض تعارضاً
تاماً مع التعاليم المذكورة في رسائل بولس ، ومن غير المعقول إذن
أن تكون هذه قد سطرها شخص له معرفة مباشرة ببولس ورحلاته التبشيرية .

ماذا كان اسم المؤلف إذن ؟

إن الفكرة السائدة لدى الكتاب (المسيحيين) الأقدمين هو أن المؤلف
كان لوقا الطبيب الذي يذكره بولس كصديق وزميل في رسائله (كولوسي
٤ : ١٤ ، فلبي ٢٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١) .

إن كلمينس الإسكندري وترتيان وأرويجين وايزيبوس وجيروم كل
هؤلاء يعتقدون بأن لوقا هو المؤلف ويضيف الأخير أن من انطاكية ..
على أنه من النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ للقرن
الأول من المسيحية « (٢٨) » .

★ ★

محتويات الإنجيل : تسير الخطوط العامة لهذا الإنجيل كما يلي :

١ - « مولد يسوع وسنواته الأولى واعداده ورسالته الإلهية ١ : ٥ -

٤ - ١٣ .

٢ - رسالة يسوع في الجليل ٤ : ١٤ - ٩ : ٥٠ .

وتشمل : بدء دعوته - اختيار التلاميذ - موعظة السهل (نفس

التعاليم التي ذكرها متى في موعظة الجبل حين قال :

ولما رأى (يسوع) الجموع صعد إلى الجبل . فلما جلس تقدم إليه تلاميذه . ففتح فاه وعلمهم قائلا :

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات .. طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون - متى ٥ : ١ - ٦ .

فهذه التعاليم قرر لوقا ان يسوع قالها في موعظة السهل حين قال : ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه .. ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال :

طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون - لوقا ٦ : ١٧ - ٢١) .

كذلك تشمل رسالة يسوع في الحليل :

مشاهد مختلفة (شفاء عبد قائد المائة - كلام يسوع عن يوحنا ...) يسوع يعلم بالأمثال - عدد من المعجزات - يسوع وتلاميذه الاثني عشر .

٣ - يسوع في الطريق إلى اورشليم ٩ : ٥١ - ١٩ : ٢٧ .

وتشمل : يسوع في السامرة - تعليم يسوع عن الصلاة - نقد يسوع لتلاميذه ونقدهم له - يسوع وتلاميذه - نهاية الخدمة في الحليل - تعليم يسوع عن الثروة - وتعليمه عن الأيام الأخيرة .

٤ - يسوع في اورشليم وتنظيف الهيكل - تعليم يسوع في الهيكل - حوادث آخر الزمان .

٥ - موت يسوع ٢٢ : ١ - ٢٣ : ٢٦ .

المؤامرة ضده - خيانة يهوذا - العشاء الأخير - القبض على يسوع ومحاكمته - صلبه - دفنه .

٦ - قيامة يسوع ٢٤ : ١ - ٥٣ .
المقبرة الحالية -- يسوع يظهر لتلاميذه -- صعود يسوع الذي أقيم من
الأموات « (٢٩) » .

★ ★

مشاكل إنجيل لوقا :

١ - « يعانى نص انجيل لوقا من التغييرات التى تعانى منها الكتب الاخرى
للعهد الجديد .. إلا أن النص الغربى للانجيل وسفر أعمال الرسل يعانى من
اختلافات مثيرة - بالإضافة أو الحذف - عما فى النصوص الاخرى لذات
الإنجيل مثل النص السكندرى والبيزنطى « (٣٠) » .
٢ - كذلك لا-ظ العلماء أن « إنجيل لوقا يحتوى على ١١ فقرة ذكرها
لوقا مرتين فى موضعين مختلفين من الإنجيل (وعشرة منها نظيرها فى
مرقس) كما فى الجدول « (٣١) » .

| مسلسل | المرة الأولى | | المرة الثانية (تكراره) | نظيره فى إنجيل مرقس |
|-------|---------------------|------------|--------------------------|------------------------|
| | رقم النص المذكور فى | إنجيل لوقا | | |
| ١ | ١٦ : ٨ | ٣٣ : ١١ | ٤ : ٢١ | |
| ٢ | ١٧ : ٨ | ٢ : ١٢ | ٤ : ٢٢ | |
| ٣ | ١٨ : ٨ | ٢٦ : ١٩ | ٤ : ٢٥ | |
| ٤ | ٩ : ٣-٥ | ١٠ : ٣-١٢ | ٦ : ٦-١١ | |
| ٥ | ٩ : ٢٣ | ١٤ : ٢٧ | ٨ : ٣٤ | |
| ٦ | ٩ : ٢٤ | ١٧ : ٣٣ | ٨ : ٣٥ | |
| ٧ | ٩ : ٢٦ | ١٢ : ٩ | ٨ : ٣٨ | |
| ٨ | ٩ : ٤٦ | ٢٢ : ٢٤ | ٩ : ٣٤ | |
| ٩ | ٢٠ : ٤٦ | ١١ : ٣٤ | ١٢ : ٣٨-٣٩ | |
| ١٠ | ٢١ : ١٤-١٥ | ١٢ : ١١-١٢ | ١٣ : ١١ | |
| ١١ | ١٤ : ١١ | ١٨ : ١٤ | - | |

• (٢٩) المرجع ٤ - ص ١٨٣ - ١٨٨ .

• (٣٠) المرجع ٨ - ص ٢٢ ، ٢٣ .

• (٣١) المرجع ٨ - ص ٢٤ .

وتأكيداً لما في الجدول السابق نجد أن الأمثلة الثلاثة الأولى من المسلسل قد ذكرها لوقا لأول مرة في قوله :

« ليس أحد يوقد سراجا ويغطيها باناء أو يضعه تحت سرير بل يضعه على منارة لينظر الداخلون النور . لأنه ليس خفي لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويعلن . فانظروا كيف تسمعون لأن من له سيعطى ومن ليس له فالذى يظنه له يؤخذ منه - ١٦:٨ - ١٨ » .

ثم أعاد لوقا تكرارها في قوله :

« ليس أحد يوقد سراجا ويضعه في خفية ولا تحت المكيال بل على المنارة لكي ينظر الداخلون النور - ١١: ٣٣ .

ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف - ١٢: ٢ .

لأني أقول لكم أن كل من له يعطى ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه - ١٩ : ٢٦ » .

ونظير هذه الفقرات في مرقس كالآتي :

« ثم قال لهم هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير ، أليس ليوضع على المنارة لأنه ليس شيء خفي لا يظهر ولا صار مكتوماً إلا ليعلن .. لأن من له سيعطى وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه - ٤ : ٢١، ٢٢، ٢٥ » .

٣ - ثم هناك المشكلة العادة التي نتجت عن تسلسل نسب المسيح ، كما ذكره لوقا ، إذ أنه يختلف عما ذكرته أسفار العهد القديم عن نسب أجداد المسيح ، كما أنه يختلف عن نظيره في إنجيل متى . وسوف نبحث هذه المشكلة بالتفصيل في الفصل التالي .

إنجيل يوحنا

المؤلف والكتاب : يرى العلماء « أن إنجيل يوحنا يعتبر تقدماً درامياً لحياة يسوع ورسالاته وموته وتمجيده ، وأنه كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس ، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة . وهو يختص بموضوعات كانت موضع جدل في العالم المسيحي الأممي (من غير اليهود) في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني عندما انتشرت نظرية (غنوطسية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح فجعلته شبحاً غير حقيقي ، ومخلوقاً الهياً تجسد مؤقتاً لم يعان عذاباً ولم يذق الموت .

لقد كان من المعتقد لفترة طويلة أن يوحنا كان على بينة من وجود الاناجيل الثلاثة المتشابهة وأنه قد كتب ليكملهم ، أو ليصححهم في حالة أو حالتين . فقد جرى القول بأن حادثة تطهير الهيكل (من الباعة والصيافة) على سبيل المثال قد وضعها يوحنا عمداً في بداية دعوة يسوع ، لأنه حسبما تذكرها يوحنا الذي تقدمت به السنون ، كان ذلك موضعها .

كذلك فإنه صحح تاريخ الصلب حيث وضعه عشية الفصح (يوم الخميس) في اليوم الذي تذبح فيه خراف الفصح (بينما تقرر الإنجيل الثلاثة الأخرى أن الصلب حدث يوم الجمعة) .

ومن ناحية أخرى فإن لقب : ابن الإنسان ، الذي لم يستخدمه بولس قط ، قد أبقى عليه يوحنا « (٣٢) .

وتقرر دائرة المعارف الأمريكية . « أن العقيدة المسيحية لم تستطع تحمل العالم الروماني الأغريقي دون الارتكاز على قوة ماورثته عن اليهودية ، أو التأثر بالثقافة الجديدة المحيطة بها .

إن التأثير الأغريقي (في المسيحية) له شواهد ، ذلك أن الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا إنما هي تسير بوضوح على أسلوب شعر رواقى (فلسفى) في : الكلمة .

وفي الواقع فإن : الكلمة ، باعتبارها كلمة الله : قد يكون لها في فكر المؤلف ذلك التنوع المذكور في أسفار العهد القديم عن ، كلمة الله (٣٣) .

★

و لقد كان يوحنا مسيحيا وبجانب ذلك فإنه كان هليلنيا ، ومن المحتمل ألا يكون يهوديا ولكنه شرقي أو أغريقي . ولم توجد دموع في عينيه (علامة على الأسى) عندما كان يكتب مدينة لليهود ، مثل الدموع التي كانت في عيني كاتب إنجيل متى . وهو كذلك لم يشارك بولس استعداده أن يكون ملعونا من أجل شعبه اليهودي .

ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في إنطاكية أو افسس أو الاسكندرية أو حتى روما فان كلا من هذه المدن كان مركزاً عالميا للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد ، كما كانت على اتصال ببعضها (٣٤) .

★

ويقول جون مارش في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا تحت عنوان « استحالة التوكيد » : « حين تأتي لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التي تتعلق بالإنجيلي الرابع (يوحنا) وإنجيله نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعترف مقدما بأنه لا توجد مشكلة للتعريف (بالإنجيلي و كاتبه) يمكن إيجاد حل مؤكد لها .

من كان هذا اليوحنا الذي قيل أنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ لمن من الجمهور كان يكتب إنجيله ؟ أي المصادر كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟ حول كل هذه الأسئلة وحول كثير غيرها توجد أحكام متباينة ، أحيانا تقرر تأكيدات قوية ، ومع ذلك فإن أيامها لا يرقى إلى مرتبة التوكيد (٣٥)

(٣٣) المرجع ١٦ - ص ١٥٩ .

(٣٤) المرجع ٤ - ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

(٣٥) المرجع رقم (١٨) - ص ٢٠ .

ثم يختم جون مارش مقدمته بقوله : « وبعد أن نفرغ كل مافي جمعيتنا ، نجد أنه من الصعب . إن لم يكن من المستحيل ، تخميق أى شيء أكثر من الاحتمال حول مشا كل إنجيل يوحنا .

ويعتقد كاتب هذه السطور (جون مارش) أنه ليس من المستحيل الأعتقاد أنه : خلال السنوات العشر الأخيرة ، من القرن الأول الميلادى ، قام شخص يدعى يوحنا ، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس * (خلافا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ الأثنى عشر) وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الإنجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفة الخاصة التى كانت تعتبر نفسها عالمية ، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان (٣٦) .

★ ★

محتويات الإنجيل : يشتمل هذا الإنجيل - حسب تصنيف علماء المسيحية - على الموضوعات الرئيسية الآتية :

« إفتاحية : تجسد الكلمة ١ : ١-١٨ .

١ - يسوع الرسول السماوى : عمله فى الدنيا ١ : ١٩-١١ : ٥٠ .
وهذه تشمل :

شهادة يوحنا (المعمدان) - دعوة أوائل التلاميذ - الآيات السبع : تحويل الماء خمرأ فى عرس قانا الجليل - شفاء ابن خادم الملك - شفاء المريض عندبركة بيت حسداً-أطعام الخمسة آلاف - يسوع يسير على البحر - يسوع يشفى أعمى منذ ولادته - يسوع يقيم لعازر من الأموات .

٢ - يسوع الرسول السماوى : عودته إلى الآب ١٣ : ١-٢٠ : ٢٩

* أعمال ١٢ : ٢٥ ، ١٣ : ٥ ، ١٣ ، ١٥ : ٢٧ .
(٣٦) المرجع ١٨ - ص ٨١ .

وهذه تشمل :

رواية الآلام - العشاء الأخير - خطبة الوداع الأولى - خطبة الوداع الثانية - الصلاة الكهنوتية العظمى - موت يسوع - قيامة يسوع - ملحق « (٣٧) » .

مشاكل إنجيل يوحنا :

١ - تقول دائرة المعارف الأمريكية : « إن إنجيل يوحنا الذى انتسب صوابا أو خطأ إلى : التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، يعتبر الإنجيل المحبوب للكثيرين ، بيد أن العلماء يجادلون فيه باعتباره جزءا من : مشكلة يوحنا . ولهذا الجدل أسباب قوية منها :

أولا - يوجد ذلك التضارب الصارخ بينه وبين الإنجيل (الثلاثة) المتشابهة .. فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس للتسلسل التاريخي للأحداث ، فتجعل منطقة الجليل هى المحل الرئيسى لرسالة يسوع ، بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت المركز الرئيسى .

ثانيا - وهناك مشكلة الأصحاح الأخير (رقم ٢١) من الإنجيل . إن القارى العادى يستطيع أن يرى أن الإنجيل ينتهى بانسجام تام بانتهاء الأصحاح العشرين الذى يقول :

وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه .

إن هذا الإعلان يبين بوضوح الغرض الذى كتب من أجله هذا الكتاب (الإنجيل) . بعد ذلك يأتى الأصحاح (الأخير) الذى نخبرنا أن يسوع

ظهر كرب أقيم من الأموات إلى خمسة تلاميذ واثنين آخرين غامضين ، وأنه أرشدهم إلى صيد السمك بمعجزة ، وأنه قال لبطرس : أرفع خرافى : ثم تاتى فقرة قد تشير مبكراً إلى استشهدا يوحنا (٢١ : ٢٣) ، وكذلك تعليق مبهم يقول : هذا هو التلميذ الذى جاء عن طريق الجماعة التى تشير إلى نفسها بكلمة : نحن (نعلم) ..

وفى حقيقة الأمر فإن هؤلاء يصعب تحديدهم « (٣٨) .

٢ - وقد ظهر شىء من التألف بين انجيل لوقا ويوحنا مما ساعد على ظهور نظرية تقول بان يوحنا استخدم انجيل لوقا كاحد مصادره - إلا أن هذه النظرية تجد معارضة بسبب الاختلاف الواضح بين الانجيلين فى المواضيع المشتركة بينهما :

« فكلا الإنجيلين يتحدث عن بطرس وصيد السمك بمعجزة ، لكن أحدهما (لوقا) يضع القصة مبكراً فى رسالة يسوع فى الجليل ، أما الآخر (يوحنا) فيضعها بعد قيامته من الأموات (لوقا ١ : ٥ - ١١) ، يوحنا ٢١ : ١ - ١٤) .

وكلاهما يحدثنا بلغة مشتركة عن كيفية مسح يسوع (بالطيب) من امرأة ، لكنها فى أحدهما (لوقا) كانت زانية فى بيت فريسى ، بينهما هى فى الآخر (يوحنا) كانت امرأة صديقة ليسوع وأن ذلك حدث فى بيتها (لوقا ٧ : ٣٦ - ٣٨ ، يوحنا ١٢ : ١ - ٨) . . .

إن النتيجة التى لا مفر من التسليم بها هو أن لوقا ويوحنا كانا يعتمدان على مجريين متقارنين من التقاليد المنقولة شفاها « (٣٩) .

*

إن مشكلة إنجيل يوحنا - الذى ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح ، والذى لا يعلم بالضبط موضع كتابته وتوقيتها - تركز أساسا فى اختلافه مع بقية الإنجيل ، ذلك الاختلاف البين فى الوقائع والتعاليم .

(٢٨) المرجع ١٦ - الجزء ١٦ - ص ١٥٩ .

(٢٩) المرجع ٨ - ص ٢٠ ، ٢١ .

الباب الثاني

مشاكل رئيسية في الأناجيل

- الاختلاف الكثير
- خطأ الاستشهاد بالعهد القديم

الفصل الثالث

الاختلاف في الكثير

مقدمة :

لقد عرفنا باقتضاب شديد الخطوط العامة للأناجيل الأربعة ونشأتها وكيفية تكوينها ، ثم ذكرنا بعض المشاكل التي ترتبط بكل منها .

وإذا نظرنا إلى هذه الأناجيل الأربعة كمرجع رئيسي ، يروى أحداثا ، ويذكر تعاليمًا تبني عليها عقيدة دينية واحدة - كما يجب أن نتوقع - لوجدنا بتلك الأناجيل عدداً من المشاكل الكبيرة التي يمكن أن تندرج تحت القضايا الرئيسية الآتية :

أولاً - الاختلاف الكثير .

ثانياً - خطأ الاستشهاد بالعهد القديم .

ثالثاً - قضية الصلب .

رابعاً - قضية القيامة والظهور .

ولسوف ندرس كلا من التفسيرين الأولى والثانية في فصل مستقل ، أما القضيتان الثالثة والرابعة ، فنظراً لكونها صارتا من الركائز الأساسية التي تقوم عليها العقائد المسيحية ، كان لزاما علينا أن نفرّد لكل منهما باباً مستقلاً يتسع لمناقشة مختلف جوانب القضية .

ونبدأ في هذا الفصل الثالث مناقشة قضية الاختلاف الكثير الذي نجده في الأناجيل .

ونكتفى في قضية الاختلاف الكثير بدراسة ست مشاكل هي :

- نسب المسيح - أسماء التلاميذ - روايات مختلفة - روايات متنافرة -
تحريف القاب المسيح والكلمات الحاكمة - ثم تنبؤات لم تتحقق .
وفما يلي دراسة مركزة لكل من هذه المشاكل .

* *

١ - نسب المسيح

المسيح ينسب ليوسف خطيب مريم

يقول إنجيل متى في ولادة المسيح : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا (جنسياً) وجدت حيلي من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً . ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذي جبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها (يعاشرها معاشرة الأزواج) حتى ولدت ابنها البكر . ودعا إسمه يسوع - ١٨:١ - ٢٥ » .

ولقد ذكر كل من متى ولوقا تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف هو أبوه الشرعي . والسبب في ذلك - كما يقول جون فنتون - هو أن : « متى قد اعتقد بأن يسوع قد جاء من نسل داود وفي نفس الوقت حمل به من الروح القدس . وهو لذلك يبين لنا أن يوسف الذي تزوج مريم كان ابناً لداود (١ : ٢٠) ، وأن يسوع قد جبل به قبل أن يجتمعا (١ : ١٨) . وبناء على هذا فقد أصبح يوسف هو الأب الشرعي ليسوع ، وكان يسوع بذلك ابناً لداود حمل به بمعجزة » (١) .

*

ويزيدنا جورج كيرد أيضا كما فيما يتعلق باعتبار يوسف أبا للمسيح فيقول :
« إن يوسف يشار له دائما باعتباره أبا ليسوع ، وعن طريق يوسف ،
إنحدر يسوع من داود ..

لقد تعود اليهود دائما على فكرة الأبوة الشرعية ، إذ أن التشريع
العجيب (المذكور في سفر التثنية ٢٥ : ٥-٦) والذي يجبر أخا المتوفى من
غير ذرية على الزواج من أرملة أخيه ، كان يقضى بأن يرد النسب الشرعي
للطفل (المولود نتيجة لهذا الزواج) إلى زوج أمه الأول ، بدلا من نسبة
إلى أبيه الحقيقي (وهو زوجها الثاني) « (٢) .

*

اختلاف متى ولوقا في نسب المسيح

والآن ننظر في نسب المسيح الذي هو نسب يوسف زوج مريم ، كما
ذكره كل من متى ولوقا .

يقول متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم .

إبراهيم ولد اسحق . واسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا
وأخوته . ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ... وسلمون ولد بوغز من
راحاب وبوغز ولد عوبيد من راعوث . وعوبيد ولد يسي . ويسي ولد داود
الملك . وداود الملك ولد سليمان من التي لاويا . وسليمان ولد رحبعام ...
ويهو شافاط ولد يورام . ويورام ولد عزيا . وعزيا ولد يوثام .

ويوثام ولد آحاز ... وآمون ولد يوشيا . ويوشيا ولد يكيئا
وأخوته عند سبي بابل . وبعد سبي بابل يكيئا ولد شالثيل . وشالثيل
ولد زربابل ... ومثان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم
التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح .

فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا . ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا . ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا - ١:١-١٧ .

★

ويقول لوقا : ولما ابتدأ يسوع (دعوته) كان له نحو ثلاثين سنة . وهو على ما كان يظن : ابن يوسف بن هالي . بن ماثث بن لاوى بن ملكى بن ينان بن يوسف . بن ماثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاي . بن مآث بن ماثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا . بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالثيل بن نيرى . بن ملكى بن ادى بن قضم بن المودام بن غير . بن يوسى بن اليعازر بن يوريم بن ماثث بن لاوى . بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم . بن مليا بن ميان بن ماثا بن ناثن بن داود . بن يسى بن عوبيد بن بوغز بن سلمون بن نحشون . بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا . بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ... ٣:٢٣-٣٤) .

★

هذا - ولقد وردت أنساب الآباء في أسفار العهد القديم وخاصة سفرى التكوين وأخبار الأيام الأول . ولمعرفة حقيقة نسب المسيح كما ورد في الكتاب المقدس ، فإننا نكتفى بدراسة هذا النسب للأجيال من داود إلى يوسف زوج مريم حسبما تسمح به البيانات المذكورة في : سفر أخبار الأيام الأول (الأصحاح الثالث) ، وإنجيل متى (الأصحاح الأول) ، وإنجيل لوقا (الأصحاح الثالث) - وهو مانتبينه من الجدول التالى :

| انجيل متى | انجيل لوقا | انجيل متى | انجيل لوقا | انجيل لوقا | انجيل لوقا | انجيل لوقا |
|-----------|------------|-----------|------------|------------|------------|------------|
| داود | داود | داود | داود | داود | داود | داود |
| سلیمان | سلیمان | نathan | نathan | نathan | نathan | نathan |
| رحبعام | رحبعام | متانا | متانا | متانا | متانا | متانا |
| أبیا | أبیا | مینان | مینان | مینان | مینان | مینان |
| آسا | آسا | ملیا | ملیا | ملیا | ملیا | ملیا |
| یهوشافاط | یهوشافاط | الباقیم | الباقیم | الباقیم | الباقیم | الباقیم |
| یورام | یورام | یونان | یونان | یونان | یونان | یونان |
| عزیا | عزیا | یوسف | یوسف | یوسف | یوسف | یوسف |
| ... | ... | یهوذا | یهوذا | یهوذا | یهوذا | یهوذا |
| ... | ... | شمعون | شمعون | شمعون | شمعون | شمعون |
| ... | ... | لاوی | لاوی | لاوی | لاوی | لاوی |
| یوثام | یوثام | مثنات | مثنات | مثنات | مثنات | مثنات |
| آحاز | آحاز | بوریم | بوریم | بوریم | بوریم | بوریم |
| حزقیا | حزقیا | اليعازر | اليعازر | اليعازر | اليعازر | اليعازر |
| منسی | منسی | بوسی | بوسی | بوسی | بوسی | بوسی |
| آمون | آمون | عبر | عبر | عبر | عبر | عبر |
| یوشیا | یوشیا | المودام | المودام | المودام | المودام | المودام |
| ... | ... | قصر | قصر | قصر | قصر | قصر |
| یکنبیا | یکنبیا | أدی | أدی | أدی | أدی | أدی |
| شالتیل | شالتیل | ملکی | ملکی | ملکی | ملکی | ملکی |
| ... | ... | نیری | نیری | نیری | نیری | نیری |

إن الجدول السابق يكشف عن عدد من الملاحظات التي لا تخفى على أحد ، حتى ولو كان قارئاً عادياً من غير المتخصصين .

ولقد تحدث المفسرون المسيحيون في هذه الملاحظات فكان ما قالوه :
« من المحتمل أن يكون متى قد استمر في الاعتماد على سفر أخبار الأيام الأول (٣ : ٥ ، ١٠ - ١٦) إلا أنه حذف ثلاثة أجيال بين بورام ويوثام ، كما حذف يهوياقيم بعد يوشيا .

أما تسلسل النسب في لوقا فإنه يسير خلال ابن آخر لداود هو ناثان (خلافاً لما في متى الذي يسير به الى سليمان) .

ولقد استطاع متى أن يأخذ الأسماء الثلاثة : يكتينا وشالتيل وزربابل ، من اخبار الأيام الأول ٣ : ١٦ ومايلها ، أما بالنسبة لبقية الأسماء المذكورة في قائمته ، فلم يكن لديه أى مصدر مكتوب ، حسبنا نعلم .

كذلك فإن لوقا قد أورد في قائمته : شالتيل وزربابل ، لكنه لم يذكر احداً من الآخرين (المذكورين في متى) .

ويشير متى إلى أنه في كل من العصور الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلاً رغم أنه في الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر إسماً في الجيل الأخير ابتداءً من ١ : ١٢ - ١٦ « (٣)

« وفي منتصف قائمة لوقا ، نجد هذه الأسماء الثلاثة : يوحنا بن ريسا بن زربابل - لكن يوحنا هو صيغة أخرى لاسم حنيا الذي كان ابناً لزربابل إن هذا الشخص ريسا لم يذكر البتة في سفر أخبار الأيام الأول (٣ : ١٩) لكن ريسا هي كلمة آرامية تعنى أمير .

ولابد أنها كانت ملحقة في القائمة الاصلية كلقب يسبق إسم زربابل وهو الرجل الوحيد الذى كان يمكن الإشارة إليه بهذا اللقب بعد عام ٥٨٦ ق . م (عام السبي البابلي) .

«إن الخطأ الذي لحق بقائمة لوقا يمكن إرجاعه الى أن القائمة الإصلية (التي نقل عنها) كانت مصنفة بترتيب عكسي هكذا : زربابل الامير ولد يوحنا» (٤) .

وخلاصة القول في نسب المسيح ، أننا إذا اعتبرنا سفر أخبار الأيام الأولى هو المرجع الرئيسي لأنساب الآباء نجد الآتى :

١ - أخطأ متى في سلسلة نسب المسيح حين أسقط منها في الواقع خمسة أسماء (المسلسلات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ، ٢١) .

٢ - أخطأ لوقا حين أضاف ريسا (المسلسل ٢٤) بن زربابل ويوحنا.

٣ - اختلف لوقا مع متى اختلافا جوهريا ، حين جعل يوسف زوج مريم ينحدر من نسل ناثان بن داود ، بينما جعله متى ينحدر من نسل سليمان بن داود .

٤ - ولما كان كل من متى ولوقا ينقل أنسابه عن مصادر مختلفة فقد تراكت الاخطاء ونتج عن ذلك أن بلغ عدد الاجيال المذكورة من داود الى يوسف ٢٧ حسب رواية متى ، و٤٢ حسب رواية لوقا .

*

ما سبق يتبين أنه لايمكن الأخذ برواية أى من متى أو لوقا عن نسب المسيح إذ لو اعتبرنا أحدهما صحيحا لكان الآخر مخطئا ولاشك .

٢ - أسماء التلاميذ

يقول متى في انجيله : «أما أسماء الأثنى عشر رسولا فهى هذه . الأول سمعان الذى يقال له بطرس ، وأندراوس أخود . يعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه . فيلبس ، وبرثولماوس . توما ، ومتى العشار . يعقوب بن حلفى ، ولباوس المقلب تداوس . سمعان القانوى ، ويهوذا الاسخريوطى - ١٠ : ١ - ٤»

*

ويتفق هذا مع اسماء التلاميذ التي ذكرها مرقس في ٣ : ١٦ - ١٩

★

لكن لوقا يقول : « لما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين ساهم أيضا رسلا . سمعان الذي سماه أيضا بطرس ، وأندراوس أخاه . يعقوب ، ويوحنا . فيايس ، وبرثولماوس . متى ، وتوما . يعقوب بن حلفي ، وسمعان الذي يدعى الغيور . يهوذا أخا يعقوب ، ويهوذا الاسخريوطي - ٦ : ١٣ - ١٦ .

★

ويذكر يوحنا أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذي يقول عنه : يهوذا ليس الاسخريوطي - ١٤ : ٢٢ .

★

من الواضح أن هناك اختلافا بين ما ذكره متى ومرقس من جانب وبين لوقا ويوحنا من جانب آخر ولهذا يقول جون كيرد : « عندما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ . إن يهوذا بن يعقوب لا يظهر في القائمة المذكورة في انجيل كل من مرقس ومتى ، بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس » (٥)

واكثر من هذا فان يهوذا (غير الخائن) يذكر في التراجم المعتمدة (٦) لانجيل لوقا ، مرة باسم ، يهوذا أخا يعقوب ، ومرة أخرى باسم ، يهوذا ابن يعقوب .

(٥) المرجع ٨ - ص ١٠١ .

* «And Judas the brother of James» (A. V.) — «And Judas the son of James» (R. S. V.)

٣ - روايات مختلفة

شجرة التين :

يقول انجيل متى : « ودخل يسوع الى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل . . وقال لهم . مكتوب بيني بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص . . ثم تركهم وخرج خارج المدينة الى بيت عنيا وبات هناك .

وفي الصباح إذ كان راجعا الى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها لا يكن منك ثمر بعد الى الابد . فيبست التينة في الحال .

فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة في الحال . فأجاب يسوع وقال لهم . الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكون .. إن قلتم لهذا الجبل أنتقل وانطرح في البحر فيكون . وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه - ٢١ : ١٨ - ٢٢ » .

*

لكن انجيل مرقس يقول في هذا الحادث : « وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع . فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا . لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمرا بعد الى الابد . وكان تلاميذه يسمعون .

وجاءوا الى اورشليم . ولما دخل يسوع الهيكل أبدا يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وكان يعلم قائلهم اليس مكتوبا بيني بيت صلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص . . ولما صار المساء خرج الى خارج المدينة وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول . فتذكر بطرس وقال له ياسيدي أنظر التينة التي لعنتها قد يبست فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله . لأنى الحق أقول لكم أن من قال لهذا الجبل أنتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فهما قال يكون له - ١١ : ١٢ - ٢٣ » .

*

من الواضح أن هناك إختلافا بين الروايتين ، يمكن تلخيصه في الآتي :

١ - بينما يذكر انجيل متى أن تطهير يسوع للهيكل من الباعة والصيافة قد حدث قبل أن يمر بشجرة التين ثم يلغنها ، نجد عكس ذلك في انجيل مرقس الذي يذكر حادث شجرة التين قبل تطهير الهيكل .

٢ - أن تفصيلات حادث شجرة التين مختلفة في كل منهما إختلافا لا يخفى على أحد . ويشير جون فنتون إلى نقط الخلاف بينهما فيقول : « نجد في انجيل مرقس أن يسوع يبحث عن ثمر في الشجرة ، ويلغنها في نفس اليوم ، ثم يلفت بطرس نظر يسوع إلى جفافها في اليوم التالي .

لكنه نتيجة لما قام به متى من إعادة ترتيب الرواية ، فإن جميع أحداثها تقع في نفس اليوم » (٧) .

★ ★

سؤال إبنى زيد :

يقول مرقس في انجيله : « وتقدم إليه يعقوب ويوحنا إبننا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ماطلبناه .

فقال لهما ماذا تريد أن أفعل لكما .. فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر على يسارك في مجدك - ١٠ : ٣٥ - ٣٧ .

*

لكن انجيل متى يقول : « حينئذ تقدمت إليه أم إبنى زبدي مع ابنها وسجدت وطلبت منه شيئا فقال لما ماذا تريدان . قالت له قل إن يجلس إبنائى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك - ٢٠ : ٢٠ - ٢١ .

★ ★

« لقد أحدث متى بعضاً من التغييرات والحذف لما في انجيل مرقس ١٠: ٣٥ وأهم ما في ذلك أنه بينما في انجيل مرقس نجد أن التلميذين نفسيهما يطلبان (من يسوع) ، إذا بأمهما هي التي تطلب منه ، حسب رواية انجيل متى (٨) .

★ ★

المجنون والاعمى والحمار :

يقول مرقس : « ولما خرج (يسوع) من السفينة للوقت أستقبله من القبور إنسان به روح نجس .. فلما رأى يسوع من بعيد .. وصرخ بصوت عظيم .. استحلفك بالله ان لا تعذبني .. لأنه قال له اخرج من الانسان ايها الروح النجس . وسأله (يسوع) ما اسمك . فأجاب قائلاً اسمي لجئون لأننا كثيرون .. وكان هناك عند الجبال قطع كبير من الخنازير يرعى . فطلب إليه كل الشياطين قائلين ارسلنا إلى الخنازير لندخل فيها .. فخرجت الارواح النجسة ودخلت في الخنازير . فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر .. فاختنق في البحر - ٥: ٢-١٣ .

★

وكذلك يقول لوقا : « إستقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور ٠٠-٨: ٢٧ .

★

لكن متى يقول في نفس الحادث : « إستقبله مجنونان خارجان من القبور .. وإذا هما صرخا قائلين مالنا ولك يا يسوع .. وكان بعيداً منهم قطع خنازير كثيرة ترعى . فالشياطين طلبوا إليه قائلين ان كنت نخرجنا فأذن لنا ان نذهب إلى قطع الخنازير .. وإذا قطع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات في المياه - ٨: ٢٨ - ٣٢ .

★

وهنا « نلاحظ أن متى قد زاد عدد المجانين : فجعل الواحد
اثنين (٩) » :

★ ★

ويقول مرقس : « وجاءوا إلى اريحا . وفيما هو خارج من اريحا مع
تلاميذه وجمع غفير كان بارتيمائوس الأعمى جالسا على الطريق يستعطى .
فلما سمع انه يسوع الناصري إبتدأ يصرخ ويقول يا يسوع بن داود
ارحمي . . فقال له يسوع اذهب ايمانك قد شفاك . فللوقت ابصر وتبع
يسوع في الطريق - ١٠ : ٤٦ - ٥٢ » .

★

وكذلك يقول لوقا : « ولما اقترب من اريحا كان اعمى جالسا على
الطريق . فصرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني .. - ١٨ : ٣٥ - ٣٨ » .

★

لكن متى يقول في هذا : « وفيما هم خارجون من اريحا . . إذا
اعميان جالسان على الطريق صرخا قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود . ففتح
يسوع ولمس اعينهما فللوقت ابصرت اعينهما فتبعاه - ٢٠ : ٢٩ - ٣٤ » .

★

لقد ضاعف متى الاعداد أيضاً هنا : فجعل الاعمى الواحد في كل من
انجيل مرقس ولوقا اعميين في انجيله .

★ ★

وفي دخول أورشليم الأخير يقول مرقس : « لما قربوا من أورشليم ..
أرسل (يسوع) اثنين من تلاميذه . وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما ..
تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتياه .
وإن قال لكما أحد لماذا اتفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه . ففضيا
ووجدا الجحش . فاتيا بالجحش إلى يسوع - ١١ : ١ - ٧ » .

وكذلك يقول لوقا : « أرسل إثنين من تلاميذه قائلاً أذهبا إلى القرية ..
تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط .. فضى المرسلان :.
واتيا به إلى يسوع - ١٩ : ٢٩-٣٥ .

*

ويقول يوحنا : « ووجد يسوع جحشا فجلس عليه - ١٢ : ١٤ »

*

لكن متى يقول : « ولما قربوا من أورشليم .. أرسل يسوع تلميذين قائلاً
لها إذهبا إلى القرية .. تجدان أتاناً مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتيا
بهما .. فذهب التلميذان .. واتيا بالأتان والجحش - ٢١ : ١-٧ » .

*

«ان قول متى : أتاناً مربوطة وجحشا معها ، يخالف قول مرقس (ولوقا)
جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس (١٠) » .

ومرة أخرى نجد ان متى قد ضاعف اعداد الحمير فجعل الواحد اثنين
ولا شك أن هذه الشواهد - وغيرها - توضح لنا معنى قول علماء المسيحية
بأن : انجيل متى يعتبر نسخة مطولة من انجيل مرقس .

٤ - روايات متنافرة

يوحنا والمسيح :

لقد كان كل من يوحنا المعمدان والمسيح يعرف أحدهما الآخر معرفة
وثيقة ، فهما نبيان تعاصرا وتقابلا علاوة على أنهما أقرباء . فحين بشر الملاك
مريم بحملها قال لها : « هو ذا البصابات (زوجة زكريا) نسيبتك هي أيضاً
حبلي باين في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا . لأنه
ليس شيء غير ممكن لدى الله - لوقا ١ : ٣٦-٣٧ » .

ولقد بشر يوحنا بالمسيح وعمده في ماء الاردن ، وكان ذلك ايدانا بيده
دعوة المسيح الذي تحقق يوحنا من حقيقة شخصيته حين رأى الروح نازلا
عليه من السماء .

وفي هذا يقول انجيل يوحنا (التلميذ) على لسان يوحنا المعمدان :
« انا أعمد بماء ولكن في وسطكم قائم الذي لسم تعرفونه . هو الذي يأتي
بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سبور حذائه ..

وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال . . هذا هو الذي قلت عنه
يأتي بعدي رجل صار قدامي .. وشهد يوحنا قائلا قد رأيت الروح نازلا مثل
حمامة من السماء فاستقر عليه - ١ : ٢٦ - ٣٢ .

★

وبالمثل يقول كل من انجيل مرقس (١ : ٧-١٠) ، وانجيل لوقا
(٣ : ١٦-٢١) .

★

وكذلك يقول متى ، إلا أنه يضيف فقرة تبين حرج يوحنا من طلب
المسيح التعميد منه باعتبار الأخير أفضل منه - وذلك في قوله : « لكن
يوحنا منه قائلاً أنا محتاج أن أعتد منك وأنت تأتي إلي فأجاب يسوع وقال له
اسمح الآن . لأنه يليق بنا ان نكمل كل بر . حينئذ سمح له - ٣ : ١٤-١٥ .

★

مما سبق يتبين لنا أن جميع الاناجيل تجمع على أن يوحنا كان يعلم تماما أنه
يعمد المسيح المنتظر . لكن متى ولوقا نسيا ذلك كله وعادا ليخبرانا بان يوحنا
بعد ان سجن أرسل بعض تلاميذه ليسألوا يسوع عما اذا كان هو المسيح
المنتظر أم لا . وفي هذا يقول :

« أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه -
وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر . فأجاب يسوع وقال لهما أذهبا وأخبرا
يوحنا بما تسمعان وتظران . العمى يبصرون والعمى يمشون - متى ١١ : ٢-٥ ،
لوقا ٧ : ١٩ - ٣٢ . »

★

وجدير بالذكر أن الاضطهاد الذي لقيه يوحنا المعمدان حدث على يد هيرودس الحاكم الذي « كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه إذا كان قد تزوج بها . لأن يوحنا كان يقول لهيرودس لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك - مرقس ٦ : ١٧ - ١٨ ، متى ١٤ : ٣ - ٤ . »

ويعلق جون فنتون على هذه الفقرة قائلاً : « لقد كان مرقس مخطئاً بالتأكيد في قوله ان هيروديا كانت زوجة لفيلبس ، فقد كانت زوجة لهيرودس آخر الذي كان اخا غير شقيق لهيرودس أنتيباس . ان حذف اسم فيلبس من نصوص بعض المراجع المعتمدة ، قد تكون محاولة متاخرة لإصلاح الخطأ الذي وقع فيه متى حين اقتضى أثر مرقس « (١١) . »

★ ★

بطرس والمسيح

بطرس وكيل للمسيح وشيطان : تقول الأناجيل : « خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس . وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس إنى أنا . فأجابوا . يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون واحد من الأنبياء فقال لهم وأنتم من تقولون انى أنا . فأجاب بطرس ، وقال له أنت المسيح - مرقس ٨ : ٢٧ - ٢٩ ، متى ١٦ : ١٣ - ١٦ . »

ويزيد إنجيل متى على ذلك أن المسيح كافأ بطرس على تلك الشهادة بقوله : « طوبى لك ياسمعان بن يونا .. أعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات متى ١٦ : ١٧ - ١٩ . »

من ذلك يتضح أن المسيح أعطى بطرس تفويضاً مطلقاً أن يقول ويفعل ما يشاء .

بعد هذا القول مباشرة - الذى انفرده متى - فإنه يعود للاتفاق مع مرقس فى قولهما : « من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة . فأخذه بطرس إليه وابتداء ينهره قائلاً حاشاك يارب ! لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان . انت معثرة لى لانك لا تهتم بما لله بل للناس - متى ١٦ : ٢١ - ٢٣ ، مرقس ٨ : ٣١ - ٣٣ »

إن هذا القول « اذهب يا شيطان » هو ما قاله المسيح للشيطان حين كان يغريه لكى يجيد عن طريق الله كما يذكر متى ٤ : ٢٠ ، ولوقا ٤ : ٨ .

لقد نسى كاتب إنجيل متى التوفيق بين ماسطره فى صفحة واحدة ، افتتحها بجمل بطرس : وكيلا للمسيح يحل ويربط كما يشاء ، لكنه مالبث أن اختتمها بجمل بطرس أيضاً : شيطاناً ومعثرة للمسيح .

* *

بطرس ينكر للمسيح :

فى بدء الدعوة وقف المسيح بين تلاميذه الإثنى عشر وفيهم بطرس يلقيهم تعاليم الرسالة ، ويحدد الصفات التى يجب أن يتحل بها المرسلون - إلى أن قال :

« كل من يعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله .

ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله - لوقا ١٢ : ٨ - ٩ ، متى ١٠ : ٣٢ - ٣٣ .

وفى ختام الدعوة جلس المسيح بين تلاميذه الإثنى عشر - وفيهم بطرس - وقال لهم : « كلكم تشكون فى هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتبتدد خراف الرعية . فأجاب بطرس وقال له وإن شك فىك الجميع فانا لا أشك أبداً .

قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصبح ديك تنكرني ثلاث مرات .

قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك . هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ - متى ٢٦ : ٣١ - ٣٥ ، مرقس ١٤ : ٢٧ - ٣١ ، لوقا ٢٢ : ٣٤ »

وتقول الأناجيل أن نبؤة المسيح في بطرس قد تحققت . ففي الساعات العصيبة « تركه التلاميذ وهربوا .. وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة . فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية .. فكان جالساً خارجاً في الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي .

فأنكر قدام الجميع قائلاً لست أدري ما تقولين . ثم إذا خرج إلى الدهليز رآته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري . فأنكر أيضاً بقسم أني لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم فان لغتك تظهرك .

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل (المسيح) - متى ٢٦ : ٥٦ - ٧٤ ، مرقس ١٤ : ٦٦ - ٧١ ، لوقا ٢٢ : ٥٤ - ٦٠ »

بهذا وقع بطرس في المخطور ، وألقى بنفسه في دائرة الهلاك ، إذ لا بد وأن ينكره المسيح أمام الله تحقيقاً لما سبق أن نطق به .

لكننا نقرأ بعد تلك الأحداث ، أن المسيح حين ظهر لتلاميذه في آخر عهده بهم ، فإنه عين بطرس خليفة له فيهم ورئيساً عليهم . فقد قال « لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتجبي أكثر من هؤلاء . قال له نعم يارب أنت تعلم أني أحبك . قال له أرع خرافي .

قال له أيضاً ثانية .. أرع غنمي . قال له الثالثة - يوحنا ٢١ : ١٥-١٧ »

قيامه المسيح من الأموات

يقول إنجيل مرقس أن المسيح بعد أن مات ودفن فإنه قام من الأموات ثم « ظهر أولاً لمريم المجدلية .. فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه .. فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته (مريم) لم يصدقوا .

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لإثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية وذهب هذان وأخبرا الباقيين فلم يصدقوا ولا هذين (الإثنين) - ١٦ :

٩ - ١٣ » .

لكن إنجيل لوقا يقول أن المسيح ظهر إلى إثنين « منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة .. فتأما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الاحد عشر مجتمعين هم والذين معهم . وهم يقولون أن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان . وأما هما فكانا يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه - ٢٤ : ١٣ - ٣٥ » .

لاشك في أن « رواية مرقس ١٦ : ١٣ تكشف عن وجود إختلاف صارخ مع ما يقوله لوقا في ٢٤ : ٣٤ » (١٢) .

فعلی حسب رواية مرقس نجد أن التلاميذ ومن معهم لم يؤمنوا بقيامة المسيح من قبل أن يأتيهم الإثنين ومن بعد ما أخبرهم بظهوره - ولكن على حسب رواية لوقا نجد أن التلاميذ ومن معهم آمنوا بقيامة المسيح ، وكانوا ، « يقولون أن الرب قام بالحقيقة » قبل أن يخبرهم الإثنين بقيامته وظهوره .

٥ - تحريف القاب المسيح والكلمات الحاكمة

ذكرنا فيما سبق ما توصل إليه العلماء من « أن القديسين متى ولوقا عندما كانا يكتبان فقد وضعنا أمامها نسخا من إنجيل مرقس ، وأنهما أدمجاني الغالب كل ما في ذلك الإنجيل في إنجيلهما » (١٣) وإن المقارنة البسيطة بين الأناجيل الثلاثة المتشابهة تكشف عن « أن ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس توجد في إنجيل متى ، وأن ٥١٪ منها توجد في إنجيل لوقا ، كما أن أغلب كلمات مرقس بنصوصها تظهر في هذا أو ذلك . ولا يوجد سوى ٣١ عدداً من مجموع أعداد إنجيل مرقس التي تبلغ ٦٦١ - اسقطها كل من متى ولوقا » (١٤) .

لكن عملية النقل هذه - التي قام بها الكاتبان - قد صاحبها أمر جليل ألا وهو تحريف لأغلب القاب المسيح ، والكلمات الحاكمة في أقواله وأقوال تلاميذه ، كما رواها مرقس .

وتتضح هذه الظاهرة عند مقارنة الفقرات المتماثلة وخاصة بين إنجيلي مرقس ومتى كما في الأمثلة الآتية :

يقول مرقس على لسان المسيح : « إن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي - ٣ : ٣٥ » .

ويقول متى في نفس المعنى : « إن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي - ١٧ : ٥٠ » .

*

وفي سؤال ابني زبدي - يتول مرقس : أما الجلوس عن يميني وعن يساري (في الملكوت) فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم - ١٠ : ٤٠ ، لكن متى زاد على هذا فقال : « أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي - ٢٠ : ٢٣ » .

*

(١٣) المرجع ٦ - ص ١١ .

(١٤) المرجع ٤ - ص ١١٧ .

وحين سأل المسيح تلاميذه عما يقولون فيه - يقول مرقس أن بطرس قال له « أنت المسيح - ٨ : ٢٩ » .
لكن متى زاد على هذا قوله : « أنت هو المسيح بن الله الحي
١٦ : ١٦ » .

*

ويقول مرقس : « ظهر لهم مع موسى . . فجعل بطرس يقول ليسوع
يا سيدي جيد أن نكون ههنا - ٩ : ٤ - ٥ » .
لكن متى غير اللقب فقال : « .. فجعل بطرس يقول ليسوع يارب
جيد أن نكون ههنا - ١٧ : ٤ » .

*

ويروى مرقس عن المسيح قوله لتلاميذه : « الحق أقول لكم أن من
التيام ههنا قوم لا يدوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة ٩ : ١ » .
لكن متى يقول : « الحق أقول لكم حتى يروا ابن الانسان
آتيا في ملكوته - ١٦ : ٢٨ » .

*

ويقول مرقس : « أجاب واحد من الجمع وقال يا معلم قد قدمت
إليك ابني به روح أخرس - ٩ : ١٧ » .
أما متى فيقول : « تقدم إليه رجل جائياً له وقائلاً يا سيدي ارحم ابني -
١٧ : ١٤ ، ١٥ » .

*

ويقول مرقس أن الأعمى الذي شفاه المسيح وهو خارج من أريحا كان
يقول له : « يا يسوع ابن داود ارحمني يا ابن داود ارحمني - ١٠ : ٤٧-٤٨ »
لكن متى يقول انهما كانا أعميان يقولان : يا سيدي يا ابن داود . .
يا سيدي يا ابن داود - ٣٠ : ٣٠ ، ٣١ » .

*

ويذكر مرقس أن اليهود الذين سخروا من المسيح كانوا يقوون :
أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان - ٦-٣ .
ولقد غير متى هذا القول - فقال : « أليس هذا ابن النجار . أليست
أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أو ليست إخوته
جميعهن عندنا - ١٣ : ٥٦ ، ٥٥ » .

*

هذا - ولم يقتصر حدوث التحريف على حالة النقل من إنجيل إلى
إنجيل - وقد رأينا بعض ما فعله كاتب إنجيل متى بإنجيل مرقس - بل
إنه حدث عند النقل من النسخ القديمة لبعض الأناجيل لعمل نسخ أخرى
جديدة من ذات الإنجيل .

ولما كان إنجيل مرقس يعتبر المصدر الرئيسي لكل من انجيلي متى ولوقا
فسوف نكتفي بذكر عدد محدود جداً من الأمثلة لما تعانیه النسخ المختلفة من
ذلك الإنجيل - لإنجيل مرقس - من اختلاف .

يقول كاتب إنجيل مرقس في أول سطر فيه .

« بدء إنجيل يسوع المسيح بن الله - ١ : ١ » .

لكن « بعض المراجع القديمة تحذف : ابن الله » (١٥) .

أى أن السطر الأول من انجيل مرقس يقرأ فيها هكذا :

« بدء إنجيل يسوع المسيح »

*

ويعلق جون فنتون على هذه الظاهرة التي لحقت بالأناجيل ومنها إنجيل
متى فيقول :

« لقد حدث تحوير ملحوظ في مخطوطات (الأناجيل) وذلك في

المواضع التي ذكرت فيها القاب الرب (يسوع) » (١٦) .

*

(١٥) المرجع ٦ - ص ٥٦ .

(١٦) المرجع ٧ - ص ٢٧١ .

ويقول إنجيل مرقس : « وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له هوذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك - ٣ : ٣٢ » .

لكن مراجع أخرى أكثر قدما تضيف « وإخواتك » (١٧) .
وبذلك يقرأ هذا العدد : « وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له هوذا أمك وإخوتك وإخواتك خارجاً يطلبونك » .

*

وفي تعليم المسيح لتلاميذه بقول إنجيل مرقس في الاصحاح الحادى عشر :
« ٢٥ - متى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم » .
٢٦ - وان لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضاً زلاتكم » .

« إن العدد ٢٦ المذكور هنا يعتمد على ما ذكر فى المراجع القديمة ، إذ أنه محذوف من بعض النسخ الحديثة » (١٨) .

*

وثمة مثلين هامين يتعلقان بحادثة الصلب يوجد فيهما إختلاف بالإضافة أو الحذف وهما :

يقول إنجيل مرقس : « ١٧ - وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره .

٢٨ - فتم الكتاب القائل وأحصى مع أمه » .

« إن هذا العدد ٢٨ محذوف من النسخ الحديثة » (١٩) .

وكذلك قول مرقس : « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله - ١٥ : ٣٩ » .

(١٧) المرجع ٦ - ١١٨ .

(١٨) المرجع ٦ - ص ٢٩٧ .

(١٩) المرجع ٦ - ص ٤٢٠ .

« لكن المراجع الحديثة تخلو من الكلمة : صرخ » (٢٠) .

أى أن العدد ٣٩ يقرأ هكذا :

« ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه هكذا أسلم الروح ، قال حقاً

كان هذا الإنسان ابن الله . »

* *

ذلك بعض ما كان من تحريف القاب المسيح ، والكلمات الخاكمة التي

رويت عنه وعن تلاميذه وغيرهم ، مما ترك آثاره - ولا شك - إلى

الآن في اختلاف العقائد المسيحية وإثارة الجدل بين الطوائف المختلفة .

* * *

٦ - تنبؤات لم تتحقق

الاثنا عشر تلميذاً يصحبون المسيح في العالم الآخر

في حوار جرى بين المسيح وتلاميذه عمن تكون له النجاة في العالم

الآخر - سأل بطرس معلمه عن أجر المؤمنين فقال : « هانحن قد تركنا

كل شيء وتبعناك . فإذا يكون لنا ؟ » .

فأجابه المسيح : « متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون

أتم أيضاً على إثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر - متى

١٩ : ٢٧ - ٢٩ . »

لقد كان يهوذا الاسخريوطى أحد التلاميذ الإثني عشر الذين قيلت لهم

هذه النبوة وبعد خيانتته أصبح يعرف « بابن الهلاك » لأنه طرد من صحبة

المسيح في الدنيا والآخرة . وبهذا استحال تحقيق هذه النبوة .

وإذا رجعنا إلى نظير هذه الفقرة في إنجيل لوقا لوجدنا « أنه حذف

العدد : إثني عشر (كرسيّاً) ولعل ذلك يرجع (كما يقول فتون) إلى

أنه كان يفكر في يهوذا الاسخريوطى » (٢١) .

(٢٠) المرجع ٦ - ص ٤٢٦ .

(٢١) المرجع ٧ - ص ٣١٧ .

ولهذا نجد لوقا يقول على لسان المسيح : « أنا اجعل لكم كما جعل لى
أبى ملكوتا . لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى
تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر - ٢٢ : ٢٩ - ٣٠ » .

* *

المسيح يدفن فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال

حاول قوم من اليهود تعجيز المسيح فقالوا له : « يا معلم نريد أن نرى
منك آية .

فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية
يونان النبي لانه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ،
يكون هكذا ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال - متى
١٢ : ٣٨ - ٤٠ » .

إن هذا القول شائع فى الأناجيل ، وتكرر ذكره فى أغلبها وفى أكثر
من موضع ، فقد ذكر فى إنجيل متى - فى غير الموضع السابق - فى ١٦ :
٢١ ، ٢٠ : ١٩ ، وذكر فى إنجيل مرقس فى ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٤
وذكر فى إنجيل لوقا مع اختلاف هام يلاحظه القارىء - وذلك فى
قوله : « هذا الجليل شرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي .

لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً
لهذا الجليل - ١١ : ٢٩ - ٣٠ »

وذكرت الأيام الثلاثة فى إنجيل يوحنا ٢ : ١٩

*

ونقرأ فى سفر يونان (يونس) ما حدث له ، فقد « أعد (الرب)
حوتا عظيماً ليلتهم يونان . فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام
وثلاث ليال ..

فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت .. وأمر الرب الحوت
فقذف يونان إلى البر - ١ : ١٧ ، ٢ : ١٠ - ١٠

*

من الواضح إذن أنه لكي تتحقق هذه النبوءة ، فيجب أن يبقى المصلوب في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال .

ولكن إذا رجعنا إلى ما تذكره الأناجيل عن أحداث الصلب والقيامة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة (يوم الصلب) :
« ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت . جاء يوسف الذى من الرامة .. ودخل إلى بيلاطس (الحاكم) وطلب جسد يسوع .. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قدمات . ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف .

فاشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضع في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر - مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٦ .

وقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعيه أن ذلك القبر كان خالياً من الميت في الساعات الأولى من فجر يوم الأحد . وفي هذا يقول إنجيل متى :

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر .. فأجاب الملاك وقال للمرأتين .. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال - ٢٨ : ١ - ٦ »
كذلك يقول إنجيل يوحنا :

« وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر - ٢٠ : ١ »
وبعملية حسابية بسيطة نجد أن :

عدد الأيام التي قضها الميت في بطن الأرض (في القبر) = ١ يوماً
(يوم السبت)

عدد الليالي التي قضها الميت في بطن الأرض (في القبر) = ٢ ليلة
(ليلة السبت ، وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض)

وبذلك استحال تحقيق هذه النبوءة .

نهاية العالم تحدث في القرن الأول من الميلاد

عجيب هذا العنوان ...

كيف يقال أن العالم ينتهى في القرن الأول من الميلاد ؟ ! ...

إن ذلك ما تقوله الأناجيل .

فلقد رأينا - سلفاً - أن فكرة نهاية العالم سريعاً ، وما يتبعها من عودة المسيح ثانية إلى الأرض ، قد سيطرت على فكر الكتاب الذى أسهموا في كتابة أسفار العهد الجديد وكان لذلك آثاره الهامة على العقائد المسيحية ومصادرها .

ولهذا نجد الأناجيل تحدد موعد المجيء الثانى فتقول :

أن المسيح « دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض .. وأوصاهم قائلاً .. ها أنا أرسلكم كغنم وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمائم .. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى .

فانى الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان (المسيح) - متى ١٠ : ١ - ٢٣ »

أى أن عودة المسيح ثانية إلى الأرض تحدث قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل .

*

وهى لذلك تحدث قبل أن يكون معاصرى المسيح - الذين عاشوا في القرن الأول من الميلاد - قد ماتوا :

« إن ابن الإنسان سوف يأتى في مجد أبهى مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله .

الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته - متى ١٦ : ٢٧ - ٢٨ »

*

وبصورة أخرى تؤكد ما سبق ، فإن نهاية العالم وعودة المسيح ثانية إلى الأرض لا بد أن تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاش فى القرن الأول من الميلاد .

« بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء .. ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ..

الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله - متى
٢٤ : ٢٩ - ٣٤ ،

ويتفق كل من إنجيلى مرقس (١٣ : ٢٤ - ٣٠) ، ولوقا (٢١ : ٢٥ - ٣٢) مع ذلك التقرير الخطير الذى قرره إنجيل متى .

★

وبعد - لقد مضى نحو تسعة عشر قرناً على الموعد الذى ذكرته الأناجيل لنهاية العالم وعودة المسيح ثانية إلى الأرض .

ولا يزال العالم قائماً إلى الآن ، ولم يأت المسيح بعد .

وحتى لو عاد المسيح - ليصحح ما رواه كتبة الأُسُفار عنه وعن تلاميذه تاريخاً وفكراً وعقيدة - لما اتفق ذلك مع ما قرره كتبة الأناجيل .

الفصل الرابع

خطأ الاستشهاد بالعهد القديم

رسالة المسيح وشهادات العهد القديم

تقول الأناجيل أن المسيح بعد أن عمدته يوحنا في مياه نهر الأردن ، فإنه تعرض للتجربة والاختبار من الشيطان ، « ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين » .

لقد أصبح المسيح بهذا مهياً لحمل الرسالة .

وفي بدء دعوته فإنه « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل المجمع الذي حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر أشعياء النبي . ولما فتح السفر وجد الموضوع الذي كان مكتوباً فيه :

روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ..

ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس .. فابتدأ يقول لهم أنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم - لوقا ٤ : ١٣ - ٢١ »

لقد أعلن المسيح بهذا أن رسالته تجدها سنداً في أسفار العهد القديم ، فليؤمن اليهود إذن بالدعوة وصاحبها .

*

ولقد كان الرجوع إلى إشارات العهد القديم وسيادة هامة يستعين بها المسيح في محاوراته مع تلاميذه ، وفي مواضع الجدل والتحدى الذي كان يلقاه من اليهود .

وفي أحد المواقف قال مرة لتلاميذه عن اليهود الجاحدين : « قد تمت فيهم نبوءة أشعياء القائلة تسمعون سماعاً ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ - متى ١٣ : ١٤ - ١٥ .
وفي مواجهة مع ذلك الصنف من اليهود قال لهم : « فثشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهي التي تشهد لي - يوحنا ٥ : ٣٩ » .

★

وبالمثل كان تلاميذ المسيح يستخدمون ما يستشعرونه نبوءة أو رمزاً للأحداث الهامة في حياة المسيح وحياة تلاميذه ، باعتبار ذلك أقوى حجة يمكن استخدامها في اقناع اليهود .

فبعد رفع المسيح وقف بطرس يتكلم عن يهوذا الخائن ويقول : « كان ينبغي أن يتم هذا المكتوت الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع ..

لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن - أعمال الرسل ١ : ١٦ - ٢٠ »

★★

خطأ فهم أسفار العهد القديم

أتمد حرص كتبة أسفار العهد الجديد على الربط بين ما كان من أمر المسيح ، وما رأوه تنبؤات سبق أن تكلم بها أنبياء العهد القديم . ولقد كان متى أكثر كتبة الأناجيل حرصاً على ذلك . « فلقد استخدم متى في إنجيله عشر مرات ، صيغة يقدم بها للاستشهاد من العهد القديم ، وهذه الصيغة تقول : وهذا كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل .

(انظر متى ١ : ٢٢ ، ٢ : ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٤ : ١٤ ، ٨ : ١٧ ، ١٢ : ١٧ ، ١٣ : ٣٥ ، ٢١ : ٤ ، ٢٧ : ٩) .

إن هذه الشهادات التي قدم لها متى بتلك الصيغة ، إنما هي إضافات من عمل متى لمصدره ونعني به إنجيل مرقس ، وهي واحدة من أهم ما يتميز به إنجيل متى .

وبجانب ذلك فإنه توجد مواضع كثيرة في هذا الإنجيل نستطيع أن نجزم فيها بأن متى كان يكتب وفي تفكيره إحدى فقرات العهد القديم ، على الرغم من أنه لم يشر إليها صراحة .

وعلى سبيل المثال فإن قول متى : اعطوه خلا ممزوجاً بمرارة (٢٧ : ٣٤) ، يمكن مقارنته بما في المزمور الذي يقول : يجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلا (٦٩ : ٢١)

ولو أن هذا يخالف نظيره في إنجيل مرقس : واعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب (١٥ : ٢٣) ..

إن الدراسة الحديثة للعهد القديم لا تؤيد مفهوم متى لما فيه ، كما أنها لا توافق على الفقرات التي استخرجها من أسفاره ، عندما كان يكتب إنجيله .

لقد أصبح واضحاً الآن أن العهد القديم لم يكن تجميعاً لتنبؤات عن أحداث المستقبل يمكن أن تفهم فقط بعد أن تضي عدة قرون .

إن كتبة أسفار العهد القديم كانوا يكتبون في الواقع لمعاصريهم بالطريقة التي يفهمونها ، ويتكلمون عن أشياء من الممكن أن تحدث إبان حياتهم ..

لقد كان من المعتقد أن داود هو مؤلف المزامير ، وقد فهم المسيحيون كثيراً من الفقرات المذكورة في المزامير على أنها إشارات للمسيح ، ونذكر على سبيل المثال ما جاء في سفر أعمال الرسل (الفقرة ٢ : ٢٥ وما بعدها) حيث نجد شهادات من المزامير : ١٦ ، ١٣٢ ، ١١٠

ولقد أصبح معلوماً الآن أن كثيراً من الزمير لم يكتبها داود ،
وإنما هي من نتاج عصر متأخر . كذلك فإن فقرات من تلك الزمير
التي يقرؤها المسيحيون باعتبارها نبوءات عن المسيا (المنتظر) كان
معناها الأصلي مختلفاً عما فهموه « (١)

*

ويقول تشارلس دود : « إننا إذا أمعنا النظر في الكتب (من العهد
القديم) التي كونت المصادر الرئيسية للشهادة ، فإن قدرأ صغيراً ملحوظاً
منها هو الذي يصرح بما يتعلق بالمسيا ، إما لأنها تحتوى على اللقب : مسيا
(مسيح الرب) ، أو لأنه يمكن إثبات أن تلك الكتب كان لها تفسير مسيائي
في اليهودية التي كانت قبل المسيحية .

إن الألقاب المتميزة التي نقلت من نبوءات (العهد القديم) بغية
إظهار الإنجيل وإعلان الأحداث التي تتعلق بيسوع ، كانت :
ابن الإنسان ، وعبد (الله) .

وما يجدر ذكره أن أياً من هذين اللقبين ، لم تكن له الأهمية
القصوى في العقيدة اللاهوتية المتطورة (فيما بعد) للكنيسة . إن
كليهما ينسب إلى المرحلة الأولى (من المسيحية) « (٢) .

*

نعم - لقد كانت المرحلة الأولى من المسيحية التي عاصرت المسيح
وتلاميذه وتابعيهم ، تؤمن بأن المسيح . ابن لآدم ، وعبد الله - لكن
العقيدة التي تطورت فيما بعد ، أهملت ذلك وخلعت عليه ألقاباً لاهوتية
كان من أبرز نتائجها أن انقسمت العقيدة الواحدة إلى عقائد شتى
وفلسفات متباينة .

**

(١) المرجع ٧ - ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٥٩ .

(٢) المرجع ٩ - ص ١١٦ .

شهادات العهد القديم

من دراسة قام بها رندل هاريس ونشرها في كتابه : الشهادات (عام ١٩١٦ ، ١٩٢٠) نجد أن شهادات العهد القديم التي ذكرت تصريحاً أو تلميحاً في أسفار العهد الجديد يمكن تصنيفها كالاتي : (٣)

١ - فقرات يستشهد بها أكثر من كاتب من كتاب العهد الجديد ، وتختلف نصوصها المنقولة عما في الترجمة الإغريقية لأسفار العهد القديم التي تعرف بالسبعينية ، كما تختلف عما في النسخة العبرية . ومن النادر تحديد مصادر تلك الترجمة .

٢ - فقرات مركبة تظهر في أكثر من كتاب من كتب العهد الجديد وقد تكونت خليطاً من فقرتين أو أكثر ، ويرجح أنها نقلت عن مصدر خلطت فيه من قبل ، ويبدو هذا واضحاً من الأمثلة التي نجد فيها « أن الكاتب قد نقل خطأ فقرتين لمؤلفين مختلفين ، ثم نسبها لمؤلف واحد كما في إنجيل مرقس (١ : ٢-٣) الذي اقتبس فقرة مركبة وهي عبارة عن خليط من سفرى ملاخي وأشعيا ، ثم نسبها خطأ إلى أشعيا .

إن هذا الخطأ يمكن أن يحدث بسهولة عندما ينقل الكاتب شهادته من مقتطفات أدبية لمؤلف خلط النبؤتين معاً ، ولا يحدث ذلك الخطأ لو كان الكاتب قد نقل عن السفرين المشار إليها .

٣ - فقرات ارتبطت بكلمة متميزة أو فكرة مثل الفقرات التي تتكلم عن حجر ، ومنها الحجر الذي رفضه البناءون - حجر الزاوية - حجر عشرة ، وهذه نقلت إلى أسفار العهد الجديد بتأويلات مختلفة .

*

لقد ترتب على خطأ فهم أسفار العهد القديم ، أن كانت الشهادات التي نقلها كتبة الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد ، لا تتفق وماركوزا على تأكيده ، ألا وهو قولهم : أن المسيح ابن الله ، وأنه صلب فداء عن كثيرين .

ونسوق فيما يلي ثمانية من شهادات العهد القديم التي نقلها كتبة العهد الجديد، لتتعرف على أنواعها المختلفة، ونتبين مقدار الصدق في الاستشهاد بها. وسوف نركز على ما أورده إنجيلا متى ويوحنا لسببين : أما أحدهما فهو أن إنجيل متى يعتبر أكثر الأناجيل استشهاداً بما في العهد القديم. وأما الثاني فلأن ذلك الإنجيل يندرج تحت قائمة الأناجيل المتشابهة - التي تضم إليه إنجيلي مرقس ولوقا - والتي تكون تعلبها عقائديا يخالف ذلك التعليم الذي انفرد به إنجيل يوحنا.

وبذلك يمكن القول بأن دراستنا لما في إنجيلي متى ويوحنا من شهادات، تعتبر دراسة لما في الأناجيل الأربعة.

وهذه الشهادات الثمان منها خمس من إنجيل متى هي :

(٢ : ٤-٦) ، (٢ : ١٤-١٥) ، (١٢ : ١٧-٢١) ، (٢٧ : ٣-١٠)

(٢ : ٢٣)

وثلاث من إنجيل يوحنا هي :

(١٣ : ١٨) ، (١٥ : ٢٤-٢٥) ، (١٩ : ٣٢-٣٦)

ومصادرهما من العهد القديم (٤) هو ما جاء في الأسفار الآتية على الترتيب :

(ميخا ٥ : ٢ ، صموئيل الثاني ٥ : ١-٣) ، (خروج ٤ : ٢١-

٢٢) ، (هوشع ١١ : ١) ، (أشعيا ٤٢ : ١-٤) ، (زكريا

١١ : ١٢-١٣) ، (نبوءة ليس لها أصل في أسفار العهد القديم) ، (مزمو

٤١ : ٩) ، (مزمو ٣٥ : ١٩) ، (مزمو ٣٤ : ٢٠) .

* *

من شهادات إنجيل متى

١ - تقول أسفار العهد القديم : «أما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت

صغيرة . أن تكوني بين الآف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون منسلطاً على

اسرائيل - ميخا ٥ : ٢ » .

و كذلك تقول : « جاء جميع أسباط اسرائيل إلى داود .. وتكلموا قائلين هوذا عظمتك ولحمك نحن .

ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت أنت (ياداود) تخرج وتدخل اسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي اسرائيل وأنت تكون رئيسا على اسرائيل ..

فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على اسرائيل - صموئيل الثاني ٥ : ١-٣

*

ولقد رأى كاتب إنجيل متى أنه يمكن خلط هاتين الفقرتين معاً لتخرج منها فقرة مركبة يمكن استخدامها في الإشارة إلى أن مولد المسيح في بيت لحم ، إنما كان تحقيقاً لنبؤة العهد القديم .

وفي هذا يقول : « سألهم (الملك هيرودس) أين يولد المسيح . فقالوا له في بيت لحم اليهودية .

لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل - ٢ : ٤-٦ .

ويقول جون فنتون تعليقا على هذه الشهادة : « إن النبؤة من ميخا (٥ : ٢) لكنها ليست في الترجمة السبعينية الإغريقية ، كما أنها ليست ترجمة صادقة عن النص العبري (ويستطيع القارئ ملاحظة ذلك بسهولة) ومن المحتمل أن يكون صموئيل الثاني (٥ : ٢) قد ضم إلى نبؤة ميخا (٥) .

*

ومن الواضح أن فقرة صموئيل الثاني تتكلم عن تاريخ داود وكيف إختار الشعب ملكا ، أما فقرة ميخا فإنها تنبأ عن حاكم صالح يحكم اسرائيل .

ومن المعلوم أن المسيح لم يتسلط على اسرائيل يوماً واحداً . فلقد
« قال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخى أن يقاسمى الميراث . فقال له
يا إنسان من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً - لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤ »
وحين علم المسيح « أنهم مزعمون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً
إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده - يوحنا ٦ : ١٥ » .

فما لاشك فيه أن هذا الخليط من فقرات العهد القديم لا يستطيع أن
يعطى فى صورته المركبة نبؤة تنطبق على المسيح .

* *

٢ - ويقول سفر الخروج أنه فى بدء رسالة موسى كان الوحي إليه :
« عندما تذهب لترجع إلى مصر .. فتقول لفرعون هكذا يقول الرب .
اسرائيل ابني البكر . قلت لك أطلق ابني ليعبدنى - ٤ : ٢١-٢٣ » .

ونجد فى أسفار العهد القديم أن لفظ : ابن الله - قد أطلق على
الأنبياء ، كما قيل عن سليمان ، كذلك فإنه أطلق على للشعب الاسرائيلى ، كما
جاء فى سفر الخروج - المشار إليه - وفى غيره من الأسفار .

ولذا فان سفر هوشع حين يذكر بعضاً من رحمة الله التى أنعم بها فيما
مضى على الشعب الاسرائيلى ، فانه يذكر دعوة الله له بالخروج من مصر
تحت قيادة موسى ، ليخلصهم من ذل للعبودية التى ذاقوها على يد فرعون .

وفى هذا يقول هوشع : « لما كان اسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر
دعوت ابني - ١١ : ١ » .

*

لكن متى رأى أنه يمكن الربط بين دعوة الشعب الاسرائيلى للخروج
مصر ، وبين عودة الصبي يسوع منها بعد وفاة الطاغية هيرودس إذ أن
الحديثين - الخروج والعودة - يتعلقان بمصر ولذلك تجده يقول : « قام
(يوسف زوج مريم) وأخذ الصبي وأمه ليلاً وإنصرف إلى مصر وكان
هناك إلى وفاة هيرودس .

لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني

- ١٤:٢-١٥ « .

إن هذه الشهادة التي ساقها متى من سفر هوشع انما تشير إلى « دعوة الرب للشعب الاسرائيلي باعتباره ابنا له للخروج من مصر (على عهد موسى) » (٦) ، وليس هناك ما يجعلها نبؤة تشير إلى عودة للصبي يسوع لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن دعوة الابن من مصر لا يخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى .

★ ★

٣ - يذكر سفر أشعيا نبؤة عن النبي المختار ، عبد الله ورسوله الذي يأتي بشريعة الحق تلك التي تنتظرها أم الأرض - فيقول :

هوذا عبدي الذي أعضده ، مختارى الذي سرت به نفسى .

وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم .

لا يصبح ولا يسمع في الشارع صوته .

قصة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء . إلى الأمان

يخرج الحق .

لا يكبل ولا يتكسر حتى يضع الحق في الأرض .

وتنتظر الجزائر شريعته - ٤٢-٢-٤ « .

★

ولقد رأى كتبة الأناجيل أن تلك النبؤة تحققت في المسيح ، ولهذا

يقول متى :

« لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل :

هوذا فتاى الذى اخترته ، حبيبي الذى سرت به نفسى .

أضع روحي عليه فيخبز الأمم بالحق .

لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته .

قصة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء . حتى يخرج الحق إلى النصره . وعلى إسمه يكون رجاء الأمم - ١٢ : ١٧ - ٢١ .

*

ويقول جون فنتون عن هذه النبوة : « إن هذه تعتبر أطول فقرة استشهد بها من كتب العهد القديم .

ومن الواضح أن متى لم يتبع نص أى من النسختين العبرية أو الاغريقية لكنه سار على أخذ نصوص حسبما رآها تناسب رأيه من أن النبوة تحققت في يسوع وفي الكنيسة .

ولقد حذف متى سطرين من أشعيا ٤٢ : ١-٤ ، ولكنه أبقى على السطر الأخير الذى رأى أنه يحقق هدفه « (٧) .

*

بعد ذلك نلاحظ شيئاً هاماً ، وهو أن هذه النبوة تتعلق بنبي أول صفاته أنه : عبد الله . ولقد حاول مترجموا النسخة العربية لإنجيل متى أن يتعدوا عن هذا الوصف الصريح لذلك النبي فاستبعدوا كلمة : عبدى - المذكورة في الترجمة العربية لأشعيا وترجمتها في النسخة الانجليزية my servant - بكلمة : فتاى ، وترجمتها في النسخة الانجليزية لإنجيل متى أيضاً my servant - وإن كان هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، إذ أن كلمة فتى تعنى في اللغة العربية : عبد ، أيضاً .

فإذا سلمنا - جديلاً - بأن نبوة أشعيا التى ذكرها متى تتحقق في المسيح لكان من اللازم أن تكون أول صفاته أنه : عبد الله .

وحين يتفق المسيحيون على أن أول صفات المسيح أنه : عبد الله ، تتحقق الوحدة المسيحية . أما أن يستشهد بفقرة تقول أن يسوع : عبد الله ، ثم

تقول فقرات أخرى من الإنجيل أنه غير ذلك ، فان هذا تضارب واضح بترك أمر الحكم فيه لعقل القارىء وضميره .

★ ★

٤ - يتكلم سفر زكريا عما حدث بينه وبين شعبه فيقول : « قلت لهم إن حسن في أعينكم فاعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة .

فقال لى الرب القها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب - زكريا ١١ : ١٢ - ١٣ .

★

لكن لإنجيل متى يربط بين هذه الحادثة التى وقعت لزكريا ، وبين ما قاله عن يهوذا الذى خان سيده المسيح نظير ثمن قليل من الفضة - فيقول : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ .. فطرح الفضة فى الهيكل وإنصرف ثم مضى وخنق نفسه .

فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم .

فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء ..

حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثلث الذى ثمنوه من بنى اسرائيل . وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب - ٢٧ : ٣ - ١٠ .

★

ويتفق العلماء على أن الخطأ فى هذه الشهادة ظاهر إذ أنه « من زكريا ١١ : ١٢ وما بعدها ، وليس من إرميا » (٨) .

ولست مشككة هذه الشهادة أن كاتب إنجيل متى أخطأ فيها من حيث الشكل والاطار العام ، حين حسبها من سفر أرميا بينما هي من سفر زكريا ، لكن فيها أخطاء موضوعية تتضح لنا حين نقارن بين عناصرها ، والعناصر التي تحتوى عليها قصة هلاك يهوذا الخائن ، فنجد أن القصتين على طرفي نقيض ، ولا يمكن أن تكون أولاهما - قصة زكريا - صورة مطابقة سبق التنبؤ بها للقصة الثانية التي ذكرها متى عن نهاية يهوذا - ذلك أن :

بطل قصة زكريا هو نبي كريم يتلقى الوحي من الله ، بينما بطل قصة متى خائن حقير صارت خيانتة مثل سوء في العالمين .

ولقد تسلم زكريا ثلاثين من الفضة . ثمنا كريما ارتضاه الله لصنيعه مع شعبه ، بينما كانت الفضة التي تسلمها يهوذا ثمنا خسيسا يرفضه كل الناس بما فيهم يهوذا الخائن نفسه ، الذي حين رجع إلى نفسه وحاسبها فانه خجل أن يمتلك ثمن الخيانة ، وذهب لودعها في خزانة بيت ، الرب كما يقول الانجيل .

ولما كانت فضة زكريا ثمنا كريما فانها قبلت في بيت الرب ، أما فضة يهوذا ، فكما أنها رفضت من يهوذا نفسه ، فانها رفضت كذلك من كهنة اسرائيل المنافقين الذين أبوا أن يقبلوها في خزانة بيت الرب ، لأنها ثمن رجس على شاكلة ما حرّمته شريعة موسى التي تقول .. « لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب الهك عن نذر ما لأنهما كليهما رجس لدى الرب الهك - تثنية ٢٣ : ١٨ » .

★

وجدير بالذكر أن انجيل مرقس الذي كان المصدر الرئيسي لانجيلي متى ولوقا ، لم يحدد قيمة ثمن الخيانة وإنما قال : « ثم إن يهوذا الأسخريوطي .. مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم . ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة - مرقس ١٤ : ١٠ - ١١ » .

وكذلك في إنجيل لوقا : « فضى (يهوذا) وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاددوه أن يعطوه فضة . فواعدهم - لوقا ٢٢ : ٤-٦ » .

من هذانتين أن متى قد إنفرد عن بقية الأناجيل - ومنها إنجيل يوحنا - بتحديد ثمن الحيانة بثلاثين من الفضة . وما ذلك إلا لأن فقرة زكريا التي تكلمت عن ثلاثين من الفضة والفخارى كانت في ذاكرة متى وهو يكتب إنجيله ، ولهذا قرر إعتبارها شهادة عن خاتمة يهوذا .

وما ذلك على متى بجديد ، فن قبل قرأ متى في سفر زكريا قوله ، « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان - زكريا ٩: ٩ » .

وقد اعتبر متى هذا نبؤة عن دخول المسيح أورشليم فقال ، « كان هذا لكي يتم ما قيل بالنبي القائل . قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان - متى ٢١: ٤-٥ » . « ويبدو أن متى فهم هذه النبوءة حرفيا، ولهذا أدخل إلى قصته حيوانين (حمارين) » (٩) .

وهما أتان وجحش ، بينما انفقت بقية الأناجيل - كما سبق أن رأينا - على أن المسيح استخدم في دخوله أورشليم حيوانا واحداً (جحشا) . هذا - ولا نظن أحدا لديه شك في أن هذه الشهادة التي ساقها متى خاطئة شكلا وموضوعا .

★ ★

٥ - وكما أخطأ متى في الاستشهاد بفقرة حسبها من ارميا بيناهي زكريا، فإنه أخطأ كذلك خطأ من نوع آخر وذلك في شهادته التي يقول عنها : « وأتى (يسوع) وسكن في مدينة يقال لها ناصرة . لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا - ٢: ٢٣ » .

★

إن أسفار الأنبياء لم تقل شيئاً من هذا ، وإن العلماء متفقون على « أن مصدر هذه النبوة غير معلوم » (١٠) ويستطيع القارىء أن يتصفح أسفار العهد القديم بحثاً عن هذه الشهادة ولن تكون نتيجة بحثه سوى العودة بنحى حنين .

إننا فى هذا المثل أمام شهادة لا يعرف لها أصل ، وهى بذلك صنف عجيب من أصناف الشهادات .

★ ★

من شهادة انجيل يوحنا :

١ - يقول داود فى المزمور ٤١ :

« طوبى للذى ينظر إلى المسكين فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه ويغبط فى الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه . الرب يعضده وهو على فراش الضعف . أنا قلت يارب ارحمنى .. أعدائى يتقاولون على بشر . متى يموت ويبعد اسمه .. كل مبغضى يتناجون معا على . على تفكروا بأذيتى . يقولون أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لا يعود يقوم أيضاً رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزي رفع على عقبه . أما أنت يارب فارحنى وأقنى فاجازيهم . بهذا علمت أنك سررت بى أنه لم يهتف على عدوى أما أنا فبكما لى دعمتى قدامك إلى الأبد » .

★

ويقول المفسرون فى مقدمة هذا المزمور - فى نسخة الملك جيمس - أنه يقرر ثلاثة أمور : رعاية الله بالمسكين - وشكوى داود من خيانة أعدائه - ثم هو يلجأ إلى عون الله .

ومن الواضح أن هذا المزمور يبدأ بتقرير أن الله حافظ عبده ، ولن « يسلمه إلى مرام أعدائه » الذين يريدون موته .

وفي فقرته الثانية نجد هذا العبد يستنجد برحمة الله لتتداركه من أذى الموت الذى ظن أعداؤه أنه قد أحاط به ، ولذلك قالوا : أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لايعود يقوم . ثم يشكو هذا العبد من خيانة صديقه الذى وثق به وأكرمه .

وتبين الفقرة الأخيرة أن الله قد نصر عبده - تأكيداً لما جاء فى الفقرة الأولى - فقد علم ذلك العبد أن الله قد سربه فدعمه ونجاه من يوم الشر بعد أن أحمده صوت عدوه .

★

لقد رأى يوحنا أن هذا المزمور يشير إلى موقف تعرض له المسيح حين خانته تلميذه يهوذا الاسخريوطى - واتفق مع شيوخ إسرائيل على قتله - ولهذا يقول على لسان المسيح :

« أنا أعلم الذين اخترتهم (من تلاميذى) . لكن ليم الكتاب الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه - يوحنا ١٣ : ١٨ . »

إن كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح فعناهُ الواضح الصريح الذى لا لبس فيه ولا إبهام أن الله نجاه من مؤامرة الأشرار .

لقد كانوا يريدون موته . فلم يسلمه الله إلى مرام أعدائه .

إن النتيجة التى لا مفر من مواجهتها : هى الاعتراف بنجاة المسيح ، مع التسليم بخطأ شهادة يوحنا الذى يعتقد فى نجاح مؤامرة التلميذ الخائن .

★★

٢ - ويقول داود فى المزمور ٣٥ :

« خاصمُ ياربٍ محاصمى . قاتل مقاتلى .. انهض إلى معونتى . »

ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى .. ملاك الرب داحرهم .. ملاك الرب طاردهم . لأنهم بلاسبب أخفوا إلى هوة شبكتهم . بلاسبب حفروا لنفسى .

لأنه التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع .

لايشتت بي الذين هم أعدائي باطلا. ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني
بلاسبب .. ففروا على أفواههم أقض لي حسب عدلك يارب الهى فلا يشمتوا بي ..
لايقولوا ابتلعناه .. ليخز وليخجل معا الفرعون بمصيتى ..

ليهتف ويفرح المبتغون حتى وليقولوا دائماً ليتعظم الرب المسرور بسلامة
عبده . «

★

فى هذا المزمور نجد العبد الصالح تضرع إلى ربه طالبا النجاة من شبكة
الهلاك التى نصبها له عدوه ، ثم هو يدعو أن يقع ذلك العدو فى الحفرة
التي حفرها ، ويثق فى استجابة طلبه .

لقد كان المتآمرون يظنون أنهم ابتلعوه ، لكن الرب نجاه وسر
بسلامة عبده .

★

ولقد رأى يوحنا أن فى هذا المزمور نبؤة عن المسيح ، فقال على لسانه :

« أما الآن فقد رأوا وأبغضونى . . لكن لكى تم الكلمة فى
ناموسهم أنهم ابغضونى بلاسبب - يوحنا ١٥ : ١٤-٢٥ » .

ومرة أخرى إن كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح فإنما هو تقرير عن
نجاته من المتآمرين الذين أبغضوه بلاسبب وظنوا أنهم أمانوه وابتلعوه .

لقد نجاه الله وسر بسلامة عبده - وسر كذلك المؤمنون .

★ ★

٣ - ويقول داود فى المزمور ٣٤ :

« ابارك الرب فى كل حين . دائماً تسييحه فى فى ..

طلبت إلى الرب فأستجاب لى . ومن كل مخاوفى انقذنى .

نظروا إليه وإستناروا ووجوههم لم تخجل .

هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك
الرب حال حول خائفه وينجيهم . . عينا الرب نجو الصديقين وأذناه
إلى صراخهم .

وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم .
أوليك صرخو او الرب سمع ومن كل شدائدهم انقذهم . .
كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه .
واحد منها لا ينكسر الشر يميت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون .

*

من الواضح أيضاً أن هذا المزمو - مثل سابقه - يؤكد نجاة العبد
الصالح من مؤامرة الأشرار إذ يستجيب الله دعاه ويرسل ملاكه لنجاته .
أما ذلك الشرير المتآمر فإنه يموت ويقضى عليه ويمحى ذكره من الأرض .

*

ويذكر يوحنا أنه بعد حادثة الصلب فقد « سأل اليهود بيلاطس أن
تكسر سيقاتهم ويرفعوا فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والأخر المصلوب
معه . وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . .
لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه - يوحنا ١٩ : ٣١-٣٦ »
فهو قد رأى فى عدم كسر سيقان المصلوب تحقيقاً لنبؤة العهد القديم .

*

وتنفق الأناجيل على أنه فى الساعات العصبية كان المسيح يصرخ إلى الله أن
ينجيه من مؤامرة القتل ، فقد « ابتداءً يحزن ويكتئب فقال لهم (لتلاميذه)
نفسى جد حزينة جداً حتى الموت . أمكنوا ههنا واسهروا معى .
ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى
هذه الكأس - متى ٢٦ : ٣٧-٣٩ .

من الواضح إذن أن المسيح كان يرجوا الله أن يدرأ عنه الخطر الداهم ،
خطر الوقوع فى قبضة أعداء يطلبون نفسه للقتل .

فإذا كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح ، فإنه يقول : « المسكين صرخ
والرب استمعه ومن كل ضيقانه خلصه .

ملاك الرب حال حول خائفه وينجيهم » .

لقد حفظت بهذا نفس المسيح من القتل وحفظت عظامه ولحمه ودمه . ،
أما أن يقال أنه قتل ثم حفظت عظامه من الكسر فذلك ما لا ينطق به
المزمور . إن كل ذى فكر سليم يعلم أنه لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

أما بعد - فإن الكتب المقدسة فيها من التشبهات ما لا يعنى شيئا أكثر
من إعطاء فكرة ما أو انطباع معين يمكن استيعابه .

وإن أسفار العهد القديم تمتلئ بالكثير من هذه التشبهات فنما ما يصور
الرب كأنه حيوان مفترس يتربص بشعب إسرائيل ليهلكه جزاء
فسقه وشروره . ومن هذه التشبهات العجيبة ما يقول :

« أنا الرب الهك من أرض مصر والما سوى لست تعرف ولا مخلص
غبرى ، أنا عرفتك فى البرية فى أرض العطش .

لما رعوأ شعبوا . شعبوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسوتى .

فأكون لهم كأسد . أرسد على الطريق كنمر . أصددهم كدبة ..

« وآكلهم هناك كلبوة - هو شع ١٣ : ٤-٨ »

ومنها ما يشبه الرب وشعب إسرائيل كزوج له مرأة زنت فطلقها - كما
يقول النبي أرميا :

« قال الرب لى فى أيام يوشيا الملك . هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل .

انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك ..

فأريت أنه لأجل كل الاسباب اذ زنت العاصية اسرائيل فطلقتها

وأعطيها كتاب طلاقها - أرميا ٣ : ٦-٨ »

ولقد رأينا أن كثيراً من الفقرات التي رأى فيها كتبة الأناجيل - وبقية أسفار العهد الجديد - نبؤات عن المسيح ، قد طبقوها حرفياً ، فوقعوا في أخطاء . ومن ذلك ما فعله متى حين أدخل الحمارين إلى قصة دخول المسيح أورشليم ، ليطبق نبؤة زكريا حرفياً .

وبالمثل وقع يوحنا في نفس الخطأ حين أراد تطبيق قول المزمور ٣٤ « يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر » - وهو الذي لا يعني شيئاً سوى التأكيد على سلامة العبد الصالح - على ما ذكره من أحداث الصلب ، وكيف أن المصلوب مات سريعاً فلم تكسر الجند عظامه .

لقد اهتم يوحنا بسلامة عظام المصلوب فقط بينما قرر المزمور سلامته جميعاً : نفساً وعظاماً .

ولقد رأينا كذلك كيف كانت تلوى كلمات العهد القديم لياً، وتجمع بعضها على بعض جمعاً لا يسير وفق نص أو منطق ، إنما كان ذلك بغية الوصول إلى هدف سبق أن وضعه الكاتب نصب عينيه . بل إن الأمر وصل إلى حد التكلم عن نبؤات خلت منها أسفار العهد القديم ، ولا يعرف لها العلماء مصدراً أو أساساً .

لقد كانت حصيلة جمع الأغلبية العظمى من شهادات العهد القديم على الصور التي رأينا بعضها منها مثل الحصيلة التي يخرج بها قارئ رأى - لسبب أو لآخر - أن يقرأ الأخبار التي تحتويها الأعمدة الرأسية لجريدة يومية ، في إنجاء أفقى على اتساع الصفحة الواحدة .

إنه لا بد وأن يخرج بنتاج عجيب اختلط فيه الجد بالهزل واختلطت فيه الأخبار والأنساب .

★

هذا - ومن الملاحظ أن أغلب شهادات العهد القديم التي اقتبس منها كتبة الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد ، إنما ترد إلى سفرى الزمير واشعيا .

ولما كانت أغلب هذه الشهادات قد نقلت بمفاهيم لم يعد من الصعب إثبات خطئها ، فإن الأمر يقتضى أن يولى علماء العصر شهادات العهد القديم مزيدا من الدراسة والتحصيل ، مستلهمين روح العلم التى تبحث عن الحقائق فتعلنها مجردة للناس .

ولعل نقطة البدء فى هذه الدراسة تكون بمراجعة المصادر الأصلية للشهادات وخاصة ما جاء منها فى سفرى المزامير وأشعياء - وكذا مراجعة تراجمها المختلفة ، حتى لا تنحرف المعانى عن حقيقتها الأولى كما حدث للمزمور ٢٢ ، الذى نقرأ فى تراجمه المتداولة : « ثقبوا يدي ورجلي » - بينما هى فى الأصل العبرى : « كلتا يدي مثل الأسد » .

ومن الواضح أن تلك الترجمة المنحرفة تخدم هدف الذين يتلمسون لصلب المسيح الحجج والمعاذير .

الباب الثالث

قصة الصليب

- روايات الأناجيل عن أحداث الصليب
- نهاية يهوذا
- المسيح ومحاولات قتله
- تنبؤات المسيح بنجاته من القتل
- تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل
- اختلاف المسيحيين الأوائل في صلب المسيح

الفصل الخامس

روايات الأناجيل عن أحداث الصلب

مقدمه :

في دراستنا للجوانب المختلفة لهذه القضية ، فلا بد لنا من أن نأخذ في الاعتبار بعض الحقائق الأولية التي تتعلق بالأناجيل - وقد سبق الحديث عنها - وهي :

- ١ - أن انجيل مرقس يعتبر أقدم الأناجيل ، وقد كتب بعد رفع المسيح بنحو ٣٥ عاما ، وأن كاتبه لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولم يره ولو مرة واحدة في حياته ، وما كان مرقس - كما قيل - إلا تابعا لبطرس .
- ٢ - وأن كلا من انجيلي متى ولوقا ، يعتبر نسخه منقولة من انجيل مرقس ، مطولة في أحيان كثيرة ، ومضافا إليها من مصادر أخرى مجهولة . وقد كتب هذان الانجيليان بعد رفع المسيح بنحو ٦٠ ، ٥٠ عاما على الترتيب . كذلك فإن لوقا ما كان هو الآخر من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة في حياته وهو يعترف بذلك في مقدمة انجيله التي يقرر فيها أنه كان من الجيل الثاني في المسيحية ، وأنه كتب ما كتب - الانجيل وسفر أعمال الرسل - بوازع من نفسه ، وبناء على اجتهاداته الشخصية البحتة .
- ٣ - وأن انجيل يوحنا قد كتب لغرض سبق وضعه الكاتب نصب عينيه وهو التأكيد على نظرية تقول بلاهوت المسيح وقد كتب بعد رفع المسيح بمدة تراوح بين ٧٠ و ٩٠ عاما .
- ٤ - وفي جميع الأحوال فإن هذه الأناجيل - وبقية أسفار الجديد - قد كتبت وفي ذاكرة كاتبها - إن لم يكن أمامهم بالفعل - نسخا من أسفار العهد القديم .

إن هذا يعنى أن الكاتب يستطيع التوفيق بين ما فى ذاكرته من أفكار ومعتقدات حول المسيح ورسالته ، وبين ما ارتآه صورة لها أو قريبة منها فى أسفار العهد القديم . لقد نقل كتبه أسفار العهد الجديد عن أسفار العهد القديم نصوصا ، واقتبسوا منه فقرات وأفكارا إستخدموها فى صياغة كتبهم بالأسلوب الذى ظنوه يساعد القراء على الايمان بأن كل ما ذكروه عن المسيح إنما كان تحقيقا لنبؤات السابقين .

واقدر رأينا - منذ قليل - بعض ما كان من من خطأ الاستشهاد بأسفار العهد القديم ، ولسوف نرى فيما يلى المزيد والمزيد .

★

هذا - ولما كانت الأناجيل تذكر روايات - تبدو - متشابهة عن أحداث الصلب ، كان من المناسب أن نقسم هذا الموضوع إلى عدد من العناصر ، ثم نبحث كل عنصر حسبما يذكره أحد الأناجيل - وليكن فى الغالب انجيل مرقس باعتباره أقدم الأناجيل - ثم نسير إلى ماجاء بشأنه فى الأناجيل الأخرى .

وتنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب الى ستة عناصر تجرى مناقشتها تباعاً ، وهى :

مقدمة الأحداث - العشاء الأخير - الليلة الأخيرة - المحاكمة - الصلب - ثم الدفن .

★★

١ - مقدمة الاحداث

مسح جسد المسيح بالطيب

يقول انجيل مرقس : « كان الفصح وأيام النظير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه .

ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب .

وفى ما هو فى بيت عنيا فى بيت سمعان الابرص وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه .

وكان قوم معتازين في أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا . لأنه كان أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء وكانوا يؤنبونها . أما يسوع فقال اتركوها . لماذا تزعجونها . قد عملت في عملا حسنا لأن الفقراء معكم في كل حين ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيرا وأما أنا فلست معكم في كل حين عملت ما عندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين - ١٤ : ١ - ٨ «

ويقول نينهام في تفسيره لهذه الفقرات : « إن الفقرات (الأولى) غير مفهومة على الاطلاق ومن المحتمل أن ما قصده القديس مرقس ببساطة هو القول بان السلطات اليهودية - وقد تحققت من أن أى محاولة للقبض على يسوع علنا قد تثير شغبا بين الجماهير المجتمعمة في العيد - فانها قررت تجنب الاضطراب ، وذلك بالقبض عليه سرا . ولكنه اذا كان هذا هو المعنى المقصود ، فان مرقس قد عبر عن ذلك بطريقة خاطئة جداً . .

إن المعنى الواضح هو أن السلطات اليهودية قررت عدم اتخاذ أى اجراء أثناء العيد حتى ولو كان سيتم خلصة . ولكن واقع الأمر كما سيظهر فيما بعد ، هو أن تلك السلطات قد عملت - ضد يسوع - أثناء العيد ، ولهذا فان المفسرين يتسائلون عما جعل تلك السلطات تغير رأيها ..

أما قصه (المسح بالطيب) الى أدخلها مرقس هنا ، فانها تبدو كواحدة من القصص التي كانت متداولة دون تحديد لموقعها في فترة رسالة يسوع ، لهذا نجد القديس يوحنا يذكرها مبكرا عما أورده القديس مرقس ببضعة أيام (يوحنا ١٢ : ١) وكذلك يضعها القديس لوقا في موقع مختلف تماما من سيرة يسوع (اذا اعتبرنا ما ذكره في ٧ : ٣٦ وما بعدها صورة مختلفة لنفس القصة)

فبينما نجدها في إنجيل مرقس قد حدثت في منزل سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا . . نجدها في أنجيل يوحنا قد حدثت في بيت مريم ومريثا ولعازر (١٢ : ١ - ٢) . .

وبملاحظة اختلاف الأسماء والأوصاف المذكورة في كل من يوحنا
٣: ١٢، ومتى ٢٦: ٨، ولوقا ٧: ٣٧ تظهر الأصالة النسبية لرواية مرقس» (١)

★

ونجد انجيل متى قد أخذ بما رواه مرقس تقريبا عن حادث المسح
بالطيب ، الا أنه يقرر أن التلاميذ هم الذين أغتاضوا من عمل المرأة
(فلما رأى تلاميذه ذلك أغتاضوا - ٢٦ : ٨) - وليس « قوم مغتاضين
في أنفسهم » كما ذكر مرقس .

أما روايتي لوقا ويوحنا فمتخلفان عما رواه مرقس ومتى ، كما تختلفان
فيما بينهما ، كما يتضح من الآتي :

يقول انجيل لوقا : « وسأله واحد من التريسيين أن يأكل معه فدخل
بيت فريسي واتكا . وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه
متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارووة طيب . ووقفت عند قدميه من
ورائه باكية زابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها
وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب .

فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلا لو كان هذا
نبيا لعلم من هذه الامرأة التي تلمسه وماهى . إنها خاطئة .

فأجاب يسوع وقال له يا سمعان عندي شيء أقوله لك . . كان لمداين
مديونان . . ساعهما جميعا . فقال أيهما يكون أكثر . فأجاب سمعان
وقال أظن الذى ساعه بالأكثر . فقال له بالصواب حكمت .

ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان انتظر هذه المرأة . انى دخلت بيتك
وماء لأجل رجلى لم تعط . وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتها
بشعر رأسها . قبله لم تقبلنى . وأما هى فنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى .
بزيت لم تدهن رأسى . وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلى . من أجل
ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحببت كثيرا ٧ : ٣٦ - ٤٧ »

★

ويقول انجيل يوحنا : « ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع الى بيت
عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات. فصنعوا له هناك عشاء .
وكانت مرثا تخدم وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه .

فأخذت مريم (أختها) منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن
ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلا البيت من رائحة الطيب.
فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطى المزمع أن
يسلمه . لماذا لم يبيع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء . قال هذا
ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده
وكان يحمل مايلقى فيه (إذ كان أميناً لصندوق الجماعة) .

فقال يسوع اتركوها . إنها ليوم تكفيني قد حفظته . لأن انفقراء
معكم في كل حين وأما أنا فلست معكم في كل حين - ١٢ : ١ - ٨ .
مما سبق يتبين أن الاناجيل اختلفت تماما في هذه القصة التي تتكلم
عن مسح جسد يسوع باعتباره مقدمة لأحداث القتل والصلب .
فكما أن الاناجيل اختلفت في توقيتها ، فإنها اختلفت كذلك في
عناصرها الرئيسية مثل :

مكان الحادث : في بيت سمعان الأبرص (حسب مرقس ومتى) -
وفي بيت فريسي (لوقا) وفي بيت الأخوة لعازر ومريم ومرثا (يوحنا) .
شخصية المرأة : مجهولة (مرقس ومتى) - وخاطئه (لوقا) -
وامرأة صديقة هي مريم أخت لعازر (يوحنا) .
ماذا فعلت : دهنت رأس يسوع بالطيب (مرقس ومتى) - دهنت
رجليه بالطيب (لوقا ويوحنا) .

رد الفعل عند المشاهدين : اغتاض قوم لاسرافها (مرقس) - واغتاض
التلاميذ (متى) - وكان تساؤل الفريسي مع نفسه حول معرفة يسوع
بشخصية المرأة (لوقا) - واغتاض يهوذا الاسخريوطى لاسرافها (يوحنا) .

خيانة يهوذا

يقول مرقس : « ثم إن يهوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر مضى الى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم .

ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة . وكان يطلب كيف يسلمه في فرصة موافقة ١٤ : ١٠ - ١١ »

★

أما متى فقد غير - كما يقول جون فنتون - « في قول مرقس : ووعدوه أن يعطوه فضة - الى : فجعلوا له (بمعنى دفعوا له - They paid him) ثلاثين من الفضة - لكن من غير المحتمل أن يكون لدى متى معلومات تاريخية حول هذه النقطة ، حيث أن كلماتها مقتبسة من سفر زكريا الذي يقول : فقلت لهم إن حسن في أعينكم فاعطوني أجرتي والا فامتنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة - ١١ : ١٢ .

كذلك يوجد تلميح الى ما في الاصحاحات الأخيرة من زكريا وقد ذكرها متى في ٢١ : ٥ ، ٢٤ : ٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٦ : ٢٨ ، ٢٧ : ٩ لقد

قرأ متى هذه التفاصيل من العهد القديم » (٢)

ونقد سبق أن بينا خطأ الاستشهاد بهذه الفقرة من أسفار العهد القديم .

★

وتتفق رواية لوقا مع رواية مرقس ألا أنه يقرر أمرا هاما - سنتعرض له ثانية فيما بعد - وهو أن خيانة يهوذا بدأت بعد أن دخل فيه الشيطان وقبل أن يبدأ العشاء - فيقول :

« فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الاسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر . فضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة ٢٢ : ٣ - ٥ »

★★★

٢ - العشاء الاخير

التحضير للعشاء الاخير

يقول مرقس : « وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضى ونعد لنا أكل الفصح .

فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما إذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء اتبعاه . وحينما يدخل فقولا لرب البيت أن المعلم يقول أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذى فهو يريكما عليه كبيرة مفروشة معدة . هناك أعدا لنا .

فخرج تلميذاه وأتيا الى المدينة ووجدا كما قال لهما . فأعدا الفصح -

١٤ : ١٢ - ١٦ »

« إن أغلب لمفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة (بأعدادها من رقم ١٢ الى ١٦) إنها كانت في الواقع إضافة أدخلت فيما بعد في الرواية التي كان يتبعها القديس مرقس في هذا الجزء من انجيله . ومن بين الأسباب لذلك ما يأتي :

١ - وصف اليوم الذي قيل أن القصة حدثت فيه بأسلوب لا يستخدمه اليهودى العادى الذى كان معاصرا لها .

٢ - وصف اتباع يسوع في كل فقرة من هذه الاصحاح (الرابع عشر) بأنهم تلايذه ، بينما أشير إليهم باصرار في هذه الفقرة بأنهم الاثنى عشر .

٣ - إن كاتب العدد ١٧ (الذى يقول : ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر) لا يعلم شيئا عن رحلة التلميذين التى ذكرت في العدد ١٣ . فلو كان كاتب العدد ١٧ يعلم محتويات تلك الفقرة ، لكان عليه أن يتحدث عن : العشرة (وليس عن الاثنى عشر ، أى أن العدد ١٧ كان يجب أن يقرأ هكذا : ولما كان المساء جاء مع العشرة) . (٣)

★

ويختلف متى عن مرقس في قصة الاعداد للعشاء ، إذ يجعل التلاميذ جميعا يشتركون في هذا الاعداد — (٤) فيقول :

« فقال (يسوع لتلاميذه) اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له . المعلم يقول إن وقتي قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذي . ففعل كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح — ٢٦ : ١٨ — ١٩ »

توقيت العشاء الأخير وأثره على قضية الصلب

« يتفق متى مع مرقس (وكذلك لوقا ٢٢ : ٨) في أن العشاء الأخير كان هو الفصح ، وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل في المساء بعد موت يسوع (يوحنا ١٨ : ٢٨) .

ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس (ونوقا) صحيح ، وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية « (٥) .

ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذى حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح : «أما يسوع قبل عيد الفصح .. فحين كان العشاء .. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأترز بها . ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ — ١٤ : ١ — ٥ .

وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع في مساء اليوم السابق لأكل الفصح ، وذلك في قوله :

« ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوهم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح — ١٨ : ٢٨ »

(٤) المرجع ٧ — ص ٤١٤

(٥) المرجع ٧ — ص ٤١٥

إن إختلاف الأناجيل فى توقيت العشاء الأخير ترتب عليه إختلافهم فى نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب ، ألا وهى تحديد يوم الصلب . فإذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض بعد ذلك بتليل فى مساء الخميس ذاته وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة .

أما الأخذ برواية يوحنا فإنه يعنى أن القبض كان مساء الأربعاء ، وأن الصلب حدث يوم الخميس .

هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة !!؟

★ ★

العشاء الأخير والتلميذ الخائن

يقول مرقس « ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر. وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم أن واحداً منكم يسلمنى . الآكل معى فابتدأوا يجزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا . وآخر هل أنا . فأجاب وقال لهم هو واحد من الإثني عشر الذى يغمس معى فى الصفحة .

إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد - ١٤ : ١٦ - ٢١ .

★

أما « التغييرات التى أدخلها متى على رواية مرقس فتعتبر بسيطة ، إذ قد حذف قول مرقس فى العدد ١٨ : الآكل معى - وهذا غريب ، حيث أن هذا النص يعطى تلميحاً لما فى المزمور ٤١ : ٩ (الذى يقول : آكل خبزى رفع على عقبه) وقد اقتبسه يوحنا فى ١٣ : ١٨) علماً بأن متى لا يترك أى نقطة تشير إلى تنمة كتب العهد القديم إلا إستخدمها.

لكن بعض مفسري إنجيل مرقس يعتقدون أن هذه الكلمات لم تكن في إنجيل مرقس عندما إستخدمه متى ، وأنها أضيفت فيما بعد .

كذلك فإن متى قد أضاف كلمة ربي في العدد ٢٢ (الذي يقول : فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب) .

كما أضاف العدد ٢٥ بأكمله (الذي يقول : فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو ياسيدي . قال له أنت قلت «(٦)» .

★

ويقول لوقا : « ولما كانت الساعة اتكأ والإثنا عشر رسولا معه .

وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا النصح معكم قبل أن أتألم ..

وأخذ خبزاً وشكر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي (الذي يبذل عنكم .

اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكاس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم) - ٢٢ : ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠

ويقول جورج كيرد في تفسيره لهذه الفقرات ، « إن قصة العشاء الأخير

في لوقا تعتبر كابوساً ، فهي تثير مشاكل في أغلب مواضيع دراسة العهد

الجديد ، كما أنها أعطت الأساس لطوفان من النظريات المتصارعة .

وفي مقدمة المشاكل تأتي مشكلة النص ، ذلك أن أغلب النسخ

تشتمل على ما يعرف بالنص الأطول وهو الذي يحتوي على جزء من العدد

١٩ ، والعدد ٢٠ . (وقد كتب بالبنت الأسود بين قوسين) كما أن هناك

النص الغربي - وقد سارت عليه النسخة القياسية المراجعة - الذي

يخذف هذين العددين ..

ويبدووا أنهما قد أخذوا مما جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

١١ : ٢٤ ، ٢٥ ، وجزءاً من مرقس ١٤ : ٢٤ ، ثم أدخلوا إلى

النص في عهد مبكر على يد كاتب اعتقد أن قصة لوقا خاطئة «(٧)» .

★

(٦) المرجع ٧ - ص ٤١٥ ، ٤١٦

(٧) المرجع ٨ - ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

أما رواية يوحنا ففيها إختلاف يلحظة القارىء بسهولة عماروته الأناجيل الثلاثة الأخر - فهو يقول : « لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم أن واحدا منكم سيسلمنى . فكان اللاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون من قال عنه . وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه . فأوماً إليه -- سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه .

فأتكأ ذلك على صدر يسوع وقال له ياسيد من هو .

أجاب يسوع هو ذلك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه .

فبعد اللقمة دخله الشيطان ..

فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة ..

فذلك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلا - ١٣ : ٢١ - ٣١ «

★

ولتحديد شخصية الخائن نجد الأناجيل قد أوردت اجابات مختلفة لسؤال التلاميذ معلمهم عنمن يكون ، فقد قال مرقس على لسان المسيح « الذى يغمس معى فى الصفحة » .

وقال متى كلاماً يقرب من هذا إلا أنه أضاف : « فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو يا سيدى . فقال له أنت قلت »

وتوقف لوقا عند القول بكلام شبيه بكلام مرقس .

أما يوحنا فقد قال : « الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه . فغمس اللقمة وأعطها ليهوذا سمعان الاسخريوطى » .

★

بقيت نقطة هامة سبقت الإشارة إليها عند الكلام عن خيانة يهوذا ، ألا وهى أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء (حسب رواية لوقا ٢٢ : ٣) إذ قد خرج بعد ذلك ليأمر مع رؤساء الكهنة .

لكن يوحنا يقرر أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة
(١٣ : ٢٧) أثناء العشاء .

★ ★

شك التلاميذ:

يقول مرقس : « وقال لهم يسوع أن كلكم تشكون في هذه الليلة .
لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتبتدد الخراف . ولكن بعد قيامى أسبقكم
إلى الجليل .

فقال له بطرس وان شك الجميع فأنا لا أشك . فقال يسوع الحق
أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى
ثلاث مرات .

فقال بأكثر تشديد واو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك وهكذا
قال أيضاً الجميع - ١٤ : ٢٧ - ٣١ . »

★

ويقول نينهام « إن هذا الجزء يبين أن ما حدث كان وفق نبؤة العهد
القديم . وفي هذه الحالة الخاصة (بشك التلاميذ) فإن ذلك - الكلام عن
النبؤة - كان يبدو ضرورياً إذ لا بد أنها كانت عقبة كبيرة بالنسبة للمسيحيين
الأوائل ، وخاصة في روما ، الذين تساءلوا عن سبب إنكار بطرس وبقية
التلاميذ ليسوع أثناء حياته الجسدية ، وهم الذين عرف أنهم شهود للمسيح
لا يخافون في شهادتهم شيئاً ..

ولقد وجد جزء من بردية مكتوبة تمثل نسخة من مادة هذا الجزء ،
تحذف العدد ٢٨ (الذى يقول : لكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل) وتحذف
كذلك كلمة : مرتين المذكورة في العدد ٣٠ كذلك فإن الدقة المتناهية
للتفصيلات المذكورة في العدد ٣٠ قد ترجع إلى تعديل أدخل مؤخراً
على التعاليم (٨) .

★

ولا يختلف متى كثيراً عن مرقس إلا في قول الأول : « انك في هذه الليلة قبل أن يصبح ديك تنكرني ثلاث مرات - ٢٦ : ٣٤ » .
وبالمثل موقف لوقا الذى يقول : « يا بطرس لا يصبح اليك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفنى - ٢٢ : ٣٤ » .

★

لكن الشيء الهام هنا هو قول يسوع بوضوح لتلاميذه .. كل تلاميذه « كلكم تشكون في هذه الليلة » .

فرغم أن الجملة واضحة تماماً وتعنى شك التلاميذ في معلمهم ، إلا أن المعنى يزداد وضوحاً حين نعلم أن كلمة : تشكون تعنى : ترتدون عن عقيدتكم ، وتزلون - كما جاء في التراجم غير العربية .

ومن المعلوم كذلك أن الانكار غير الشك : فقد ينكر الإنسان أمراً أمام الناس بينما هو يعلمه يقيناً ويسره في قرارة نفسه ، أما الشك فيمكن تعريفه في إحدى صورته التى تنطبق على حالتنا هذه بأنه تراجع - يجرى داخل النفس - عن التصديق بشيء ..

لقد آمن التلاميذ بالمسيح رسولا من الله يقول الصدق ، وهو إذا تنبأ بمستقبل كانت تنبؤاته صادقة ولا بد أن يحدث ما سبق أن تنبأ به .

أما إذا رأى التلاميذ أن ما حدث يعتبر مخالفاً لما سبقت به نبؤة المسيح فعندئذ يكون الشك ، وهنا فقط يشك التلاميذ في المسيح ، ويرتدون عن عقيدتهم في الإيمان به والتصديق برسالته .

إن ذلك كله مسلمات لا تحتاج إلى برهان .

وعلينا بعد ذلك أن نرقب ما ترويه الأناجيل من أحداث ، ثم نبحث عن شيء هام ألا وهو : شك التلاميذ في معلمهم ، الذى قيل أنه حدث في الليلة الأخير .

٣ - الليلة الأخيرة

آلام المسيح

يقول مرقس : « وجاءوا إلى ضيعة إسمها جثسياني فقال لتلاميذه أجلسوا ههنا حتى أصلى .

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . وقال لهم نفس حزينة جداً حتى الموت .

أمكثوا هنا وأسهروا .

ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلى لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك .

فأجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن ما أريد أنا بل ما تريد أنت .

ثم جاء ووجدهم نياما . فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة .

اسهروا وصلوا لئلا تدخاوا في تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه .

ثم رجع ووجدهم أيضاً نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيئون .

ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . يكفي . قد أتت الساعة هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . قوموا لنذهب . هوذا الذي يسلمني قد اقترب - ١٤ : ٣٢ - ٤٢ . »

★

إن هذا الجزء « يصف آخر مرة كان فيها يسوع مع تلاميذه ، إذ أننا نجد أن نهاية الفقرة التالية (لنظيره من إنجيل متى) تقول : حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (٩) .

« ولقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء ،
وجرى تساؤل عما إذا كان يعتبر في الحقيقة جزءاً من المصدر الذي روى
عنه القديس مرقس .

فالبعض يشير إلى أن مثل هذا الوصف (لحال يسوع في وقت الشدة)
ربما يكون قد صدر عن بطرس . ويؤكدون عدم احتمال قيام الكنيسة
باختراع مشهد كان بالتأكيد مدمراً للرسول ، كما أنه أكد حالة الفزع والحزن
التي حلت بيسوع - وذلك خلافاً لحالة الثبات ورباطة الجاش التي واجه بها
الموت كثير من الشهداء المسيحيين الأوائل ..

ويؤكد آخرون أنه لم يكن في مقدور أحد أن يكون شاهداً لأغلب
الحوادث المذكورة هنا ، كما لم يكن في مقدوره أن يعلم ما هي الصلاة
التي صلاها يسوع وحيداً . ولذلك فإنهم يعتبرون أن الصلاة النموذجية
(في العدد ٣٦ : يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجزعني ..) ، وتكرارها
ثلاث مرات ، إنما هي شيء مصطنع مثل القول بانكار بطرس ثلاث مرات ..
ان القرار الموثوق منه (حول حقيقة ما جرى في الحديقة)
مستحيل « (١٠) .

★

ولا تختلف رواية متى كثيراً عما رواه مرقس إلا في قوله : « وكان
يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس - ٢٦ : ٣٩ » .
بدلاً من قول مرقس : « وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك
فأجزعني هذه الكأس » .

ويوجد سبب قوى لهذا التغيير الذي أحدثه متى في روايه مرقس ، وهو
ما سوف نذكره عند دراسة الموضوع الثالث من قضية الصلب وهو :
المسيح ومحاولات قتله ، وأظن القارى يستطيع الوصول إلى نتيجة محددة
فيه ، حبذا لو أعاد قراءة ما يرويه الإنجيل عن آلام المسيح .

★

أما رواية لوقا عن آلام المسيح فنجد فيها ما يجعلنا نعرضها - إذ أنها تقول : « وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضاً تلاميذه .. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة .

وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى . قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان في جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .

ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن . فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة - ٢٢ : ٣٩ - ٤٦ » .

ويقول جورج كيرد في تفسيره لهذه الفقرات : « حسب رواية مرقس (الذي كان مصدراً لوقا) نجد أن يسوع بدأ يكتبفه الآن الفرع والذهول ، وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها ، ولما كان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فانه قضى الليل في تشنجات متتالية من صلاة المكروب .

لكن رواية لوقا المختصرة (بالنسبة لرواية مرقس) تعطينا ، بقدر الإمكان ، انطباعاً أقوى عن حالة الاضطراب التي حلت بيسوع . فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذي انتزع نفسه بعيداً عن أصحابه ، وأنه كان في ألم مبرح ، وأن عرقه صار مثل قطرات دم .

وعندما نتذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان ، بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط ، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله - في صلاته - أن يجيزها عنه .

إن صلاة يسوع تربينا أن عذاب الشك كان أحد عناصر محنته المعقدة . فلکم تنبأ بآلامه لكنه الآن عشية حدوثها ، نجده ينكص على عقبه ، ولم يكن هذا مصحوباً فقط بالتقلص الطبيعي الذي ينشأ عن التعذيب البدني

بل كان يصحب ذلك الخوف من ألا تكون تلك المعاناة بعد كل ذلك - هي
مشيئة الله . . .

إن تحذير يسوع لتلاميذه من خطر التجربة يكشف لنا عن شعوره
بأنه شخصياً وتلاميذه قد أحاطت بهم سلطات الظلمة الروحية ، التي
جاهدها في مستهل دعوته . ولقد كان من بواعث محنته ، ما شعر
به من أن جهاده وما كان يتلوه من طهر وكمال ، يتعرض آنذاك
بصورة مروعة لعملية اغتصاب نهائى على يد سلطات الظلمة «(١١) .

هذا - ولما كانت بعض المراجع القديمة تحذف العددين ٤٣ ، ٤٤
(وقد كتبنا بالبنط الأسود) رغم وجودها في أغلب النسخ ، وإلمام علماء
المسيحية في القرن الثانى بهما « فان هذا الحذف يمكن إرجاع سببه
إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا (التي رسمتها هذه الفقرة)
وقد اكتنفها الضعف البشرى ، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن
الإلهى الذى شارك أبيه فى قدرته القاهرة «(١٢) .

*

وأما رواية يوحنا فانها تذكر أن يسوع استنفذ الفترة ما بين خروج
يهوذا لتنفيذ مؤامرتة ، وعودته مع انقوة التي جاءت للقبض على معلمه ،
فى جعل يسوع يلقي محاضرة طويلة على تلاميذه استغرقت أكثر من أربعة
إصحاحات هى : بقية الإصحاح ١٣ ثم الإصحاحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
١٧ فكانت تمثل بذلك نحو ٢٠ ٪ من حجم إنجيل يوحنا . وقد تخلل تلك
المحاضرة حوار بين يسوع وتلاميذه ، وفى كل هذا نجد يوحنا يركز على
ما اعتبره البعض - فيما بعد - تأكيداً على لاهوت المسيح .

فى هذه المحاضرة الطويلة قال يوحنا على لسان المسيح :

« الذى رآنى فقد رأى الآب .. أنا فى الآب والآب فى .. الآب الحال
فى هو يعمل الأعمال .. ليكن الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى

(١١) المرجع ٨ - ص ٢٤٣

(١٢) المرجع ٨ - ص ٢٤٣

وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا . . أنا فيهم وأنت في ليكونوا
مكلمين إلى واحد . . .

ولما قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادى قدرون حيث
كان بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع . لأن
يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه .

فأخذ يهوذا الخند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى
هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه
وقال لهم من تطلبون .. « ١٨ : ١ - ٤ »

لقد صمت يوحنا عن آلام المسيح ومعاناته في الحقيقة ، ولم يذكر
لنا سوى نبذة بسيطة عن حالة الفزع والاضطراب التي لحقت به حين شعر
بخطر المؤامرة يقرب منه ، وكان ذلك أثناء العشاء الأخير - إذ قال
يوحنا : « لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق أقول لكم
أن واحداً منكم سيسلمني » .

★ ★

القبض

يقول مرقس : ولوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحداً من الإثنى
عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة
والشيوخ . وكان مسلمه (يهوذا) قد أعطاهم علامة قائلًا الذي أقبله هو . هو .
أمسكوه وامضوا به بحرص .

فجاء للوقت وتقدم إليه قائلًا يا سيدى يا سيدى . وقبله .

فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه .

فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه .
فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني
كل يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكونى . ولكن لكى
تكمل الكتب .

فتركه الجميع وهربوا ..

وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبان . فترك الإزار وهرب

منهم عريانا - ١٤ : ٤٣ - ٥٢ *

« من المناسب أن نضيف هنا أن باكون قد طعن في القيمة التاريخية لكل هذه الفقرات في مقال هام وشهير * : ماذا كانت خيانة يهوذا ؟ - وذلك على أساس أن السلطات كانت تعرف يسوع ، كما كانت على علم تام بتحركاته ، وكان في استطاعتها أن تكتشف مكانه بسهولة وتقبض عليه في هدوء ، دون ما حاجة إلى طلب معاونة غير مضمونة من خونة مأجورين .. هذا - وبالنسبة للعدد ٤٧ (فاستل واحد من الحاضرين السيف .. فقطع أذنه) فن الواضح أنه قد ألحق بأسلوب مفكك جداً بما قبله .. ولعل القول : لكي تكمل الكتب - قد أدخل هنا على الرغم من عدم ورود فقرة معينة من كتب العهد القديم تناسب هذا الموقف ..

كذلك فان العديدين ٥١ ، ٥٢ (وتبعه شاب . . عريانا) يدعوان للحيرة ، فقد وضعا بطريقة مربكة بعد العدد ٥٠ ، ولهذا فان بعض النساخ قد نقحوا الأصل الإغريقي لكي ينصقل الترابط مع ما قبلهما ، كما أن كلا من متى ولوقا قد حذفهما من إجميله » (١٣)

* « أما التغييرات الأساسية التي أدخلها متى إلى رواية مرقس فهي إضافته إلى قول يهوذا : السلام يا سيدى ، وكذلك قول يسوع إلى أحد تابعيه بعد قطع أذن عبد رئيس الكهنة : رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أنظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل أنه هكذا ينبغي أن يكون .

* Hibbert Journal (Vol. XIX for 1920-1, pp. 476 ff.)

كذلك حذف متى قصة مرقس عن الشاب الذي هرب عريانا «(١٤)».

★

ويسير لوقا في روايته بمحاذاة متى ، إلا أنه يرفض رواية الإثني عشر جيشاً من الملائكة ، كما رفض رواية مرقس عن الشاب الذي هرب عريانياً .

ثم هو يذكر شيئاً مختلفاً عن قبله - يهوذا - إذ يقول : « وبينما هو يتكلم إذا جمع والذي يدعى يهوذا أحد الإثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله . فقال له يسوع يا يهوذا أبقبله تسلم ابن الإنسان - ٢٢ : ٤٧ - ٤٨ » .

★

وأما روايه يوحنا فانها تعطي صورة مختلفه تماماً عما روته الأناجيل الثلاثة عن حادث القبض - فهو يقول : « أخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين .

وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح .

فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال من تطلبون .

أجابوه يسوع الناصري . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم .

فلما قال لهم أني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض .

فسأذم أيضاً من تطلبون . فقالوا يسوع الناصري . أجاب يسوع قد قلت لكم أني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذي قاله أن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً .

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس . فقال يسوع لبطرس إجعل سيفك في الغمد . الكأس الذي أعطاني الآب ألا أشربها - ١٨ : ٣ - ١١ .

★

أين شك التلاميذ ؟ !

لقد سبق أن ذكرت الأناجيل على لسان المسيح قوله لتلاميذه :
« كلكم تشكون في في هذه الليلة » .

ونحن هنا أمام احتمالين :

أحدهما - أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده ،
ورغم أنها ستسبب له ألماً ومعاناة إلا أنها ستفشل وينقذه الله من القتل الذي
ينتظره على أيدي مدبريها .

ثانيهما - أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده
وتسبب له ألماً ومعاناة وتنتهي بقتله .

فإن كانت الحالة الأولى ، ورأى التلاميذ - حسب ما ترويه الأناجيل
- بكل وضوح ، أن المسيح قبض عليه في تلك الليلة ، واستطاعت قوى الظلم
أن تنتصر عليه وتحقق ماتريد ، فعندئذ لا بد أن يشك التلاميذ في معلمهم الذي
تنبأ لهم بنجاته ، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث .
هنا فقط يحدث الشك والزلزل والارتداد عن العقيدة .

ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكوا في المسيح
في تلك الليلة .

فإن هذا يعني أن الأحداث سارت حسبما جاء في تلك الحالة التي تنتهي
بنجاة المسيح من القبض والقتل .

أما إن كانت الحالة الثانية ، وهي أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه
وقتله ، فإن ما شاهده التلاميذ - حسب رواية الأناجيل أيضاً - هو أن
ذلك ما حدث

ولا محل للشك إذن في هذه الحالة .

ولا ريب في أن نفي الشك عن التلاميذ في تلك الليلة ، يترتب عليه
بالضرورة إلحاق تنبوءات خاطئة بالمسيح وهو الأمر الذي لا يمكن أن
يصدر عنه .

إن هذه النقطة وحدها تقطع بأحد أمرين :
إما التسليم بأن الأناجيل تنسب للمسيح أقوالاً وتنبؤات خاطئة .
وإما التصديق بفشل المؤامرة ضد المسيح ، وبالتالي نجاته من
القبض عليه وقتله .

*

مما سبق نجد أن الأناجيل الأربعة اختلفت في قصة القبض
وملابساتها :

فقد روى كل من مرقس ومتى أن يهوذا قبل المسيح ، وروى لوقا
أن يهوذا كان على وشك أن يقبله بينما لا يعرف يوحنا شيئاً عن القبلة .

ويذكر كل من مرقس ومتى أن تحية وكلاماً جرى بين يهوذا والمسيح
ويصمت لوقا عن تلك التحية بينما لا يذكر يوحنا شيئاً عن يهوذا سوى
الصمت التام بعد أن قاد القوة التي جاءت للقبض عليه في البستان .

وإذا صرفنا النظر عما جاء في روايتي الإثني عشر جيشاً من الملائكة ،
والشاب الذي هرب عرياناً - لبقيت ثلاث نقاط أساسية لا بد من استيعابها
تماماً والوقوف عندها ، وهي :

١ - أن القبلة كانت الوسيلة الوحيدة لتعريف أفراد القوة بشخصية
المسيح (حسب مرقس ومتى ولوقا) - بينما تم ذلك بعد أن أظهر المسيح
ذاته لهم بطريقة تم عن التحدى والثبات الذي يتحلى به المجاهدون من
أصحاب العقائد والرسالات .

٢ - وأن حادثاً غير عادي وقع في تلك اللحظة مما أذهل أفراد القوة
وجعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض .

٣ - وأن التلاميذ - حسب ما يرويه كتبة الأناجيل - لم يشكوا في
المسيح ولو للحظة واحدة من تلك الليلة التي حدث فيها القبض .

ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها ترد دائماً إلى تنبؤات العهد
القديم وخاصة سفر المزامير . فإن المزمور ٩١ الذي يستشهد به كثيراً - يقول :

« لأنك قلت يا رب ملجأى . جعلت العلى مسكنك .
لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .
لأنه يوصى ملائكته بك لىكى يحفظوك فى كل طارق . على الأيدى
يحملونك لئلا تصلم بحجر رجلك ..
أرفعه لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق .
أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى - ٩ : ١٦ »

أليس من حق القائل أن يقول أن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها
فى تلك اللحظة التى كادت تزيغ فيها قلوب المؤمنين ، بعد أن رأى المسيح
وتلاميذه أن سلطان الظلمة على وشك أن يبتلعهم ؟
أليس هذا هو ما تنطق به المزامير ؟
سبحان ربى العظيم المتقذ المخلص ..

* *

٤ - المحاكمة

المحاكمة الأولى : أمام مجمع اليهود

يقول مرقس : « مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع . ومعه جميع
رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة .

وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان
جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار .

وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه
فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهادتهم .. ثم قام قوم
وشهدوا عليه زوراً قائلين : نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل
المصنوع بالأيدى وفى ثلاثة أيام ابنى آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا
كانت شهادتهم تتفق .

فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلاً أما تجيب بشئ ماذا
يشهد به هؤلاء عليك .

أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشئ .
فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أنت المسيح ابن المبارك .
فقال يسوع أنا هو . وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين
القوة وآتيا في سحاب السماء .
فزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم
التجديف . ما رأيكم فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت .
فابتدأ قوم ييصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمنونه ويقولون له تنبأ .
وكان الخدام يلطمونه - ١٤ : ٥٣ - ٦٥ «

*

يقول نينهام : « ليس من السهل أن نبين كيف نشأ هذا الجزء . ولقد
كان السؤال حول قيادته التاريخية - ولا يزال - موضوعا يتعرض
لمناقشات حيوية . ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك في
قيادته التاريخية ، ونناقشها باختصار كما يلي :

١ - يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع - أي
السندرين - وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين عضوا يرأسها
رئيس الكهنة ، وتمثل السلطة الشرعية العليا في اسرائيل .
ولما كانت لائحة السندرين المذكورة في المشنا ، تبين الخطوات
التفصيلية التي يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة ، فان المقارنة بين تلك الإجراءات
وبين ما يذكره القديس مرقس عن محاكمة يسوع ، تكشف عن عدد من
المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار ..

٢ - ولكن ، هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السندرين -
ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحاكمة في
منتصف ليلة عيد الفصح ، أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقس لأسبوع
الأحداث غير دقيق فهل كان من الممكن أن يجتمعوا في منتصف الليلة
السابقة لعيد الفصح ؟ ..

إن محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت تبدو شيئاً لا يمكن تصديقه ، كما يشك أغلب العلماء تماماً في عقد جلسة في مثل ذلك الوقت ، ولو لعمل تحقيقات مبدئية .

إن القديس لوقا لا يذكر شيئاً عن عقد المجمع بالليل (فهو يقول : ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة واصعدوه إلى مجمعهم - ٢٢ : ٦٦) ، كما تبدو رواية القديس مرقس عن عقد جلسة الصباح الباكر - (التي يقول عنها : وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة .. - ١٥ : ١) - أنها قائمة على غير أساس . .

لذلك فإن أغلب العلماء يعتقدون أنه لما كان القديس مرقس يعلم عن روايتين للمحاكمة (ذكر أولاهما في ١٤ : ٥٣ - ٦٥ ، وذكر الثانية في ١٥ : ١) ، فلعله نتيجة لمباحث خاصة حصل بها على فكرة مبهمة عما حدث بعد القبض - فانه قد فهم خطأ أن الروايتين تشيران إلى محاكمتين مختلفتين (الأولى بالليل ، والثانية بالنهار) .

وفي حقيقة الأمر فإن السلطات اليهودية اجتمعت مرة واحدة فقط ، وكان ذلك في الصباح الباكر كما هو مذكور في ١٥ : ١ ، على أن هذا يشير سؤالاً آخر :

٣ - ما مقدار الدقة في الرواية المذكورة (في ١٤ : ٥٣ - ٦٥) حتى يمكن الاعتماد عليها في معرفة حقيقة ما حدث في جلسة ذلك الصباح الباكر؟ ونجد هنا أن فكرة الخبراء قد انقسمت بشكل حاد ، فبعض المعلقين يعاملون رواية القديس باحترام زائد ، بالرغم من مشاكلها المعترف بها ، وذلك على أساس أن المعلومات الدقيقة ربما تكون قد جاءت من أعضاء المجمع الذين أصبحوا مسيحيين فيما بعد (مثل يوسف الذين كان من الرامة ونيكوديموس) - بينما يرفض آخرون ذلك باعتباره مجرد تخمين ، وهم يسوقون البراهين - المستخرجة من الفقرة ذاتها - على أنها لا تزيد عن اعتبارها استنتاج المسيحية الأولى لما ظن أنه لابد قد وقع . وفيما يلي عرض موجز لتلك البراهين :

إذا حدث تحريض لشهود الزور للتقدم بشهادتهم ، ألم يكونوا قد لقنوا شهاداتهم مقدما - كاجراء حصيف لا بد منه لكي تتفق شهاداتهم ؟

(ب) وحسب الشريعة اليهودية ، نجد أنه لا الأقوال التي نسبت ليسوع عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها - ولا اجابته لرئيس الكهنة ، تعتبر تجديفا على الإسم الإلهي ، مما يقتضى شجبه بطريقة خاصة « حسبما يذكره سفر اللاويين .. كل من سب الهه يحمل خطيته ، ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل . يرحمه كل الجماعة رجما - ٢٤ : ١٥ - ١٦) .

(ج) إذا كان يسوع قد أدين بسبب التجديف (كما يقرر الإنجيل) فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب ، وذلك برجمه حتى الموت ، وفق ما يقوله سفر اللاويين « (١٥) .

*

« أما متى فقد اختصر رواية مرقس ١٤ : ٥٣ - ٦٥ ، لكنه أضاف قسم رئيس الكهنة في العدد ٦٣ (استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل انت المسيح ابن الله) ، كما أضاف جزءا من كلمات السخرية في العدد ٦٨ (مثل : وآخرون لظلموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك) .. كذلك غير متى إجابة يسوع لرئيس الكهنة التي قال فيها : أنا هو - إلى قوله : أنت قلت ، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة واتيا على سحاب السماء » (١٦)

*

وتختلف رواية لوقا عن روايتي مرقس ومتى في عنصر هام ، وهو أن الأخيرين جعلوا محاكمة المتبوض عليه أمام مجمع اليهود تحدث في الليل عقب القبض عليه مباشرة ، بينما جعلها لوقا في صبح اليوم التالي - فهو يقول :

(١٥) المرجع ٦ - ص ٢٩٨ - ٤٠٢ .

(١٦) المرجع ٧ - ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

« فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة ..
والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه ..
ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه
إلى مجمعهم . قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا .
فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبوني ولا
تطلقوني ..

منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع
أفأنت ابن الله . فقال لهم أنتم تقولون أني أنا هو . فقالوا ما حاجتنا بعد
إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه - ٢٢ : ٥٤ - ٧١ »

ويقول جورج كيرد تعليقا على ذلك : « إن لوقا يحذف المباحث
التمهيدية التي ذكرها مرقس في روايته ويأتي مباشرة إلى السؤال الخامس:
هل أنت المسيح ؟ ..

وهنا نجد أن يسوع لا يزال يفضل لقب ابن الانسان .. وعلى أية
حال فانه - يجيب على السؤال إجابة مسترة يعتبرها المستجوب تصديقا
على قوله . لقد كان ذلك كل ما أرادوه لكي يلقفوا إياهم ضده « (١٧) .

*

أما رواية يوحنا فأنها مختلفة تماما عن الثلاثة الآخرين إذا أنها تجعل
القوة تذهب بالمقبوض عليه إلى حنان أولا - حيا قيافا رئيس الكهنة - بدلا
من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة كما قال مرقس ومتى ولوقا .

كذلك فان يوحنا يروي قصة مختلفة عن استجواب رئيس الكهنة
للمقبوض عليه . ويتضح ذلك من قول يوحنا :

« ثم إن الجند والخدام والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه .

ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حيا قيافا الذي كان رئيسا للكهنة في

تلك السنة ..

فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع
أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث
يجتمع اليهود دائماً . وفي الخفاء لم أتكلم بشيء .

لماذا تسألني أنا . أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء
ماذا قلت أنا .

ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلاً أهكذا
تجاوب رئيس الكهنة .

أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي وإن حسناً
فلماذا تضربني .

وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة - ١٨ : ١٢ - ٢٤ .

★ ★

قصة إنكار بطرس :

لعل قصة إنكار بطرس تعتبر من القصص القلائل التي نضطر إلى نقل
كل نصوصها كما ذكرتها الأناجيل الأربعة . ولم يكن مرد ذلك إلى الخلاف
الواضح بين ما ترويها الأناجيل عن عناصرها المختلفة ، بقدر ما يرجع -
في الواقع - إلى الخلط بين رواية التنبؤ بإنكار بطرس للمسيح ، وبين
التنبؤ بشك جميع التلاميذ في معلمهم في تلك الليلة الأخيرة .

★

يقول مرقس : « ففضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع
رؤساء الكهنة والشيخ والكهنة وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل
دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار ..

وبينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة .
فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت وأنت كنت مع يسوع الناصري .

فانكر قائلاً لست أدري ولا أفهم ماتقولين . وخرج خارجاً إلى
الدلهيز . فصاح الديك فرأته الجارية أيضاً وابتدأت تقول للحاضرين أن
هذا منهم . فانكر أيضاً .

وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلي
أيضاً ولغنتك تشبه لغتهم .
فابتدأ يلعن ويحلف أنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه . وصاح
الديك ثانية .

فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع أنك قبل أن يصيح الديك
مرتين تنكرنى ثلاث مرات . فلما تفكر به بكى -١٣ : ٥٣-٧٢ .

يقول نينهام : « إن قصة إنكار بطرس تثير عدداً من المشاكل ..
ويرى بولتمان أنها أسطورية . .

كذلك فإن إحدى النسخ الهامة التى تحذف : وصاح الديك - فإنها
تحذف كذلك الكلمتين ثانية ، ومرتين - من العدد ٧٢ ، كما تحذف :
مرتين - من العدد ٣٠ ، وفى هذه الحالة يكون قد تم التخلص من صياح
الديك مرتين وبذلك تتفق رواية مرقس مع روايتى متى ولوقا « (١٨) .

*

ويقول متى : « وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة
فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ..

أما بطرس فكان جالسا خارجاً فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت
كنت مع يسوع الجليلي فانكر قدام الجميع قائلاً لست أدري ما تقولين .

ثم إذ خرج الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع
يسوع الناصرى .

فأنكر أيضاً بقسم أنى لست أعرف الرجل .

وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم فإن
لغنتك تظهرك .

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أنى لا أعرف الرجل .
وللوقت صاح الديك .

فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له أنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات . فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرأ - ٥٨ : ٢٦ - ٧٥ .
ويقول جون فنتون : « لعل متى قد أضاف . قدام الجميع (فى قوله عن بطرس : فانكر قائلًا لست أدري ما تقولين) ، لأن ذاكرته كانت تعنى قول يسوع الذى ذكره من قبل : من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات - ١٠ : ٣٣ » (١٩) .
ومعنى هذا الهلاك لبطرس ، كما سبق أن بينا .

★

ويقول لوقا : « أما بطرس فتبعه من بعيد . ولما أضرمواناراً فى وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم .
فرأته جارية جالسا عند النار ففترست فيه وقالت وهذا كان معه :
فأنكره قائلًا لست أعرفه يا امرأة .
وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم . فتمالك يا إنسان لست أنا .
ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلًا بالحق أن هذا أيضاً كان معه لأنه جليلي أيضاً .

فقال بطرس يا إنسان لست أعرف ما تقول .
وفى الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلى بطرس .
فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له أنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات - ٢٢ : ٥٤ - ٦١ .

ويقول جورج كيرد تعليقا على ذلك : « من هذه النقطة فصاعدا نجد أن قصة لوقا تسير موازية لقصة مرقس ، ولكن مع حيود كبير ،

بالنسبة لكل من محتوياتها وتسلسل حوادثها . فعلى حسب رواية مرقس نجد أن يسوع قد أخذ مباشرة إلى جلسة السنهدين التي عقدت في منتصف الليل ، وأن السخرية منه حدثت في وسط الدار بعد سماع إجابته (لرئيس الكهنة) ، وأن أنكار بطرس حدث أثناء المحاكمة في فناء خارجي ، وأن قرار إرسال يسوع إلى بيلاطس قد اتخذ في الجلسة الثانية التي عقدت في الصباح .

وعلى حسب رواية لوقا نجد أن يسوع وضع تحت الحراسة في منزل رئيس الكهنة إلى أن عقد السنهدين ، وأنه حدث أثناء ليل الانتظار الطويل أن قام الحراس بتسليية أنفسهم على حساب السجين ، وأن بطرس أنكر سيده . إن ترتيب لوقا للحوادث يبدو محتملا إلى حد بعيد » (٢٠) .

ولاشك أن تفضيل رواية لوقا عن الروايات الأخرى ، يرجع إلى استبعاده عقد جلسة السنهدين في منتصف ليلة القبض على السجين .

★

أما رواية يوحنا فتقول : « وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا . فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس .

فقالت الجارية البوابة لبطرس الست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان . قال ذلك لست أنا .

وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد أضرموا جمرأ لأنه كان برد . وكانوا يصطلون .

وكان بطرس واقفا معهم يصطلي .

فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تعليمه ..

وسمعان بطرس كان واقفا يصطلي . فقالوا له ألسنت أنت أيضاً

من تلاميذه .

فأنكر ذلك وقال لست أنا .

قال واحد من عبید رئیس الكهنة وهو نسیب الذی قطع بطرس إذنه
أما رأيتك أنا معه فی البستان فأنكر بطرس أيضاً . ولوقت صاح الديك
— ١٦ : ٢٧ — « .

*

إن اختلاف كتبة الأناجيل فی قصة إنكار بطرس واضح لا يحتاج
إلى تعليق .

ويستطيع القارئ التحقق من ذلك وخاصة عندما يراجع ما يذكره
كل إنجيل عن شخصية المستفهم من بطرس بصرف النظر عن اختلافهم فيما
ذكر عن صياح الديك .

ففي مرقس نجد أن السؤال الأول كان من جارية في الدار أسفل —
وكان السؤال الثاني من نفس الجارية خارجا في الدهليز — وكان السؤال
الثالث من الحاضرين .

ويقول متى أن الأسئلة الثلاثة كانت كالآتي ، الأول من جارية وكان
بطرس جالسا خارجا في الدار — والثاني من جارية أخرى في الدهليز
والثالث من القيام .

وفي لوقا نجد أن : الأول من جاريه وكان عند النار — والثاني من
رجل — والثالث من رجل آخر .

ويقول يوحنا أن : الأول كان من الجارية البوابة — وكان الثاني من
الواقفين مع رئيس الكهنة وكان الثالث من واحد من عبید رئیس الكهنة .
حقاً إن قصة بطرس — كما قال المفسرون — مليئة بالمشاكل التي تذهب
بها بعيدا عن إطار الواقع .

ولا يبقى بعد ذلك سوى شك التلاميذ في معلمهم ، في تلك الليلة الأخيرة .

*

المحاكمة الثانية : امام بيلاطس .

يقول مرقس « وللوقت في الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس . فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود فأجاب وقال له أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً .

فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً أما تجيب بشيء أنظر كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس . وكان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه . وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفقائه في الفتنة الذين في الفتنة فعلوا قتلاً .

فصرخ الجمع وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائماً يفعل لهم . فأجابهم بيلاطس قائلاً اتريدون أن اطلق لكم ملك اليهود . لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً . فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحرى باراباس .

فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فاذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود .

فصرخوا أيضاً أصلبه فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل . فازدادوا جداً صراخاً أصلبه .

فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع مايرضيهم اطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب - ١٥ : ١ - ١٥ » .

★

« يبدأ هذا الجزء بالإجتاع الثاني للسهندرين .. إلا أن مضمون الفقرة الأولى (العدد ١) لا يعطينا أى إشارة عن اجتماع سابق ، ومن المرجح أن يكون ذلك هو الاجتماع الوحيد الذى تم عقده ، وأن ما يذكره مرقس في ١٤ : ٥٣ - ٦٥ (عن جلسة الليل) إنما يمثل إعادة نظم للأحداث حسباً تصورت المسيحية الأولى أنها لا بد أن تكون قد وقعت . فاذا كان الأمر كذلك ، فإن تفاصيل الوقائع التاريخية تصبح بعيدة التحقيق ..

ورغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت في العراق .. فإن رواية القديس مرقس لا يمكن اعتبارها بأية حال تقريراً لشاهد عيان . وفي الواقع إنها ليست تقريراً على الإطلاق ..

إننا لم نخطر كيف علم بيبلاطس بالتهمة (وفي العدد ٢ نجده قد عرفها من قبل) ، ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمي (على عكس لوقا الذي يقول : فحكم بيبلاطس أن تكون طلبتهم - ٢٣ : ٢٤)

وبالنسبة لما قيل عن عادة إطلاق أحد المسجونين .. فإن وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه : لا يعرف شيء عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا . إن القول بان عادة الحكام الرومان جرت على إطلاق أحد المسجونين في عيد الفصح ، وأن الجواهر هي التي كانت تحدد اسمه بصرف النظر عن جرمته ، إنما هو قول لا يستند إلى دليل على الإطلاق ، بل إنه يخالف ما تعلمه عن روح الحكم الروماني لفلسطين وأشلوبه في معاملة أهلها ..

على أن محتويات الحوار بين بيبلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضاً . فيبدو منها أن بيبلاطس قد ووجه مقدماً بالإختيار بين مجرمين أدينا . بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر ولكن في نهاية الفقرة الثانية (الإعداد ٢-٥) نجد أن يسوع لم يبدان وحسباً تذكره القصة ، لانجدمبراً يمنع بيبلاطس من تبرئة يسوع ، إذا كان قد اعتقد في برائته واصدار عفو كذلك عن باراباس .

ونجد في رواية القديس متى لهذه القصة أن اسم ذلك المتمرد قد ذكر مرتين (في ١٦ : ٢٧ ، ١٧) في أغلب النسخ على أنه : يسوع باراباس . والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية ..

إن حذف كلمة يسوع ، من النسخ المتداولة بيننا يمكن شرحه ببساطة على أساس أنه بالرغم من أن اسم يسوع (= يشوع) كان شائعاً (في أيام المسيح وقد ذكر بولس في رسائله : يسوع المدعو يسطس - كولوجي ٤ : ١١) - فلم يلبث المسيحيون أن اعتبروه إسماً مقدساً يرقى عن الاستخدام العادي ، وأن إطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهيناً « (٢١) .

★

ولقد إضاف متى إلى رواية مرقس قصتين : أحدهما تحكى نهاية يهوذا ، وهو الموضوع الثانى فى قضية الصلب ، والذى سنتعرض له فى حينه .

وأما القصة الأخرى فإنها تتكلم عن حلم زوجة بيلاطس - وفيها يقول متى : « وإذ كان (بيلاطس) جالسا على كرسي الولاية ارسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار . لأنى تأملت اليوم كثيرا فى حلم من أجله - ٢٧ : ١٩ » .

كذلك بين متى أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب بطريقة قاطعة ، وتعتبر فى نفس الوقت إعترافا منه على رؤوس الأشهاد ببراءة يسوع - فهو يقول :

« فقال الوالى وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا انى برىء من دم هذا البار أبصروا أتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب - ٢٧ : ٢٣-٢٦ » .

لكن العلماء يشكون فى حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن « عملية غسل اليد لتكون دليلا على البراءة إنما هى عادة يهودية أكثر منها رومانية ، إذ يقول سفر التثنية : يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريين من المدينة أيديهم .. ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم . ومن المستبعد جداً أن يكون بيلاطس قد عمل شيئا كهذا » (٢٢) .

★

ويذكر لوقا أن المحاكمة الثانية أمام بيلاطس حدثت على مرحلتين : الأولى عندما « قام كل جمهورهم وجاءوا به إل بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليه قائلين أننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه مسيح ملك .

فسأله بيلاطس قائلاً أنت ملك اليهود فاجابه وقال أنت تقول .

فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع إني لا أجد علة في هذا الانسان - ٢٣: ١-٤ . وكانت المرحلة الثانية بعد محاكمة أخرى أمام هيروودس وقد انفرد لوقا بذكرها دون سائر الأناجيل .

وفي تلك المرحلة الثانية أعلن بيلاطس براءة المقبوض عليه من التهم الموجهة ضده وخاصة تلك التي كانت عقوبتها الموت. ولقد كان يرى الاكتفاء بتأديبه وضربه ثم اطلاق سراحه : « فقال لهم (بيلاطس) نالته فأى شر عمل . إني لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤديه وأطلقه - ٢٣: ٢٢ . »
ومما يجب ذكره أن العدد ١٧ الذي يقول : وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً - قد حذف من بعض النسخ الهامة (٢٣) .

★

ولا تختلف رواية يوحنا كثيراً في مضمونها عما قيل في الأناجيل الأخرى إلا في أسلوبها الفلسفي ، مع التأكيد على اعلان بيلاطس براءة المقبوض عليه :

★★

المحاكمة الثالثة : أمام هيروودس

يقول لوقا : « كانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي . وحين علم أنه من سلطنة هيروودس أرسله إلى هيروودس إذ كان هو أيضاً تلك الأيام في اورشليم وأما هيروودس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لساعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء . »

ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد .

فاحتقره هيروودس مع عسكره واستهزأ به والبسه لباساً لامعاً وردّه إلى بيلاطس .

فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم لأنها كانا من قبل في عداوة بينهما - ٢٣: ٥-١١ .

ويقول جورج كيرد تعليقا على ذلك : « إن المحاكمة أمام هيرودس لم تذكر في أى إنجيل آخر غير إنجيل لوقا ، ويتساءل بعض العلماء عما إذا كان هناك وقت كاف بين طلوع النهار والتاسعة صباحا يسمح بحدوث مثل تلك المرات الكثيرة من الهجاء والرواح . ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن تكون للوقا صلواته بأهل بيت هيرودس الذين استقى منهم معلوماته (عن : يونا امرأة خوزى وكيلي هيرودس ٨: ٣) ، كما أن أحد التقاليد التي اعتمد عليها في الاصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل (٤: ٢٦) ، قد احتفظت بصلاة اعتبر فيها أن اشترك هيرودس وبيلاطس في قتل يسوع إنما هو تحقيق لنبوذة المزمور الذي يقول : قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه - ٢: ٢ وقد دعى يسوع في نفس الفقرة (من سفر الأعمال) بقوله : عبدك القلدوس - thy holy servant

وعلى حسب رواية لوقا ، نجد أن جنود هيرودس - وليس بيلاطس - هم الذين البسوا يسوع ملابس ملكية .. كما لا يعلم شيء عن العداوة بين هيرودس وبيلاطس « (٢٤) .

★ ★

سخرية الجنود :

يقول مرقس : فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة . والبسوه أرجوانا وضمفروا أكليلا من شوك ووضعوه عليه . وإبتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود . وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم . وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه - ١٥: ١٦-٢٠ .

ويعتقد أغلب العلماء أن هذه القصة تعتبر واحدة من تلك التي كان يدخلها القديس مرقس إلى الرواية الأصلية ..

وهنا تثار نقطتان : الأولى - أن القصة بها أصداء - بعيدة وإن كانت واضحة - من الفقرات المذكورة في سفر أشعياء عن العهد المتالم (وخاصة ٥٠ : ٦ ، ٥٣ : ٣ ، ٥) وبالتأكيد فإن الكنيسة الأولى رأت في هذا الحادث تحقيقاً لتلك التنبؤات ، والسؤال الذي يثار بعدئذ عن مقدار ما عساه أن يكون قد حدث من تأثير نصوص العهد القديم في تفاصيل القصة واختيار كلماتها .

أما النقطة الثانية فإنها تعتبر أكثر ازعاجاً ، ذلك أن العلماء من أمثال فريزر ويش قد بينوا أن القصة في صورتها الحالية تجد لها نظائر مشوقة في الطقوس التي كانت تجرى في احتفالات معينة في العصور القديمة ، وخاصة الرومانية والبابلية ، وكذلك في حادث سجله فيلو عندما أقامت جواهر الاسكندرية مسرحاً قدمت عليه تمثيلية عملت للسخرية من أجربيا الأول الذي كان يزور مدينتهم في طريق عودته من روما مباشرة بعد أن عينه كاليجولا (٣٧ - ٤١ م) ملكاً على اليهودية .

فبعد أن أمسكوا بهودي أبله ، وألبسوه تاجاً من الورق ووثبوا من الحصير ، ووضعوا قصبه من البردى في يده (انظر متى الذي يقول : وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبه في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود - ٢٢ : ٢٩ ،

ولعل هذا الأثر قد فقد من نص القديس مرقس) - كما زودوه بحراس خصوصيين ، وبعد ذلك أعلنوا مبايعته ، وتظاهروا باستشارته في أمور الدولة .

ومن المثير حقاً أن اسم الضحية كان باراباس ، ونظراً لأن بعض العلماء قدرأوا هنا صلة بباراباس وبناء على ما رأوه من أمثلة متنوعة من عتائد العالم ، فإنهم وجدوا في هذه القصة دليلاً على شيوع أحد طقوس

العالم القديم الذى كان يعامل فيه أحد الرجال (واسمه فى هذا الطقوس كاراباس أو باراباس) كأنه مزيف بينما يذبح رجل آخر .

لقد كان المتهمون الذين أدانتهم المحكمة - فى العالم القديم - غير ما يجبرون على القيام بالأدوار الرئيسية فى مثل تلك الطقوس وبناء على هذا فإن الباب مفتوح لتأويل قصة آلام يسوع (المسيح) وإطلاق سراح يسوع باراباس (المجرم) على أنها حدثت فى محيط مثل تلك الطقوس «(٢٥)» .

ومن الجدير بالذكر أن «اسم باراباس يعنى : ابن الآب (الآب السماوى)» (٢٦) .

*

« ولقد أحدث متى بعض التغييرات فى مرقس ١٥ : ١٦ - ٢٠ ، إذ غير قول مرقس : ألبسوه أرجوانا ، إلى قوله : ألبسوه رداء قرمزيًا ، كما أضاف : وضعوا قصبه فى يمينه . كذلك فإنه غير ترتيب الحوادث بحيث جاءت الإشارة إلى جئى الجنود مبكرة (قبل البصق والضرب بينما هى فى مرقس بعده) (٢٧)

*

لكن هناك خلافاً جوهرياً بين مرقس ومتى وكذلك يوحنا - من جانب آخر .

فهذا الأخير قد جعل هيرودس وجنوده - وليس جنود بيلاطس ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - هم الذين سخروا من المقبوض عليه وغيروا ملابسه - فهو يقول : « احتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وورده إلى بيلاطس - ٢٣ : ١١ »

إن هذا الاختلاف دليل على تعذر الوصول إلى الحقيقة بين كتبة الأناجيل.

(٢٥) المرجع ٦ - ص ٤١٨ - ٤١٩ .

(٢٦) المرجع ٧ - ص ٤٢٥ .

(٢٧) المرجع ٧ - ص ٤٢٧ .

٥ - الصلب

حامل الصليب

يقول مرقس : « ثم خرجوا به ليصلبوه . فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه . وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع جمجمة - ١٥ : ٢٠ - ٢٢ » .

*

ويتفق متى ولوقا مع مرقس في أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيرواني .

*

لكن يوحنا يقرر شيئا آخر فهو يقول : « حينئذ أسلمه (بيلاطس) إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به . فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة - ١٩ : ١٦ - ١٧ » .

*

« لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب ، بحمل صليبانهم بأنفسهم .. ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلا في حالة يسوع . ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس (ومتى ولوقا) أن شخصا مجهولا يدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلا من يسوع ..

وبالنسبة لموضع جلجثة فإن التقاليد التي تقول أنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس ، لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع ، كما أنها لا تزال موضع جدل ولقد اقترحت أماكن أخرى في عصرنا الحاضر ، إلا أن القطع بواحد منها لا يزال بعيداً عن التحقيق » (٢٨)

**

شراب المصلوب

يقول مرقس : « أعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل -
١٥ : ٢٣ » .

ويقول لوقا : « والجند أيضا استنزأوا به وهم يأتون ويقدمون له
خلا - ٢٣ : ٣٦ » .

ويقول متى : « أعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد
أن يشرب - ٢٧ : ٣٤ »

« لقد غير متى قول مرقس : فلم يقبل - إلى قوله : ولما ذاق لم يرد
أن يشرب . لقد كان الغرض من المشروب أن يخفف الآلام ، ولعل هذا
هو السبب في أن الإنجيليين سجلوا أن يسوع لم يشرب » (٢٩) .

*

علة المصلوب

يقول مرقس : « وكان عنوان علته مكتوبا : ملك اليهود -
١٥ : ٢٦ » .

ويقول متى « وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة : هذا هو يسوع ملك
اليهود - ٢٧ : ٣٧ » .

ويقول لوقا : « وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية
وعبرانية : هذا هو ملك اليهود - ٢٣ : ٣٨ » .

ويقول يوحنا : « وكتب بيلاطس عنوانا ووضع على الصليب . وكان
مكتوبا : يسوع الناصري ملك اليهود - ١٩ : ١٩ » .

* *

« لقد اختلفت الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علته ، فبرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان . . بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة ، وأن ما ذكره القديس مرقس بوجه خاص عن علته ، إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد أعدم باعتباره المسيا » (٣٠)

*

ان اختلاف الأناجيل في عنوان علة المصلوب - وهو لا يزيد عن بضع كلمات معينة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون - إنما هو مقياس لدرجة الدقة لما ترويه الأناجيل . وطالما كان هناك اختلاف - ولو في الشكل كما في هذه الحالة - فإن درجة الدقة لا يمكن أن تصل إلى الكمال .
وقياسا على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل عن ألقاب المسيح ، وخاصة عند ما ينسب إنجيل إلى أحد المؤمنين به قوله : كان هذا الإنسان باراً ، بينما يقول إنجيل آخر : كان هذا الإنسان ابن الله .
أو عند ما يقول أحد الأناجيل على لسان تلميذه : يا معلم ، ويقول آخر : يا سيده ، بينما يقول ثالث : يا رب :
ان الحقيقة تبقى هنا دائماً محل خلاف .

* *

اللصان والمصلوب

يقول مرقس : « وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره . فتم الكتاب القائل وأحصى مع أئمة .. واللذان صلبا معه كانا يعيرانه
١٥ : ٢٧ - ٣٢ »

ويتفق متى مع مرقس في أن اللصين كانا يعيرانه .

*

لكن لوقا يقول : « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا .

فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .

أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله .

ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك . فقال له يسوع الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس - ٢٣ : ٣٩ - ٤٣ .

*

لقد اختلفت الأناجيل في موقف اللصين من المصلوب ، كما اختلفت نسخ مرقس مع نفسها في الرواية الواحدة ذلك أن بعض النسخ الهامة تحذف العدد ٢٨ الذي يقول : فتم الكتاب القائل وأحصى مع أئمة (٣١) .

* *

وقت الصلب

يقول مرقس : « وكانت الساعة الثالثة فصلبوه - ١٥ : ٢٥ »
لكن يوحنا يقول أن ذلك حدث بعد الساعة السادسة : « وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة .

فقال (بيبلاطس) لليهود هوذا ملككم فصرخوا خذوه خذوه اصلبه . .
فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب - ١٩ : ١٤ - ١٦ »

*

« منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقس إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية (الأحداث أو التوقيتات مثل : إنكار بطرس ثلاث مرات ١٤ : ٦٨ ، ٧٢

وقت الصلب الساعة الثالثة ١٥ : ٢٥ - وقت الظلمة من السادسة إلى التاسعة ١٥ : ٣٣ ، ٣٤ - وقت المساء ١٥ : ٤٢)

وفي هذا المثل على الأقل فإن الحساب يبدو مصطنعاً ، إذ أنه من الصعب أن كل ماروته الأعداد ١٥ : ١ - ٢٤ (منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلح) يمكن حدوثه في فترة الثلاث ساعات ، وبين إنجيل يوحنا (١٩ : ١٤) بوضوح أن ذلك لم يحدث « (٣٢)

* *

صلاة المصلوب

يقول لوقا : « ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره .

فقال يسوع يا أبته اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون - ٢٣ : ٣٣ - ٣٤ »

لقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التي حذقها الأناجيل بل وبعض

النسخ الهامة التي تنسب للوقا أيضاً (٣٣)

« ولقد قيل أن هذه الصلاة ربما تكون قد بحيث من إحدى

النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثاني ، الذي ظن أنه شيء

لا يمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود ، وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج

لأورشليم في عامي ٧٠ ، ١٣٥ م صار من المؤكد أن الله لم يغفر لهم « (٣٤)

أي أن تلك الصلاة لم يقبلها الله ، ولذلك محاها ذلك الكاتب .

* *

صرخة اليأس على الصليب

يقول مرقس : « ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض

كلها إلى الساعة التاسعة .

وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوي الوي لما شقيقتي

الذي تنسیره إلهي إلهي لماذا تركتني - ١٥ : ٣٢ - ٣٤ »

* *

(٣٢) المرجع ٦ - ص ٤٢٤ .

(٣٣) المرجع ٨ - ص ٢٥٠ .

(٣٤) المرجع ٨ - ص ٢٥١ .

ويأخذ منى برواية مرقس ، إلا أنه غير قول الأخير : الوى الوى
لما شبقتنى - إلى قوله : أيلي أيلي لما شبقتنى .

*

لكن لوقا يقول : « وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على
الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ..

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبته في يدك أستودع روحي
« ٢٣ : ٤٤ - ٤٦ »

*

بينما يقول يوحنا : « بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلكى يتم
الكتاب قال أنا عطشان وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلا فلاؤوا إسفنجة من
الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه .

فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكل - ١٩ : ٢٨ - ٣٠ »

*

إن صرخة اليأس على الصليب تثير عدداً من المشاكل التي كانت ولا
تزال موضع جدل بين العلماء فالبعض يقول : « يبدو أن القديسين لوقا
ويوحنا قد رأيا في كلماتها غموضاً واحتمالاً لسوء الفهم ولذلك حذفها ، ثم
استبدلها أحدهما بقوله : يا أبته في يدك أستودع روحي (لوقا ٢٣ : ٤٦)
بينما قال الآخر : قد أكل (يوحنا ١٩ : ٣٠) ..

وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذا الرأي يفترض الراوية الذي كان
شاغله الأول أن يذكر الحقيقة التاريخية ، ويسجل بأمانة ، للأجيال القادمة
كلاماً مزعجاً يتعذر تفسيره ..

ولهذا فإن أغلب العلماء المحدثين يقرون تأويلاً مختلفاً تماماً ، يقوم
على حقيقة أن هذه الكلمات (اليأس) إنما هي اقتباس من

وإذا أخذنا هذا المزمور ككل فإنه لا يمكن أن يكون صرخة
يأس بأى حال من الأحوال إنما هو صلاة لعبد بار يعانى آلاماً، إلا أنه
يثق تماماً في حب الله له وحفظه من الشر وهو مطمئن تماماً إلى حمايته «(٣٥)
وإن لنا عودة لهذا المزمور الذى لون به الإنجيليون قصة الصلب
والآلام - وذلك عند الحديث عن تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل .

* *

موت المصلوب

يقول مرقس : « ركض واحد وملاً إسفنجة خلا وجعلها على قصبة
وسقاه قاتلاً اتركوه لئلا يأتى إيليا لينزله .

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح - ١٥ : ٣٦ ، ٣٧ ،

ويقول متى : « قوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا أنه ينادى إيليا .
وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملاًها خلا وجعلها على قصبة
وسقاه وأما الباقون فقالوا اترك . لئلا يأتى إيليا بخلصه .

فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح - ٢٧ : ٤٧ - ٥٠ ،

وهنا نجد أن « متى هو الذى فرق بين ذلك الذى أعطى يسوع الخل ،
ومن قال : اترك ، ففي مرقس نجد أن نفس الشخص هو الذى يعطيه الخل
ويقول تلك الكلمات . ولكن فى متى نجد الباقيين هم الذين يخاطبون الرجل
الذى أعطاه الخل بقولهم : اترك (المخاطب الفرد) ، بينما هى فى مرقس :
اتركوا (المخاطب الجمع) ، وقد قبلت للمتفرجين «(٣٦)

كذلك فإن بعض النسخ الهامة من إنجيل متى تضيف - بعد الكلام عن إيليا
قولها : « وأخذ آخر حربى وطعن جنبه وللوقت خرج دم وماء » (٣٧)

*

• المرجع ٦ - ص ٤٢٧ - ٤٢٨

• المرجع ٧ - ص ٤٤٣

• المرجع ٧ - ص ٤٤١

ويقول لوقا : « ولما قال هذا (يا أبتاه في يدك أستودع روحي)
أسلم الروح - ٢٣ : ٤٦ »

★

ويقول يوحنا : « فلم أخذ يسوع الخلل قال قد أكمل . ونكس رأسه
وأسلم الروح ..

فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات لكن واحدا من
العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء - ١٩ : ٣٠ - ٣٤ .

★

ومهما كانت حقيقة الميت ، فان الموت كأس تتجرعه المخلوقات ..
وحين يغشى الناس بظله ، فانهم يسلمون لله طوعاً أو كرهاً ..
يسلم المؤمن طوعاً وهو الذى استسلم للمشيئة الإلهية من قبل ، ويسلم
الكافر كرهاً ، والكل لله مسلمون .

★ ★

في أعقاب الصلب

يقول مرقس : « انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل :
ولما رأى قائد المئة واقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً
كان هذا الإنسان ابن الله - ١٥ : ٣٨ - ٣٩

★

ويقول متى : « وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى
أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من
أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة
المقدسة وظهروا لكثيرين وأما قائد المئة والذين معه يجرسون يسوع فلما
رأوا الزلزلة وما كان خافون جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله -

٢٧ : ٥١ - ٥٤ »

★

ويقول لوقا : « أظلمت الشمس وإنشق حجاب الهيكل من وسطه ..
فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً -
٢٢ : ٤٥ - ٤٧ »

أما يوحنا فإنه لا يعلم عن ذلك شيئاً .

*

« إن حدوث كسوف للشمس (حسب رواية لوقا) بينما يكون القمر
بدرأ وكما كان وقت الصلب إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث ..
ولقد كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء
وكان الطبيعة تواسى الإنسان بسبب تعاسته » (٣٨)

« ولقد قيل أن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحرار
الكبار وبعض الشخصيات العظيمة في العصور القديمة الوثنية وخاصة
عند موت يوليوس قيصر » (٣٩)

ولقد أضاف متى إلى ما ذكره مرقس : « حدوث الزلزلة وتفتح
القبور ، وقيامة القديسين من الأموات وظهورهم للكثيرين في أورشليم
بعد قيامة يسوع ، وكان قصده من إضافة هذه الأحداث الخرافية أن يبين
أن موت يسوع كان عملاً من صنع الله » (٤٠)

*

الحق الذى لامرية فيه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفن
لموت صغير أو كبير .

**

(٣٨) المرجع ٨ - ص ٢٥٢ .

(٣٩) المرجع ٦ - ٤٢٧ .

(٤٠) المرجع ٧ - ص ٤٤٤ .

شهود الصلب

يقول مرقس : «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومه . اللواتي أيضاً تبعنه وخدمته حين كان في الجليل . وأخر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى اورشليم - ١٥ : ٤٠ - ٤١ »

كذلك يقول متى في ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦

★

ويقول لوقا : « وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك - ٢٣ : ٤٩ »

★

ويقول يوحنا : «وكانت واقفات عندصليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية - ١٩ : ٢٥ »

★

يقول جون فنتون : « لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع ، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة فاننا لانسمع عنه شيئاً أكثر من ذلك ، بعد انكاره ليسوع . إن مرقس ومتى ولوقا يخبروننا أن شهود الصلب كن نساء تبعن يسوع من الجليل الى اورشليم وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد ، وقابلن يسوع (بعد قيامته) .

ورغم أن متى قد ذكر في ١٣ : ٥٥ ، أن اثنين من اخوة يسوع كانا يسميان يعقوب ويوسى ، فمن الصعب جدا أن يكون قد عنى مريم أم يسوع عند الكلام عن مريم الأخرى (غير المجدلية والتي قال عنها : أم يعقوب ويوسى) « (٤١)

★

ويعلق بارت على مذكره يوحنا عن وجود أم يسوع وغيرها حول الصليب بقوله : « انه من غير المحتمل أساسا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصليب » (٤٢)

وكذلك تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على اختلاف الأناجيل في شهود الصلب : « نجد في الاناجيل (الثلاثة) المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع ، وأن القائمة التي كتبت بعناية واستفاضة لاتضم والدته - وأنهن كن : ينظرن من بعيد (مرقس ١٥ : ٤٠) .

ولكن في يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب ، تحت الصليب ومن تلك الساعة اخذها التلميذ المحبوب الى خاصة. هذا بينما لانظهر والدته في اورشليم - حسبما ذكرته المؤلفات القديمة - الا قبيل عيد العنصرة ، وفي رفقة أخوته (أعمال ١ : ١٤) ، (٤٣) من ذلك يتبين أن شهود الاحداث الرئيسية التي قامت عليها العقائد المسيحية وهي : الصلب ، والقيامة والظهور - إنما كن - على أحسن الفروض - نساء ، شاهدن ماشاهدن من بعيد ، ثم قن بعد ذلك بالرواية والتبليغ !!

٦ - الدفن

يقول مرقس : « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد . أى ما قبل السبت . جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظرا ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع .

فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا فدعا قائد المئة وساله هل له زمان قد مات . ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف .

فأشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضع في قبر كان منحوتا في صخرة ودحرج حجرا على باب القبر .

(٤٢) المرجع ٦ - ص ٤٣١ .

(٤٣) المرجع ١٧ - الجزء ١٣ - ص ٦٩ .

وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع - ١٥ :
٤٢ - ٤٧ » .

*

« لقد كانت قصة دفن يسوع مهمة في الكنيسة لاعتبارين: الأول - إنها ترسخ القول بأنه قد مات فعلا ، وبالتالي فقد قام حقيقة من الأموات .
وأما الثاني - فإنه يتعلق بما قيل عن القبر الخالي ، فلقد كان من المهم التأكيد على أن النساء اللاتي اكتشفن القبر خاليا فيما بعد ، لم يذهبن إلى قبر أخطأن معرفته ، بل لذات القبر اللاتي شاهدن بانفسهن الجسد يوضع فيه .

ولقد كتب لويزى يقول أن كل تفاصيل قصة الدفن قد جاءت نتاجا لاكتشاف القبر الخالي .

إن مرقس يريد أن يجذب انتباهنا إلى أن نفس الأشخاص الذين رأوا عملية الدفن قد رأوا كذلك القبر الخالي .

إن هذا الترابط الواضح بالقصة التي رويت فيما بعد عن القبر الخالي قد جعلت بعض العلماء يتشككون في هذه الرواية . .

ومن المتفق عليه بوجه عام أن العدد ٤٧ (الذي يقول : وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع) ، لم يكن في الاصل جزءا من القصة « (٤٤)

*

« ولقد اختصر متى ماني مرقس ١٥ : ٤٢ - ٤٧ ، إلا أنه أضاف أيضاً بعض التفاصيل من عنده . .

فلقد غير قول مرقس : مشير شريف - إلى قوله : رجل غنى ، ومن المحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى رغبته في التلميح إلى رواية أشعيا (٥٣ : ٩) عن دفن عبد الرب .

كذلك فان متى حذف ما ذكره مرقس في ١٥ : ٤٤ عن استفهام
بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع » (٤٥)

كما يبين متى أن القبر المستخدم كان ما عرف فيما بعد - باسم قبر
يوسف ، وذلك من قوله : « ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد
نحته في الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى . - ٢٧ : ٦٠ »

*

ويقول لوقا أن يوسف « وضعه في قبر منحوت حيث لم يكن أحد
وضع قط - ٢٣ : ٥٣ »

*

أما يوحنا فانه يشرك نيقوديموس مع يوسف في عمية الدفن - فيقول :
« جاء (يوسف) وأخذ جسد يسوع . وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى
أولاً الى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مروعود نحو مائة منا .

فأخذوا جسده بسرع ولماه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا
وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع
فيه أحد قط - ١٩ : ٣٨ - ٤١ »

وهنا نجد أن لوقا قد استقل في روايته عن القبر عما جاء في مرقس
ومتى ، فقد اتفقت روايتا لوقا ويوحنا في أن قبر يوسف لم يستخدم
قط » (٤٦)

*

ولقد كان هذا المثال الذي اتفق فيه لوقا ويوحنا ضد مرقس ومتى -
مع غيره من الامثلة ، كاتفاقهما على أنه كان بين التلاميذ الاثني عشر
يهوداً آخر غير الاسخريوطي الخائن (لوقا ٦ : ١٦ ، ويوحنا ١٤ : ٢٢)
وأن الخيانة جاءت نتيجة لدخول الشيطان في يهوذا الاسخريوطي (لوقا

(٤٥) المرجع ٧ - ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٤٦) المرجع ٨ - ص ٢٠ .

٢٢ : ٣ ، ويوحنا ١٣ : ٢٧) - كل ذلك دفع نفرا من العلماء الى القول بأن يوحنا اعتمد على لوقا عندما كتب انجيله .

لكن هذا القول وجد ماينقضه نتيجة لشواهد أخرى في الانجيلين منها : أن كلاما من لوقا ويوحنا يتحدث عن بطرس وصيد السمك بمعجزة لكن أحدهما يضع القصة مبكراً أثناء رسالة يسوع في الجليل ، بينما يضعها الآخر بعد قيامته من الأموات (لوقا : ١ : ١١ ، ويوحنا ٢١ : ١ - ١٤) ، وكلاهما على دراية بصداقة يسوع لمرثا ومريم رغم أن ما يرويانه عن ذلك مختلف (لوقا : ١٠ : ٣٨ - ٤٢ ، ويوحنا ١١ : ١ - ٤٤) (٤٧) .

*

إن اعتماد كاتب أحد الأناجيل على ما رواه كاتب أنجيل آخر ، كان أولى به أن يوجد تالفا بين الأناجيل ، ويمنع التناقض والاختلاف فيما بينها ، لكن ما حدث كان على النقيض من ذلك .

وإذا أخذنا بما ترويه الأناجيل عن الصلب وأحداثه لوجدناها قد اختلفت فيه من الألف الى الياء .

ويكفى أن يراجع القارئ ما ذكرته الأناجيل عن : حادث القبض وملابساته - المحاكمات - توقيت الصلب (اليوم والساعة) - صرخة اليأس على الصليب - شهود الصلب .

كل ذلك وغيره كثير يكفي للقول بأن الأناجيل قد اختلفت فيما بينها اختلافا بعيدا .

وهو اختلاف يكفي لرفض ما يذكره أحد الأناجيل ، إذا اخذنا برواية الانجيل الآخر . أهما نأخذ به ، وأهما نرفض ؟

رب قارئ - درج على الايمان التقليدي بما ترويه الأناجيل - لا يجد مفرا الآن من أن يقول : « إنما العلم عند الله »

الفصل السادس

نهاية يهوذا

كيف هلك يهوذا

لقد انفرد انجيل متى - دون بقية الأناجيل - بالحديث عن نهاية يهوذا ، فقال : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والسيوخ . قائلاً قد أخطأت إذ سلمت دما بريئاً . فقالوا ماذا علينا أنت أبصر .

فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف . ثم مضى وخنق نفسه .

فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقبها فى الخزانة لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم الى هذا اليوم .

حينئذ تم ما قبل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل . وأعطوها عن حقل الفخارى كما أمرنى الرب -

٢٧ : ٣ - ١٠

*

ويقول جون فنتون : « ان متى يستخدم الفترة ما بين قرار الشهيدين ، والمحكمة أمام بيلاطس ، فى اخبار قرائه عن نهاية يهوذا . وعند هذه النقطة نجد أن متى لا يتبع مرقس الذى لم يورد أى ذكر ليهوذا بعد القبض على يسوع ..

ويذكر متى أن يهوذا غير رأيه بعد أن رأى أن يسوع قد دين فأرجع النقود إلى أعضاء السهندرين وأعترف لهم بجرمه . ثم هو يضع النقود فى خزانة الهيكل ، ويمضى ليخنق نفسه .

ويقول رؤساء الكهنة أنه طالما كانت تلك النقود ثمنا لحياة ، فلا يحل وضعها في خزانة الهيكل ولهذا يشترطون بها قطعه من الأرض مقبرة للغرباء . وهذا يحقق نبوءة يرجعها متى الى ارميا (خطأ ، ولقد بينا ذلك عند الكلام عن الاستشهاد باسفار العهد القديم) ، ولكنها في الواقع من كتاب زكريا الذي لعب من قبل دورا هاما في رواية متى .

ولقد سجل لوقا موت يهوذا في أعمال الرسل ١ : ١٨ ، وتتفق روايته مع رواية متى في جزء منها بينما تختلف في جزء آخر . « (٤٨)

★

وتقول رواية لوقا - المشار إليها - في سفر أعمال الرسل : « في تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ . وكان عدة أسماء معانحو مائة وعشرين . فقال أيها الرجال الأخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقال بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع . إذ كان معدودا بيننا وصار له نصيب في الخدمة . فان هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه أنشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها .

وصار ذلك معلوما عند جميع سكان اورشليم حتى دعى ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أى حقل دم .

لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر - ١ : ١٥ - ٢٠ »

★

فعلى حسب رواية لوقا نجد « أن يهوذا نفسه هو الذي يشترى الحقل ثم هو يموت هناك ، ولهذا السبب سمي ذلك الحقل حقل دم . إن هذا يعني : إما أن كلا من متى ولوقا كان لديه مدخلا مستقلا

لمثل تلك القصص عن يهوذا ، أو أن لوقا اختصر رواية متى وأدخل إليها بعض التغييرات . « (٤٩)

*

إن ما اتفق عليه متى ولوقا - وصمت عنه مرقس ويوحنا - هو أن يهوذا الخائن قد هلك في ظروف مريبة ، لكن روايتيهما اختلفت في ثلاثة عناصر هي :

الأول - يتعلق بكيفية موته ، وفيها يروى متى أن يهوذا قد انتحر بنخق نفسه ، بينما يروى لوقا أنه مات ميتة دموية ، انشق فيها وسطه وانسكبت جميع احشائه .

الثاني - ويتعلق بمشترى الحقل ، فيروى متى أن روساء الكهنة هم الذين اشتروه ، بينما يروى لوقا أن يهوذا كان هو الشارى .

الثالث : كذلك اختلفت روايتا متى ولوقا في سبب تسميه الحقل باسم : حقل دم ، فرواية متى ترجع ذلك لكونه قد اشترى بنقود كانت ثمنا بيع به دم برىء ، بينما يرد لوقا تلك التسمية الى الميتة الدموية التى ماتها يهوذا .

*

إن ما يذكره متى ولوقا عن هلاك يهوذا لا يعنى إلا شيئا واحدا هو : ان يهوذا قد اختفى فى فترة الاضطراب التى غشيت أحداث الصلب وملابساته . وإذا كان هناك من يعطى أيا من هاتين الروايتين قدرا من الثقة ، فإن ذلك القدر يمكن تقييمه بمقارنتهما ، بما ترويه المصادر المسيحية القديمة عن هلاك بيلاطس .

* *

... وكيف هلك بيلاطس :

يقول «تقارير من بيلاطس البنطى حاكم اليهودية - وقد أرسل إلى القيصر طيباريوس في روما (٥٠)» « في إحدى المدن الشرقية التي تسمى أورشليم حيث أقيم فيها معبد الأمة اليهودية ، تجمع كل شعب اليهود وأسلموا إلى رجلا يدعى يسوع ، وأقاموا ضده اتهامات لانهاية لها إلا أنهم عجزوا عن ادانته في أي شيء .

لكن كانت لهم بدعة واحدة ضده ، وهي قوله إن السبت لم يكن يومهم الصحيح للراحة .

لقد صنع هذا الرجل كثيراً من الشفاء والأعمال الطيبة : فقد جعل العمى يبصرون وشفى البرص وأقام أمواتا ، وشفى مفلوجين ..

كما أنه عمل عملاً آخر عظيماً ، غريباً حتى بين آلهتنا ، فقد أقام من الأموات شخصاً يدعى لعازر ، وكان قد مضى على موته أربعة أيام ..

ثم أن هيرودس وارخيلاوس وفيليبس وحنانيا وقيافا ومعهم كل الشعب ، أسلموه لي لمحاكمته ونظراً لأن كثيرين أثاروا فتنة ضدى ، فقد أمرت بصلبه .

وبينما كان يصلب ، كانت ظلمة على الأرض كلها ، واحتجبت الشمس بالكلية ، وأظلمت السماء رغم أنه كان لا يزال نهاراً ، حتى أن النجوم ظهرت .. كما أن القمر الذى كان كالدم لم يسطع طول الليل ، رغم أنه كان بدراً ..

وفي أول الأسبوع حوالى الساعة الثالثة من الليل ، ظهرت الشمس كما لم تتوهج من قبل وصارت كل السماء لامعة . وكما يأتي البرق في عاصفة كذلك ظهر في الهواء رجال ذو هيئة علوية وفي صفوف جميلة ، وقد كللهم مجد لا يمكن وصفه ، ومعهم جيوش لا تحصى من الملائكة وهي تنادى قائلة : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ..

وعند سماع أصواتهم تحركت كل الجبال والتلال وتشققت الصخور ،
وحدثت فجوات في كل الأرض ..

وفي وسط هذا الرعب شوهد الموتى يقومون ثانية ..
لكن كثيراً من اليهود ماتوا ، وقد غرقوا وابتلعهم الشقوق التي حدثت
في تلك الليلة حتى أن أجسادهم لم يرمها شيء .

★

ما من شك في أن هذه اللغة التي قيل أن بيلاطس سطر بها رسالته إلى
القيصر هي اللغة التي تتكلم بها الأناجيل والرسائل المسيحية عن المسيح
وأحداث الصلب والقيامة .

★

وتقول رسالة بعنوان : « محاكمة بيلاطس وادانته (٥١) » :

« والآن - عندما جاءت الرسائل إلى مدينة رومية ، وقرئت على القيصر
في حضور جمع وقوف هناك ، فانهم خافوا جميعاً لأنه حدث بيننا كان
بيلاطس يرتكب خطيئته فإن الظلام والزلزلة حلت بكل الأرض .

وإذا أمثالاً الأمبراطور بالغضب فانه أرسل جنوداً وأمرهم باحضار
بيلاطس مقبوضاً عليه وعندما أحضر بيلاطس إلى مدينة رومية ، وسمع قيصر
بمجيئه فانه جلس في معبد الآلهة ، على رأس مجلس الشيوخ وكل الجيشين
والحاشية ، وأمر بإيقاف بيلاطس في المدخل .

ثم قال له القيصر : أيها المتمرّد الأكبر ، عندما رأيت مثل تلك
العجائب الكبيرة التي فعلها ذلك الرجل ، فلماذا تجرأت إذن على مافعلته ؟

إن تجاسرك على فعل ذلك الشر ، قد جعلك خربت كل العالم ..

وقال بيلاطس : أيها الملك والحاكم المطلق . انى لست مذنباً في تلك
الأعمال ، ولكن الذنب يقع على عاتق جماهير اليهود ..

ولقد قرر قيصر استجواب بيلاطس ثانية ، ثم أمر الكابتن البيوس ،
يقطع رأس بيلاطس قائلا بما أنه أمسك الرجل المستقيم الذي يدعى المسيح ،
فانه سوف يقتل بنفس الطريقة ، ولا يجد له مخلصا .

وعندما جاء بيلاطس إلى المكان ، فانه صلى في صمت قائلا : يارب ،
لا تهلكني مع العبريين الأشرار ، لأنني ماكنت أمد يدي إليك إلا بسبب
الامة اليهودية العاصية ..

رب لا تهلكني لأجل خطيبي هذه ، ولا من أجل الشر الكائن في ،
يارب ، وفي أمتك بروكلا (الزوجة) التي تقف في ساعة موتي هذه ..
ولما انتهى بيلاطس من صلاته ، جاء صوت من السماء قائلا : سوف
تدعوك كل الأجيال وعشائر الأمم مباركا ؛ لأنه فيك تحققت كل ما نطق
به الأنبياء ..

ثم قُتِلَ الكامل رأس بيلاطس ، وتسلمها ملاك الرب . وعندما رأت
بروكلا زوجته الملاك نازلا ينسلم رأسه ، فأنها وقد أمتلات بالفرح ،
أسلمت الروح ودفنت مع زوجها »

إن القصة السابقة تجعل من بيلاطس شهيدا ، كما يحسبه ترتليان قديسا .

*

عجيب أمر هذه القصص المحبوة . . .

قبض ، ومحاکمات ، وصلاة من المسجون ، وأصوات تسمع من
السماء ، وملائكة تهبط لتأخذ رأس القديس بيلاطس ! !

هل هذا كل ما في جعبة أولئك المؤلفين ؟

علينا أن نتمهل قليلا - حتى نقرأ القصة التالية - قبل أن نجيب على
هذا السؤال .

*

تقول رسالة بعنوان : « موت بيلاطس الذى أدان يسوع (٥٢) » .

« بينما كان القيصر طيباريوس ، امبراطور الرومان ، يعانى من مرض خطير وقد سمع أن هناك فى أورشليم طبيبا معينا يدعى يسوع ، وأنه شفى كل الأمراض بكلمته فقط ، ولم يكن قد علم أن اليهود وبيلاطس قتلوه - فإنه أصدر أمرا إلى أحد رجاله ، واسمه فولسنس ، قائلا اذهب بكل سرعة عبر البحر وأخبر بيلاطس عبدى وصديقى أن يرسل ذلك الطبيب ليعيد لى صحى .. فأجاب بيلاطس الرسول قائلا : لقد كان هذا الرجل شريرا جر وراءه كل الشعب : وبعد عقد مجمع من عقلاء المدينة ، فقد أمرت بصلبه ..

بعد ذلك أمر القيصر بالقبض على بيلاطس وأحضاره إلى روما . وما أن علم بحضوره حتى أمثلاً تماماً بالحنق الشديد ، وأمر بالثول بين يديه .. ثم أمر الأمبراطور بسجنه حتى يستشير عقلاء الرجال عما يفعل به . وبعد بضعة أيام اصدر حكما ضده يقضى بأن يموت أشنع ميتة .

ولما سمع بيلاطس بذلك فإنه ذبح نفسه - بمنجيره ، وبهذه الميتة وضع نهاية حياته .

وعندما علم القيصر بموت بيلاطس ، قال : حقا لقد مات أحقر ميتة ، حتى أن يديه لم تصفحا عنه .

ولذلك ربط بكتلة كبيرة من الحجر وأغرق فى نهر التيبر (الذى تقع عليه روما) .

ولكن الأرواح الشريرة والقذرة كان ترتع مبهتجة فى جسده القذر ، وكانت تروح وتجيء فى الماء وتحدث مناظر مخيفة وبرقا ورعدا جلب معه الفزع .

ولهذا فإن الرومان سبوه من نهر التيبر وحملوه بعيدا فى سخرية إلى فينا وأغرقوه فى نهر الرون ، ذلك أن فينا تعنى طريق جهنم ، لأنها كانت آنذاك - مكانا للجنة وكانت هناك الأرواح الشريرة ، وقد عملت نفس الأشياء المفزعة التى عملتها من قبل .

* *

عجبا ، وأى عجب . . .

لقد جعلت القصة الأولى من بيلاطس شهيدا ، تتسلم رأسه ملائكة السماء . . . ؟ !

بينما جعلت منه القصة الثانية شيطانا ، ترتع في جسده الشياطين . . . ؟ !
على أن ما يعنينا هو التشابه الملحوظ بين نهايتي كل من يهوذا وبيلاطس .
فقد وجدت روايات تقول أن كلا منهما أهلك نفسه انتحارا ، بينما
وجدت روايات أخرى تقول بعكس ذلك .

أيهما نرفض ، وأيها نصدق ؟ ! !

إن ذلك يعنى شيئا جوهريا لا مناص من الأخذ به في كل ما يتعلق
بالعقائد والروايات الدينية ، الا وهو أن تخضع جميعها للبحث والتحريص
على ضوء ما ميز به الله الانسان بن عقل وفكر .

وعندئذ يستطيع الانسان أن يميز الخبيث من الطيب ، والحق من الضلال .
أما أن يدعى الناس إلى أبطال عقولهم والتسليم بكل ما يقال عنه أنه كتاب
مقدس ، بأعتبار « أن كل الكتاب هو موحى به من الله (٥٣) » فتلك مغامرة
لها باب واسع يستطيع التوصليل بسرعة إلى الهلاك الأبدى .

(٥٢) يقول بولس في رسائله : « افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة ،
لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء اولاد الله - فيلبي ٢ : ١٤ - ١٥ ،
كما يقول : « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ -
٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ » .

الفصل السابع

المسيح ومحاولات قتله

فتنة الصلب

في ليلة هوجاء ، هبت أعاصير عاتية من الفتن والأحداث ، زاغت في مشاهدتها الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر - « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

في تلك الليلة خرج المسيح « ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضا تلاميذه . ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة . وأنفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى » .

لم يكن فيما فعله المسيح آنذاك شيء غريب . فقد « اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه » ، وكان المكان لهم مألوفاً ، وكانت الصلاة حرفة ورضاء نفسه ، وكثيراً ما « قضى الليل كله في الصلاة لله » .

لكن ما تلى ذلك من أحداث ، كان بمثابة الحجر الذي أثار بركة هادئة ، عانت بسببه اضطراباً عظيماً ، واستمر ما خلفه من تموجات وتقلصات يحجب الرؤية عند البعض مآت السنين ، كما إستمر يحجبها عند البعض الآخر حتى يومنا هذا .

*

في تلك الليلة لم يصل التلاميذ كما أمرهم معلمهم ، فدخلوا في تجربة وفتنوا جميعاً ، وتحققت فيهم نبؤته التي قالها لهم : « كلكم تشكون في هذه الليلة » . فشكوا فيه جميعاً وفقدوا إيمانهم ، وحينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا وهم يحملون معهم ذلك الشك القاتل .

لقد جاءت قوة الظلم لتقبض على المسيح ، جاءت في الليل « بمشاعل ومصاييح وسلاح » وما أن أقربت من فريستها وظنته في قبضتها حتى حدث ما لم يكن في الحسبان . هناك تدخلت « ذراع الرب » وبيد قويه تحققت النبؤات التي سبق أن قيلت في خلاصه :

« لأنك قلت أنت يارب ملجأى . جعلت العلى مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك فى كل طارقك . على الأيدي يحملونك . .

لأنه تعلق بي أنجيه . أرفعه . . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . . أريه خلاصى » .

لقد روع الظالمون بما رأوه فما كان منهم إلا أن « رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » : ولما أفاقوا عقدت الدهشة السنهم « لأنهم ابصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعه فهموه » فلقد رأوا المسيح ، عبد الله البار « يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا » - لقد كانت صدمة عنيفة وكان الأمر فتنه ...

ولقد كان على الجند واجبا أن يأتوا بالضحية ، فقبضوا على ضحية وساقوه إلى الحكم ، وفى اليوم التالى صلبوه ، وما كان هناك من شهيد إلا النساء اللاتي كن « ينظرن من بعيد » .

★

لقد روع التلاميذ بما حدث ، فهذا معلمهم قد أختفى فجأة وكذلك أختنى يهوذا الخائن ، وحدثت واقعة صاب لم يكونوا شهودها ، وتفرق كل واحد منهم فرارا من اضطهاد مؤكد .

ومرت أيام وأسابيع وشهور ، حاول فيها التلاميذ والأتباع تضميد الجراح ولم الشمل وتجاوز المحنة ، ومن ثم نشطوا لنشر الدعوة فى أرجاء العالم الرومانى الوثنى ، هناك اختلطوا بأفراد وشعوب ذات عقائد وفلسفات شتى ، وكان صراع فى كل مكان ، وكان شد وجذب وأخذ وعطاء . .

لقد نقلت تعاليم المسيح شفاهاً ، وسارت بين الناس - من الاتباع والخصوم على السواء - روايات شتى عن حياته وتعاليمه ؛ كثيراً ما تعرضت للتعديل بالأضافة أو الحذف ، أو بكليهما معا . حتى إذا انقضت عشرات السنين ، قضى فيها الكثير من التلاميذ والاتباع ، وحفلت بالدخلاء والأدعياء ، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين « الذكريات » التي بقي منها ما يعلق بالأذهان وهكذا بدأت كتابة الأناجيل .

*

يقول تشارلز دود : « من الأمور التي يغلب التسليم بها ، أنه كانت هناك فترة اعتقدت فيها الكنيسة أن الصلب لم يكن سوى كارثة استعوضت بالقيامة وأن الانطباعات اللاحقة فقط هي التي وجدت فيه شيئاً ذا معنى . من المستحيل أن ننكر أن هذا ما قد كان ..

إن أقصى مرحلة مبكرة نستطيع الوصول إليها بما لدينا من شهادات ، تربينا أن يسوع قد أعتقد فيه أنه العبد المذكور في اشعيا ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢ ، والذي يكون موته بطاعة كاملة لله ، فدية عن كثيرين ، (٥٤) .

ولقد وضعت نظريات مختلفة لتبرير الصلب ، وتحويله من الصورة التي علقت في ذهن الكثيرين بأعتبره هزيمة لحقت بصاحب الدعوة ، إلى انتصار ليس له من دليل سوى روايات القيامة .

وجد بعض قدامى المسيحيين في ذلك كل الجد ، حتى أن شخصا مثل بولس لم ير في دعوة المسيح شيئاً غير الصلب .

* *

بولس وفكرة قتل المسيح

لقد تبني بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروج لها في رسائله - تلك الرسائل التي لم يكتب أقدامها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاما . فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على إلا

يعرف من المسيحية شيئا غيره . وهو يقرر ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، حيث يقول :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا - ٢:٢ » .

ولقد كان ذلك هو ما قبله بولس ، وإنجيله الذى ذهب يبشر به :
« أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه .. فأننى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ١٥:١-٣ » .

ويبنى بولس نظريته هذه على أساس يرفضه المسيح رفضاً تاماً - ذلك أن بولس يقول :

« إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب - غلاطية ٢: ٢١ » .

*

فيذا رجعنا إلى ما يقوله المسيح عن الناموس ، لوجدنا فيه البر الذى لا ينكر - فهو يقول :

« لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل .

فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات - متى ٥: ١٧-١٩ » .

وكذلك يذكر لوقا بحزم على لسان المسيح أن « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس - ١٦: ١٧ » .

ومنذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم له بين الناس ، وهو يدعو إلى التمسك بالناموس والحرص عليه :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً على كرسي موسى جلس
الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وأفعلوه .
ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون
- متى ٢٣: ١-٣ .

ولقد كانت حملة المسيح عنيفة على الكهنوت اليهودي الذي ادعى الحفاظ
على الناموس بتمسكه فقط بالمظاهر والشكليات ، فاختنق بذلك المدخل
الموصل إلى ملكوت السموات ، الا وهو الأخذ بتعاليم الناموس نساو روحاً ،
تلك التعاليم التي بين المسيح جوهرها ، وهو : الحق والرحمة والإيمان .
« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات
قدام الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون ..

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث
والكمون . وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي
أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك - متى ٢٣: ١٣-٢٣ .

*

ويستطيع دارس الأسفار المقدسة أن يصل في سهولة ويسر إلى نتيجة
محددة تقول : أن البر هو الإيمان بالله والعمل الصالح ، وأنه وجد أبرار منذ
بدء الخليقة ومن قبل أن يأتي موسى بالناموس ، ومن بعد ما جاء به ،
فتبرر به الكثيرون . والشواهد على ذلك كثيرة ، منها :

« كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله . وسار نوح مع الله -
تكوين ٦: ٩ .

« وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه - تكوين ٥: ٣٤ .

ويؤكد الإنجيل على لسان المسيح أن البر هو العمل الصالح قولاً وفعلاً :

« الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات .

والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور .

ولكنى أقول لكم أن كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين لأنك بكلامك تبتبرر وبكلامك تدان - متى ١١: ٣٥-٣٧» .

*

مما سبق يتبين أن نظرية بولس في سفك دم المسيح ليس لها من أساس في تعاليم المسيح وتلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه ، وما كان بولس واحداً منهم .

لكنه بولس الذى قال عن نفسه ، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس :
« أظن أنا أيضاً عندي روح الله - ٧ : ٤٠ » .

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » .
الستم تعلمون أننا سندين ملائكة ٦ : ٣ » .

وهو بولس الذى قال عن الله :

« الروح يفتحص كل شىء حتى أعماق الله - ٢ : ١٠ » .

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس ٥ - ١ : ٢٥ » .

وهو بولس الذى جعل المسيح لعنة بصلبه ، وذلك كنتيجة حتمية لنظريته في القتل وسفك الدم .

« المسيح أفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا .

لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة - غلاطية ٣ : ١٣ » .

ثم هو بولس الذى اعترف صراحة بعجزه عن الفكالك من أسر خطاياہ الجسدية التى تقوده إلى الشقاء :

« لست أعرف ما أنا أفعله اذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه

فياہ أفعل ..

إنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد .

لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده
فاياه أفعل .. لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى
ويسببى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .

ويحى أنا الإنسان الشقى : من ينقذنى من جسد هذا الموت - روميه
١٥:٧-٢٤ .

★ ★

تنبؤات المسيح بالآمه

لقد تأثرت الأناجيل - التى كتب أقدمها ، وهو إنجيل مرقس ، بعد
أن بدأ بولس كتابة رسائله بأكثر من ١٥ سنة - بنظرية سفك دم المسيح
فدية عن كثيرين .

ولما كان من المتوقع أن يتحدث المسيح عن آلامه ورفضه باعتبارها
ظواهر اقترنت دائماً بحمل رسالات السماء ، فانا نجد انجيل مرقس يضع
ما يمكن اعتباره أساسا لكل ما قيل عن التنبؤات بالآلام المرتقبة ، والتى
تطور الحديث عنها حتى خلق منها تنبؤات من ظواهر الأحداث
التي وقعت .

فحين سأل التلاميذ المسيح عما يثبته الكهنوت اليهودى ضده من شكوك،
استناداً لما تقوله الكتب من ضرورة مجيء المسيح ، قالوا : « لماذا يقول
الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً ؟

فأجاب وقال لهم أن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شيء .. لكن أقول لكم
أن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه . »

وهنا تنبأ المسيح لتلاميذه بما ينتظره من آلام فبين لهم وكيف هو
مكتوب عن ابن الإنسان أن يتالم كثيراً ويرذل - مرقس ٩: ١١-١٣ .

ولما كان إنجيل مرقس مصدراً رئيسياً لمتى ، فإنه نقل هذه الفقرة فى
١٧: ١٠-١٣ ، مع ادخال بعض التعديلات البسيطة ، مثل قوله عن آلام
المسيح : « كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتالم منهم » .

كذلك بن متى أن المقصود بإيليا هو يوحنا المعمدان ، إذ قال :
 « حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وينقل لوقا ما قيل عن آلام المسيح بعد تخليصه من المشاكل التي تحيط
 به في الفقرة السابقة فيقول :

« قال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحداً من أيام ابن
 الإنسان ولا ترون .. ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا
 الجيل - - لوقا ١٧ : ٢٢ ، ٢٥ » .

*

وتشير الفقرة السابقة - كما جاءت في مرقس ومتى - بعض المشاكل منها :
 « أن العهد القديم لا يحتوي على أى إشارة تفيد أن إيليا سيرفض
 عند عودته ..

كما أن الكنيسة الأولى كانت منقسمة على نفسها بالنسبة لهذه المسألة
 (التي تعتبر إيليا جاء في شخص يوحنا المعمدان تحقيقاً لنبؤة ملاخي) ،
 وبماضح ذلك مما في إنجيل يوحنا ١ : ٢١ » (٥٥) .

فنبؤة ملاخي التي احتج بها الكهنوت اليهودي ضد المسيح ، وأثارت
 تساؤلات بين تلاميذه - تقول :

« هأنذا أرسل اليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والخوف .
 فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آباءهم لثلاث آتى واضرب الأرض
 بلعن - ملاخي ٤ : ٥ - ٦ » .

وفي الفقرة السابقة - التي تعتبر أساس التنبؤات بآلام المسيح - نجد أن
 كلام متى ومرقس قد ذكر - الأول صراحة والثاني : ضمناً - أن المسيح
 قال لتلاميذه أن إيليا جاء في شخص يوحنا المعمدان . ومع أن لوقا لم يذكر
 ذلك عند الكلام عن آلام المسيح - ابن الإنسان - في ١٧ : ٢٥ ، إلا أنه
 قد أكد نفس المعنى في مقدمة إنجيله حين تكلم عن بشارة الملاك لزكريا
 بمولد ابنه يوحنا (المعمدان) فقال :

« أنه يكون عظيماً أمام الرب وخرأً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن أمه
يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني اسرائيل إلى الرب الالههم .
ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى
فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً - ١٥: ١ - ١٧ » .

فما سبق يتبين أن مرقس ومتى ولوقا ، اتفقوا على أن إيليا جاء في
شخص يوحنا المعمدان . لكن يوحنا يبنى ذلك نفيّاً قاطعاً ، فيقول :
« وهذه شهادة يوحنا (المعمدان) حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة
ولا وبين لبسألوه من أنت :

فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح .

فسألوه : إذن ماذا ؟ إيليا أنت ؟

فقال لست أنا .

النبى أنت ؟ فأجاب لا

فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا
ولا النبى - يوحنا ١ : ١٩ - ٢٥ » .

*

وإذا تركنا مشاكل الفقرة المشار إليها جانباً ، وعدنا إلى ما ترويه عن
تنبؤ المسيح بآلامه - أو بالأحرى توقعاته لوجدناها تقول :

ينبغى للمسيح ابن الإنسان « أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل » .
ولقد تطور هذا التنبؤ - أو التوقع - حتى صار تنبؤاً بصلب المسيح كما
ذكر متى في قوله على لسان المسيح :

« ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة
والكتبة فيحكمون عليه بالموت .

ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه - ٢٠ : ١٨ - ١٩ » .

وجدير بالذكر أن إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد (٥٦) الذي نسب للمسيح تنبؤه بالقتل صلباً ، كما أنه سبق أن طور ما قيل عن « آية يونان » حتى جعلها نبؤة عن موت المسيح ودفنه في بطن الأرض ثم قيامته في اليوم الثالث .

فلقد بدأت « آية يونان » بقول مرقس :

« خرج الفريسيون^١ وابتدأ يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه . فتهند بروحه وقالى لماذا يطلب هذا الجيل آية .

الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية - مرقس ٨ : ١١-١٢ . »
ولقد طورها لوقا فقال :

« وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول هذا الجيل شرير . يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي .

لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل - لوقا ١١ : ٢٩-٣٠ . »

أما متى فإنه ذهب بها إلى آخر المدى ، فلقد حولها - بما قدمه من إضافات وتعديلات إلى نبوءة خاطئة ، وذلك حين قال :

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية .

فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي .

لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال - متى ١٢ : ٣٨-٤٩ . »

ولقد بينا خطأ هذه النبوءة ، عند الكلام عن : « تنبؤات لم تتحقق »

(٥٦) المرجع ٧ - ص ٢٢٣ .

* راجع ص ١٠٠

لإذ أن المصلوب لم يبق في قلب الأرض - حسباً تذكره الأناجيل - أكبر من يوم واحد وليلتين على أحسن الفروض .

*

يبقى بعد ذلك ما ينسب للمسيح من قول : أن ابن الإنسان سوف يتألم كثيراً ويرفض من جيله . ماذا يعنى هذا القول ، وما يشابهه من الأقوال التي اعتبرت تنبؤات للمسيح بالآلام ؟

يقول تشارلز دود : « لقد سجلت أقوال بان يسوع تنبأ بأن الآلام تنتظره هو وتابعيه ، وغالباً ما استحسن ذلك الاعتقاد في أن الأنداز بموته - وهو القول الذي تكرر ذكره منسوباً ليسوع في الأناجيل - إنما هو تنبؤٌ خرج من واقع الأحداث ، أى بعد وقوعها .

إن رجال الكنيسة لم يستطيعوا الاعتقاد بأن ربهم كان جاهلاً بما كان ينتظره ويمكن التسليم صراحة بأن دقة بعض هذه التنبؤات قد ترجع إلى ما عرفته الكنيسة من حقائق فيما بعد .

ويجب أن نلاحظ :

١ - أن كل التنبؤات وأحاديث الرؤيا - التي عرفها يسوع بالتأكيد - قد توقعت المحن لشعب الله ، قبل تحقيق الانتصار النهائي للخير .

٢ - وأن تاريخ قرون كثيرة مضت ، قد رسخ بعمق الفكرة القائلة بأن على النبي أن يتحمل الآلام ، كجزء من رسالته .

٣ - وأن موت يوحنا المعمدان قد بين أن ذلك المصير لا يزل جزءاً من دعوة النبوة .

٤ - وأن ذلك التوقع لم يكن محتاجاً لعلم بالغيب خارق للطبيعة ، لكنه كان في حاجة إلى البصيرة العادية لشخص ذكي يرى إلى أين تتجه الأحداث على الأقل أثناء المراحل الأخيرة من الدعوة . .

وأن سياق الكلام للفقرات التي تتكلم عن اضطهادات (أتباع يسوع)
ترك إمكانية الشك فيما إذا كانت الآلام المتوقعة ستحدث في الحال أم في
وقت لاحق . وعلى سبيل المثال نجد في إنجيل متى مجموعة من هذه التنبؤات
قد ذكرها في المهمة التي كلف بها التلاميذ عند ما أرسلوا للوعظ والشفاء :

(ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم
يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللأمم .
فهي أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك
الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم
فيكم وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على
والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من أجل اسمي . ولكن الذي يصبر
إلى المنتهى فهذا يخلص - ١٠ : ١٧ - ٢٢)

وكذلك في الخطبة الأخيرة التي ذكرها إنجيل مرقس تماما قبل وفاة
يسوع (١٣ : ٩ - ١٣) .

وقد فهمت الحالة الأخيرة على أنها إشارة إلى اضطهاد الكنيسة ، كما
سجله سفر أعمال الرسل وغيره .

أما الانطباع من الحالة الأولى ، فهو أن الاضطهاد قد يحدث في أي
وقت ، وربما عندما كان التلاميذ خارجين لأداء مهمتهم .

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة لتحمل الآلام قد وردت في عدة
فقرات من إنجيل مرقس ولوقا مصحوبة بموضوع الرحلة لأورشليم :

(ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة
والكتابة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم . فيهزأون به ويجلدونه
ويقتلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم - مرقس ١٠ : ٣٣ - ٣٥ .

« وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم .. إن كان أحد لا يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورأى فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً - لوقا ١٤ : ٢٥ - ٢٧) .

وفي الواقع فإن الانطباع الذي نخرج به من الأناجيل ككل هو أن يسوع قاد أتباعه إلى المدينة بمفهوم واضح هو أن أزمة تنتظرهم هناك ، وقد يصيبه وأتباعه بسببها آلام مبرحة .

وأن الفقرة المتميزة في هذا المقام هو ما ذكره مرقس في ١٠ : ٣٥ - ٤٠ : (وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما نطلبنا . فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما . فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك . فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان .

أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا .

فقالا له نستطيع . فقال لهما يسوع أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التي اصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا الذين أعد لهم) .

ف نجد هنا أن ابني زبدي قد تأكدا أنهما سيشربان الكأس التي يشربها سيدهم وسيصطبغان بصبغته . إن مفهوم الكلام هنا لاشك فيه إن على التلاميذ أن يشاركوا سيدهم مصيره وبالتأكيد أن يشاركوه ذلك في المحنة التي تنتظرهم حالا وفي حقيقة الأمر فإن أتباع يسوع لم يشاركوه المصير في تلك المحنة ..

وبالنسبة للتنبؤ بمشاركة الأخوين (ابني زبدي) لسيدهما في مصيره فإنها تعتبر واحدة من التنبؤات التي لم تتحقق بمعناها الطبيعي ..

وفى إحدى الفقرات نجد يسوع يتكلم عن الآلام المقبلة لتلاميذه فى شكل دعوة لحمل الصليب .

(مرقس ١٣ : ٣٤ ، وقد استرجعت فى متى ١٦ : ٢٤ ، ولوقا ٩ : ٢٣ - وكذلك متى ١٠ : ٣٨ ، ولوقا ١٤ : ٢٧) .

وبما أن الصليب كان هو الوسيلة الوحيدة المألوفة للاعدام تحت حكم الرومان فإن ما توحى به تلك الفقرة ، هو أنه أراد تهيئتهم لا من أجل المعاناة فقط ، بل للموت ..

وما من شك فى أنه يمكن قبول الرأى الذى يقول بأن النبوءات التى نجدتها فى الأناجيل ليست أكثر من انعكاس لتجارب الكنيسة الأولى التى تكونت فيها التعاليم المسيحية ، ومن المؤكد أن بعضاً من هذه النبوءات - على الأقل - قد لونها تلك التجارب .. فضلاً عن هذا تظهر بعض الآثار لنبوءات نسبت ليسوع ولم تتحقق» (٥٧)

* *

المسيح يرفض كل محاولة لقتله

منذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم فيها ، نجد الأناجيل تضع لنا ، بين الحين والحين علامات على طريق الرسالة المسيحية ، تذكرنا دائماً باستبعاد فكرة قتل المسيح مهما وضع من أجل تبريرها من نظريات وفلسفات . فالمسيح صاحب الدعوة الذى يعلم حقيقتها وحدودها ، أكثر من بولس وغيره من كتبة الرسائل المسيحية ، هو الذى رفض فكرة قتله واستنكرها تماماً ، ثم هو قد عمل كثيراً لإحباط جميع المحاولات التى رآها تبذل من اليهود لقتله .

فلقد حدث أن « لما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم . فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم .

أجابهم يسوع وقال تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني ..
أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس .
لماذا تطلبون أن تقتلوني ..

أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم . لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي
لا موضع له فيكم . . لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون
أعمال إبراهيم .

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذي
سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم - يوحنا ٧ : ١٤ - ١٩ ، ٨ : ٣٧ - ٤٠ .

★

ولما كان المسيح يخشى على حياته من القتل ، فإنه اتخذ من الاحتياطات
ما يجنبه الوقوع في برائن أعدائه من اليهود :

فقد « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل المجمع حسب عادته
يوم السبت وقام ليقرأ ..

فامتلاً غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا . فقاموا وأخرجوه
خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه
حتى يطرحوه أسفل . أما هو فجاز في وسطهم ومضى - لوقا
٤ : ١٦ - ٣٠ .

« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه . فعلم يسوع
وانصرف من هناك - متى ١٢ : ١٤ - ١٥ »

« فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً
في وسطهم ومضى هكذا - يوحنا ٨ : ٥٩ »

« وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في
اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه - يوحنا ٨ : ١٠ » .

« فن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . فلم يكن يسوع أيضاً يمشي
بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة

يقال لها أفرام ومكث هناك مع تلاميذه . وكان فصح اليهود قريبا -
يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٥ »

وفي الساعات العصبية ، أو الساعات الأخيرة للمسيح بين الناس نجده
يصرخ بكل قوته طالبا النجاة ، فما كانت فكرة سفك دمه - فدية عن
خطايا الكثيرين - إلا سرا با علق برسائله فيما بعد .

إن الذين يرفضون هذا القول ، إنما يلحقون بالمسيح صفات يبرئه
منها كل مؤمن وعاقل .

إن الأناجيل ترينا - وخاصة في الساعات الأخيرة - مواقف حاکمة ،
ترفض كلها فكرة قتل المسيح ، وتقطع كل صلة بينها وبين رسائله - ومن
هذه المواقف ما يلي :

١ - في نهاية الفترة التي سبقت عملية القبض مباشرة ، كان آخر ما
نطق به المسيح في صلواته ، هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنه المسيح رسول
الله - فقال :

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك
ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

ثم أعقب المسيح ذلك مباشرة بتقرير واضح - لا لبس فيه ولا إبهام
- بين فيه أن الرسالة التي بعثه الله بها قد اكتملت - فقال :

« أنا مجدتك على الأرض . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته -
يوحنا ١٧ : ٣ - ٤ »

لقد اكتملت رسالة المسيح تماماً قبل حادث الصلب ، فن ذا الذي يفتي
بما يخالف شهادة المسيح ؟ ! .

٢ - وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة في الحديقة برفض المسيح
فكرة قتله ، فإذا كان مع تلاميذه :

« ابتداءً يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت .
امكثوا ها هنا واشهروا ..

ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن .
وقال يا أبا الآب كل شئ مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس ..
وصلى الثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه .

وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد
لحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .

٣ - وحين شعر المسيح بالخطر يقرب منه ، وقوة الظلم تتقدم للقبض
عليه ، كانت صيحته لتلاميذه :

« قوموا ننطلق . هوذا الذى يسلمنى قد اقرب » .

لقد كان يطالب بإلحاح إلى تلاميذه أن ينهضوا لمعونته فى الانطلاق بعيدا
عن المحنة الوشيكة ، إلا أنهم كانوا « نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا
بماذا يجيبونه » وتركوه وحيداً يعانى آلامه .

٤ - وحين جاءت قوة الظلم ، وتقدم يهوذا ليدهم على سيده « قال له
يسوع : يا صاحب لماذا جئت » .

٥ - وفى المحاكمة « إجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة
وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أن المسيح فقال لنا .

فقال لهم : أن قلت لكم لاتصدقون . وأن سألت لاتبجيوننى
ولا تطلقوننى - لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٦٨ » .

وهنا نجد أن المسئول لو جاوبهم ، فلن تخرج الأجابة عن أحدقولين ،
لثالث لها :

الأول - نعم ، أنا المسيح .

الثانى - لا ، لست أنا المسيح .

ومن الواضح أن كل من يؤمن بروايات الأناجيل عن أحداث الصلب ،
سوف يرفض حتما الأجابة الثانية .

وبذلك تبقى الأجابة الأولى ، والتي يمكن أن توضع فى الصيغة الآتية :

« فقال لهم : نعم ، أنا المسيح لكنكم لاتصدقون وان سألت لانجيوني ولا تطلقوني . » وسواء وضعت الاجابة الأولى في الصيغة المقترحة ، أم لم توضع ، فان النتيجة التي لامفر من قبلوها تقول :
بفرض أن الذى يستجوبه الكهنوت اليهودى هو المسيح ، فن الواضح أنه كان يطلب اطلاق سراحه .

وبذلك لا يوجد محل لأى قول يقول : أنه جاء ليبدل نفسه فدية عن كثيرين .
ومن الواضح أيضاً أنه باستخدام القول الثانى ، فان اجابة المقبوض عليه يمكن أن تأخذ الصيغة التالية :

« فقال لهم : لا ، لست أنا المسيح (الذى تطلبونه) لكنكم لاتصدقون .
وان سألت (النجاة) لانجيوني ولا تطلقوني . »

وسواء كان هذا أو ذاك فان ماجاء فى هذه المحاكمة يلغى كل ما يقال عن نظرية قتل المسيح .

٦ - ونصل الآن إلى الشهادة الأخيرة التى تنسبها الأناجيل للمصلوب فى الرمز الأخير - ألا وهى : صرخة اليأس على الصليب .

من يسمع قول مصلوب يصرخ إلى ربه « بصوت عظيم قائلاً : الوى الوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتني » - من يسمع هذا ثم يقول أن المسيح :

« بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير ، وأنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » .

أو أنه « إذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » .
أو أنه « بعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله . منتظرا بعد ذلك أن توضع أعداؤه موثقا لقدميه » - كما يقول بولس !؟

*

منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ عام وقف المسيح يعلم الكهنوت اليهودى مشيئة الله ، فقال لهم :

« لوعلمتم ما هو . انى أريد رحمة لاذبيحة » .

وحتى اليوم لا يزال الكثيرون مصرين على تجاهل مشيئة الله ، فيرفضون الرحمة ويقبلون الذبيحة ! !

الفصل الثامن

تنبؤات المسيح بنجاة من القتل

لقد تبين لنا من دراسة الموضوع السابق وهو : المسيح ومحاولات قتله - أن فكرة قتل المسيح كانت دخيلة على رسالته ، وأنه بذل كل جهده للعمل ضدها .

ويزداد الأمر يقينا حين نرى ما تذكره الأناجيل عن تنبؤات المسيح بنجاته من كل المحاولات التي يبذلها اليهود لقتله .

وسوف نكتفى بذكر تلك التنبؤات الواضحة ، التي لا يحتاج فهمها إلا لقراءتها فقط :

١ - حدث ذات مرة في إحدى محاولات اصطياده أن أرسل القريسيون ورؤساء الكهنة خداما لمسكوه .

فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيرا بعد ، ثم أمضى إلى الذي أرسلني . ستطلبونني ولا تجدونني ، حيث أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تاتوا -

يوحنا ٧ : ٣٢ - ٣٤ »

لانظن أحدا يشك في وضوح هذا القول الذي يعنى - رغم أى شيء - أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدهوه ، لأنه سيمضى للذى أرسله ، أى سيرفعه الله إليه . ومن الطبيعي أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن بلوغه تعقبا للمسيح ، بالإضافة إلى عجزهم عن فهم قوله وتحديد المكان الذي أشار إليه في حديثه هذا .

« فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مززع أن يذهب حتى لا نجده

نحن ، العله مززع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين ؟

ما هذا القول الذي قال ستطلبونني ولا تجدونني ، وحيث أكون أنا

لا تقدرُونَ أنتم أن تاتوا ؟ - يوحنا ٧ : ٣٥ - ٣٦ » .

إن هذه النبوءة التي تكفى وحدها لتكون كل ما يقال في موضوع تنبؤات المسيح بنجاته من القتل - تقرر شيئاً هاماً ، وهو أن اليهود حين يطلبون المسيح فلن يجدوه .

سوف تحدث المعجزة قبل أن يمسكوه ، وتتدخل « ذراع الرب » لانفاذه قبل أن يلقي أحد « عليه الأيادي » .

٢ - وفي موقف آخر من مواقف التحدى بين المسيح واليهود ، أكد لهم نبوءته السابقة ، وأن محاولاتهم ضده ستنتهي برفعه إلى السماء بعد عجزهم عن الامساك به :

« قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضى وستطلبونني وتموتون في خطيتكم حيث أمضى أنا لاتقدرون أنتم أن تاتوا .

فقال اليهود العله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضى أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا ؟

فقال لهم : إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم . فقالوا له من أنت . فقال لهم يسوع أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به .
إن لي أشياء كثيرة أتكلّم بها من نحوكم . لكن الذي أرسلني هو حق .
وإن ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب .
فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الانسان فحينئذ تفهمون أني أنا ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلّم بهذا كما علمني (الآب) .

والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حين أفعل يرضيه - يوحنا ٨ : ٢١ - ٢٩ » .

لكن ذلك المصلوب قرر في صرخته اليائسة أن الله تركه .

٣ - ولقد كانت آخر أقوال المسيح لتلاميذه ، في تلك اللحظات التي سبقت عملية القبض مباشرة هو تأكيده لهم أن الله معه دائماً ولن يتركه :

« هوذا تأتي ساعة وقد أت الآن تنفرون فيها كل واحد إلى خاصته وتركوني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي .

قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . في العالم سيكون لكم ضيق .

ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم - يوحنا ١٦ : ٣٢ - ٣٣ .
من المؤكد إذن أن ذلك المصلوب الذى تركه إلهه فأطلق صرخة اليأس
على الصليب قائلاً :

إلهى إلهى لماذا تركتني - إنما هو شخصى آخر غير المسيح الذى يقول
لتلاميذه بكل ثقة ويقين :

أنا لست وحدى لأن الآب معى .

وما من شك فى أن المصلوب قد غلبه أعداؤه ، وقهره الموت وساد عليه
بعد أن تجرع كأسه المريرة حتى النهاية .

ولهذا يقول بولس : « إن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يسود عليه

الموت بعد - روميه ٦ : ٩ » .

نعم لقد ساد الموت على المصلوب كما يسود على كل الموتى - كما قرر
بولس - أما ذلك الذى غلب العالم فهو الذى حطم الإرادة الشريرة لمن فى
ذلك العالم من أشرار ففتح محاولاتهم سحقه ، ورد الضربة على رأس الخائن .

٤- وفى آخر مواجهة عاصفة حدثت بين المسيح والكهنة اليهودى كان قوله :

« أنى أقول لكم أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم

الرب . ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل - متى ٣٢ : ٣٩ ، ٢٤ : ١ » .

ان التحدى فى هذا القول واضح ، ذلك أن المسيح يؤكد لأعدائه أنهم

لن يروه منذ تلك الساعة حتى يأتى فى نهاية العالم « بقوة ومجد كثير » .

لكن ذلك المصلوب رآه الكهنة اليهودى أسيراً فى قبضته أثناء المحاكمة ،

ثم رأوه بعد ذلك معلقاً على الخشبة قتيلاً ، قد أسلم الروح والمشيمة ، ولم

يبقى منه إلا جسد خامد ، فقد نبض الحياة .

*

الحق أن ما تنبأ به المسيح فى الأناجيل بنجاته من القتل ، إنما هو تأكيد

لما سبق أن تنبأ به داود فى المزامير - تلك التى رأينا بعضها منها فيما سبق وخاصة

عند الكلام عن شهادات العهد القديم * ، ولسوف نرى فيما يلى منها المزيد .

* * *

الفصل التاسع

تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل

مقدمة :

بعد أن انقضى أكثر من ٥٠ عاماً على فتنة الصلب ، بدأ لوقا تسطير رسائله إلى العزيز ثاوفيلس تلك الرسائل التي اصطلح - فيما بعد - على تسمية الجزء الأول منها باسم : انجيل لوقا ، بينما سمي الجزء الثاني : أعمال الرسل ؛ ويروى لوقا في « أعمال الرسل » أنه بعد مرور نحو شهرين على حادثة الصلب ، وقف بطرس بين التلاميذ والأتباع يحدثهم عن الظروف الغامضة التي اختفى فيها يهوذا الخائن وفي هذا يقول لوقا :

« في تلك الأيام وقف بطرس في وسط التلاميذ : وكان عدة أسماء معا نحو مائة وعشرين .

فقال : أيها الرجال الأخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقله بضم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع . . .

لأنه مكتوب في سفر المزامير : لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن ولبأخذ وظيفته آخر - ١٥: ١ - ٢٠ » .

إن بطرس يتكلم هنا عن الزمور ١٠٩ من سفر المزامير الذي يعد أكثر أسفار العهد القديم استخداماً في كتابة أسفار العهد الجديد .

فعن هذا السفر نقلت كتب العهد الجديد الكثير من الشهادات ، وبه لون كتبة الأناجيل كتاباتهم وخاصة قصة الصلب والآلام . وفي كل ذلك كان يستشهد بما في هذا السفر تصرّحاً أو تلميحاً .

وقد رؤى أن تجرى دراسة المزامير المستخدمة بالأسلوب الشائع بين العلماء ، وهو إستخلاص المفهوم العام من المزمور حسبما يستبان من فقراته الرئيسية ، مع بيان الجمل الحاكمة التى تعطى ذلك المفهوم وتؤكدده .

كذلك ستدرس المزامير - الاقليلا - حسب تسلسلها العددي الذى وردت به فى سفر المزامير ، مع تقسيم المزمور إلى فقرات تأخذ كل منها رقما مسلسلا ، لكى يسهل التعامل معها عند تأويلها والأشارة إليها .

ولما كانت المزامير المستخدمة تربو على الخمسين ، صار من العسير فحصها جميعا فى هذا الحيز المحدود ، ولهذا سنكتفى بدراسة مركزة لما يقرب من ربع هذا المقدار .

* *

مدخل لدراسة تنبؤات المزامير :

تتطلب هذه الدراسة أن تأخذ فى حسابنا بعض القواعد الأساسية ، التى يمكن قبولها بسهولة :

١ - يحتوى سفر المزامير ، كما يحتوى غيره من أسفار الكتاب المقدس - بل والكتب الدينية عامة - على الكثير من التشبيهات والأمثال والتعبيرات التى يكون القصد منها فى كثير من الأحيان أن تعطى مفهوما عاما ، قد لا يكون له صلة ما بذلك المفهوم الحرفى الذى يستخلص منه إذا أخذت كلماته حرفيا . على أن هذا لا يمنع من أن يكون للمعنى الحرفى اعتباره - فى بعض الأحيان - باعتباره تقريرا صريحا أكدته الشوهد المتكررة وركزت عليه . وفيما بلى نماذج لبعض التعبيرات ومفاهيمها المتفق عليها ، يقول فيها نينهام : «(أ) لقد أعتبرت القدرة على اخضاع البحر والتغلب على العواصف ، واحدة من أبرز علامات القدرة الإلهية - كما جاء فى المزامير ٨٩ : ٨ - ٩ ، وأشعيا ٥١ : ٩ - ١٠ . .

(وهذا الأخير يقول : استيقظى استيقظى البسى قوة ياذراع الرب . استيقظى كما فى أيام القدم كما فى الأدوار القديمة . . ألسنت أنت هى المنشقة البحر مياه الغمر العظيم . .) .

(ب) وكثيراً ما استخدمت صورة العاصفة ، أو منظر المياه العظيمة كاستعارة ترمز إلى قوى الشر وهي تمارس نشاطها في العالم ، وعلى الأخص نشاطها في ابقلاء الأبرار الذين ليس لهم من مخلص سوى قدرة الله — كما في المزمور ١٨: ١٦ (الذي يقول : أرسل من العلي فأخذني نشلني من مياه كثيرة).

(ج) إن الثقة الكاملة في الله ، تلك التي يجب أن يظهرها دائماً الرجل التي يمكن التعبير عنها بأنه حتى في أشد العواصف عتوا ، فلن يشك في قدرة الله وحمية انقاذه — كما في اشعيا ٤٣: ٢ (الذي يقول : إذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت في النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك) . .

ولقد كانت القدرة على النوم في سلام والاضطجاع دون ازعاج ، علامة على الثقة الكاملة في قدرة الله التي تحفظه وتعضده كما في :

أمثال ٣ : ٢٣-٢٤ (حينئذ تسلك في طريقك آمناً ولا تعثر رجلك . إذا اضطجعت فلا تخاف بل تضطجع وبلد نومك) .

والمزمور ٣: ٥ (أنا اضطجعت ونمت . استيقظت لأن الرب يعضدني).
والمزمور ٤: ٨ (بسلامة اضطجع بل أيضاً أنام لأنك أنت يارب منفرداً في طمأنينتي) .

وكذلك أيوب ١١ : ١٨-١٩ (وتطمئن لأنه يوجد رجاء . تتجسس حولك وتضطجع آمناً وتربض وليس من يزعج ويتضرع إلى وجهك كثيرون).
واللاويين ٢٦: ٦ (أجعل سلاماً في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم . أيبد الوحوش الرديئة من الأرض ولا يعبر سيف في أرضكم) .

ولكن كانت هناك في بعض الأحيان ، لحظات تنزل فيها كارثة قومية أو فردية ، وكان من الصعب آنذاك وجود مثل تلك الثقة ، وكان الأمر يبدو وكأن الله لم يعد يبالي بشعبه وأنه كف عن رعايتهم . وفي مثل تلك الأزمنة كانوا يتكلمون عن الله كما لو كان نائماً ، ولهذا لم يرددوا في ندائه ليستيقظ ويهتم بعونهم — كما في المزمور ٤٤ : ٢٣ — ٢٤ الذي يقول : استيقظ لماذا تتغافى يارب . انتبه .

وكذلك المزامير ٣٥ : ٢٣ ، ٥٩ : ٤ (٥٨) :

٢ - وتتكرر في المزامير صور ذلك العبد المتضرع إلى الله من أجل انقاذه من الموت الذي ينتظره على يد أعدائه .

والموت هنا - هو بلاشك - موت غير طبيعي أو هو موت قبل الأوان، فهو موت يسبقه القتل، ولذلك يمكن القول بأن الموت هنا يعني القتل. ولا يستطيع بنو البشر أن يهربوا من الموت الطبيعي الذي قدره الله عليهم ، فهم لا يعلمون متى يأتي إلا حين نزل بهم سكراته .

لكن بنى آدم - سواء الاخيار منهم و الأشرار يخشون بطبيعتهم القتل ، ذلك الباب الأسود الذي يدخلون منه إلى الموت بعد القهر والتعذيب . وهذا القتل كثيراً ما تسبقه النذر والعلامات التي تدفع بمن يتعرضون له ، أن يلتجئوا - يفرزتهم - إلى الله طلباً للخلاص من ذلك الموت الذي ظنوه قد طرق أبوابهم قبل الأوان .

٣ - ولما كان ما ينسب لداود من مزامير قد أعتبر في أغلبه نبوءات عما سيكون من أمر المسيح، فمن المقرر بداهة أن ما يستخلص من واحد منها يجب ألا يتعارض مع ما يفهم من غيره من المزامير. ومن المعلوم أن تقسيمها وترقيمها ، قد حدث بعد داود بقرون ، وأن هذا الترقيم قد اختلف فيه ، كما يتضح من مقارنة ترقيم المزامير في النسخة العبرية لأسفار العهد القديم التي نقلت عن تراجمها - بنظيره في النسخة الاغريقية (السبعينية) :

| العبرية | الاغريقية |
|-----------|-----------|
| ١ - ٨ | ١ - ٨ |
| ٩ - ١٠ | ٩ |
| ١١ - ١١٣ | ١٠ - ١١٢ |
| ١١٤ - ١١٥ | ١١٣ |
| ١١٦ | ١١٤ - ١١٥ |
| ١١٧ - ١٤٦ | ١١٦ - ١٤٥ |
| ١٤٧ | ١٤٦ - ١٤٧ |
| ١٤٨ - ١٥٠ | ١٤٧ - ١٥٠ |

أى أن أغلب المزامير من النسخة الاغريقية تنقص فى ترتيبها بمقدار الواحد عن نظيرها فى النسخة العبرية . والسبب فى هذا هو جمع مزمورين معا ليكونا مزمورا واحدا ، كما حدث للمزمورين ٩ ، ١٠ فى العبرية اللذين جمعا معا ، ليكونا المزمور رقم ٩ فى الاغريقية .

من أجل ذلك فأننا نمد القاعدة التى ذكرناها هنا ، فنقول أن ما يستخلص من أحد المزامير يجب ألا يتعارض مع ما يفهم من مزمور أو أكثر .

وباختصار فإن الصورة التى يرسمها مزمور أو أكثر يجب ألا تختلف عن تلك التى يرسمها أى من المزامير الأخرى ، بل تكملها وتزيدها ايضا .

والخلاصة أن دراسة موضوع تنبؤات المسيح بنجاته من القتل ، تكفيه فقط دراسة واحد أو أكثر من المزامير .

ولم نقصد بدراستنا لأربعة عشر مزمورا إلا مزيدا من التأكيد واليقين .

*

لقد كان ذلك مدخلا رؤى من الأفضل التمهيد به لهذه الدواسة التى تقوم بها فى سفر المزامير .

المزمور ٩

١ - أحمد الرب بكل قلبى . أحدث بجميع عجائبك . أفرح وابتهج بك . أرغم لإسلك أبها العلى .

٢ - عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك .

لأنك أنت أقت حتى ودعواى جلست على الكرسى قاضيا عادلا .

أهلكت الشرير . محوت اسمهم إلى الدهر والأبد . العدو تم خرابه

إلى الأبد .

٣ - يكون الرب ملجأ للمنسحق . ملجأ فى أزمة الضيق . يتكل عليك

العارفون اسمك . لأنك لم تترك طالبك يارب ..

٤ - ارحمنى يارب . انظر مذلتى من مبغضى يارافعى من أبواب الموت :

لكي أحدث بكل تسايحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجا بخلصك .
٥ - تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها . في الشبكة التي أخفوها
انتشبت أرجلهم .

معروف هو الرب . قضاء أمضى . الشرير يعلق بعمل يديه .

الأشرار يرجعون إلى الهاوية . كل الأمم الناسين الله .

٦ - لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد . رجاء البائسين لا ينجب
إلى الدهر .

*

تبين افتتاحية المزمور (الفقرة ١) أنه تقرير عن نجاة عبد صالح فرح
بنصر الله له ، ذلك النصر الذي كان أعجوبة من عجائب الزمن .

والعبد له أعداء يتآمرون عليه خفية تبين الفقرتان ٢ ، ٥ ما حدث لهم
فحين طلبوه للهلاك رد الله عليهم شرهم فرجعوا إلى الخلف وسقطوا على
وجوههم ولحق بهم الخزي والبوار .

ومهم ذلك الشرير المتميز في شره ، وهو الذي نفذ فيه قضاء الله
العادل فصلب ، وبذلك هلك وحى إسمه ، إذ أن كلمة : المعلق تعني
المصلوب ، كما في تثنية ٢١ : ٢٢

ولقد كادت محنة العبد الصالح أن تذيبه الموت ولذلك صرخ إلى ربه
قائلا : « يارافعي من أبواب الموت » وما من شك في أن القبض عليه -
لو تم - لكان أول باب من أبواب الموت ، ولو صلب لكان هذا بابه الأخير
الذي لو دخله فلا مناص له بعد ذلك من أن يطبق عليه الموت .

وما من شك أيضا في أن نجاته برفعه إنما هي أعجوبة الهية لا يملك أمامها
إلى التسبيح والترنيم . وقد اختتم المزمور (الفقرة ٦) بمثل ما افتتح به ، وهو
التأكيد على الإستجابة للعبد الصالح وتحقيق رجائه .

*

وقد اقتبس يوحنا من هذا المزمور في ١٨ : ٦ حين وصف ما حدث للذين جاءوا للقبض على المسيح فقد « رجعو إلى الوراء وسقطوا على الأرض » . وكذلك استخدمه كاتب الرسالة إلى العبرانيين في ٥ : ٧ عندما تكلم عن تضرع المسيح للإله القادر « أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه » .

*

كما سبق يتبين أن هذا المزمور في حقيقته ليس إلا نبوءة صريحة بنجاة المسيح من الموت الذي كان على وشك أن يقهره بيد أعدائه بعد أن تم انقاذه بطريقة عجيبة ، ألا وهي رفعه إلى السماء قبل أن يدخل إلى الموت من أى باب من أبوابه السود . كذلك فإنه نبوءة بصلب الشرير الخائن وتعليقه على الحشبة .

المزمور ١٦

١ - احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت . قلت للرب أنت سيدى .
خبرى لا شىء غيرك ..

٢ - تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر . لا أسكب سكائبهم من دم . ولا اذكر أسماءهم بشفتى .

٣ - الرب نصيب قسمتى وكأسى . أنت قابض قرعتى . جبال وقعت لى فى النعناء . فالمراث حسن عندى .

٤ - جعلت الرب أمامى فى كل حين . لأنه عن يمينى فلا أتزعزع لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى جسدى أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية لن تدع تثيقي يرمى فساداً . تعرفنى سبيل الحياة أمامك شبع سرور . فى يمينك نعم إلى الأبد .

*

يعتبر هذا الرموز نبوءه بما سيكون من أمر المسيح - كما جاء في أعمال الرسل ١٣ : ٣٣ - ٣٧ - وعلينا قبل أن نقرر حقيقة ما يتنبأ به أن نحدد معاني بعض مفرداته الحاكمة كما يستدل عليها من الكتاب المقدس .

الهاوية : وردت بمعنى الموت في مواضع كثيرة ، منها ما يقوله سفر الأمثال عن المرأة الأجنبية من أن « قدماها تنحدران إلى الموت . خطواتها تتمسك بالهاوية - ٥ : ٥ » .

ووردت في قول بولس أنه عند القيامة تصير الكلمة : أين شوكتك يا موت . أين غلبتك يا هاوية - ١ كورنثوس ١٥ : ٥٥ » .

الفساد : وهو يعنى الموت أيضا كما في قول بولس : هكذا أيضا قيامة الأموات . يزرع في فساد ويقام في عدم فساد .

عند البوق الأخير فإنه سيوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير . لأن هذا الفساد لأبد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت - ١ - كورنثوس ١٥ : ٤٢ - ٥٣ » .

✦

وإذا رجعنا إلى المزمور لوجدناه يبدأ (في الفقرة ١) بتضرع العبد إلى الله - ربه وسيده - لكي يحفظه من شر ينتظره وهو عبد صالح ولا شك لأنه تقى لله ، متوكل عليه .

وتبين الفقرتان ٣ ، ٤ ثقة العبد الصالح في استجابة الله لدعائه الذى افتتح به المزمور ، وهو لذلك فرح من كل قلبه مبتهج بروحه ، رابط الجأش لا يتزعزع ، مطمئن إلى مذاق الكأس التى سيشربها كأس الرضا والسرور .

ومن المؤكد أن هذه الكأس التى هو راغب فيها غير تلك الكأس المرة التى كان المسيح يرجو الله من كل قلبه أن يعفيه منها ، عندما كان يصلى ويقول : « ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » .

ومن المؤكد أيضاً أن هذا العبد الصالح الذى جعل الرب عن يمينه فلم يتزعزع ، إنما يختلف تماماً عن فلك العبد الهلع النهار الذى صرخ على الصليب في يأس قائلاً : « إلهي إلهي لماذا تركتني » .

ويؤكد قوله : « جسدى أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية لن تدع نقيك يرى فساداً - إن المسيح مطمئن لنجاته من ذلك الموت الذى ينتظره - وهذا يعنى أن الذى صلب وذاق الموت على الصليب إنما كان شخصاً آخر غيره .

بل أن ذلك المصلوب قد ذاق جسده الفساد كاملاً ، فهو قد تعرض للصلب والثقب وطعن جنبه بحربة نزع على أثرها دم وماء ، وأخيراً فإنه مات .

هل يصدق أحد أن جسداً كجسد ذلك المصلوب الممزق يمكن أن يقال فيه : جسدى أيضاً يسكن مطمئناً ؟ !

وأخيراً فإن المسيح يتبرأ تماماً (فى الفقرة ٢) من أولئك الذين يقولون بسفك دمه فداء عن خطايا الآخرين مهما حشدوا لذلك من مختلف الدعاوى مثل قولهم : « أن المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات . . ليس بدم نبوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً - عبرانيين ٩ : ١١ - ١٢ .

بل ان المسيح ليدعوا بالشر على أولئك القائلين بدمه المسكوب ويخاصمهم إلى الأبد فلا تنطق شفتاه باسمهم .

فلقد كانت سكائبه دعاء من الأعماق وصلاة تتفعل بها خلجات نفسه ، كما هي عادة كل المؤمنين وخاصة عندما يحزبهم أمر .

وتوضح قصة حنة - أم صموئيل النبي - هذا المعنى بل أنها لتوضح لنا معنى سكب النفس . فقد حدث عندما كانت حنة عاقراً ان ذهبت « وهى مرة النفس فصلت إلى الرب وبكت بكاء . ونذرت نذاراً وقالت يارب الجنود إن نظرت إلى مذلة أمتك وذكرتى ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فإني أعطيه للرب كل أيام حياته . .

وكان إذا كثرت الصلاة أمام الرب وعالى (الكاهن) يلاحظها فإن حنة كانت تتكلم فى قلبها وشفتها فقط تتحرر كان وصوتها لم يسمع أن عالى ظنها سكرى . فقال لها عالى حتى متى تسكرين أنزعى خمرك عنك .

فأجابت حنة وقالت لا يا سيدى . انى امرأة حزينة الروح ولم أشرب
خمرا ولا مسكرا بل أسكب نفسى أمام الرب - صموئيل الأول
١٠ : ١ - ١٥ .

ورغم توضيح الكتاب المقدس معنى سكب النفس فمن المؤكد أن هذا
المزمور لو كان قد قال على لسان المسيح : أسكب نفسى من أجلهم ، لتلقفها
المتلقفون وقالوا إن هذا يعنى سفك دم المسيح من أجل ، خطايانا . فبالنا
وقد حطم المزمور كل تلك الظنون والتأويلات بقوله : لا أسكب
سكائبهم من دم .

لكن المسيح علمهم جوهر الرسالة وقال لهم :

« اذهبوا وتعلموا ما هو . إني أريد رحمة لا ذبيحة - متى ٩ : ١٣ »

لكنهم إلى الآن يرفضون تعليمه ، باصرارهم على الذبيحة التى لم يروا
فى المسيحية شيئا غيرها - غير سفك دم المسيح البار الذى كم رفض فكرة
قتله واستنكرها تماما . فلقد تنبأ داود فى المزمور ٣٠ - بما سيقوله المسيح
فى محنته ، بعد أن رأى الموت يقترب منه فى محاولة قتله بيد أعدائه ، فصرخ
إلى الله مستنكرا يقول :

« إليك يارب اصرخ وإلى السيد انضرع .

ما الفائدة من دى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمذك التراب هل
يخبر بحقك .

استمع يارب وارحمى . يارب كن معينى . »

وفى هذا المزمور ٣٠ - كما فى المزامير السابقة له واللاحقة - نجد
مقدمته تقرر نجاة المسيح وتحقيق رغبته التى أوضحها هنا تماما فى عدم قتله
وسفك دمه ، لأنها شىء - حسب قوله وهو قول منطقي وعادل -
لا فائدة منه :

« أعظمك يارب لأنك نشلتنى ولم تشمت بى أعدائى »

لقد كان الأعداء يريدون قتله ، ولو تمكنوا من ذلك لشمثوا به
لكنهم لم يشمتوا - كما تقرر مقدمة المزمور - وبالتالي فإنهم لم يتمكنوا من قتله .

إن استنكار داود على لسان المسيح في قوله : « ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة » - سوف يبقى نذير حق يطرق مسامع أولئك الذين يرفضون الرحمة ويريدون الذبيحة .

المزمور ٢٠

« ١ - ليستجب لك الرب في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب . ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليعضدك . ليذكر كل تقدماتك . . ليعطك حسب قلبك ويتم كل رأيك . . »

٢ - الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه .
يجبروت خلاص يمينه .

٣ - هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيول . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر :
هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا .

٤ - يارب خلص ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا .

*

تبين مقدمة المزمور (الفقرة ١) أن داود يدعو لشخص آخر ، هو عبد بار طاهر القلب ، أو بالأحرى هو المسيح - كما تقول الفقرة ٢ - وهو الذي سبق أن تحدث عنه داود في المزمور ٢ فقال :

« لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنار بطهما . »

ونجد في ذلك المزمور الثاني - وهو الذي ذكر في أعمال ٤ : ٢٥-٢٦
كما نجد في بقية المزامير تنبؤات بفشل المؤامرة ضد المسيح ، إذ يقول :

الساكن في السموات يضحك الرب يستهزئ بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . وفي هذا المزمور ٢٠ ، نجد الضيق المنتظر

يأتي من أعداء يدبرون مكيدة للمسيح، أعداء تبين الفقرة ٣ أنهم يمتلكون قوة مادية يشار إليها بالمركبات والحيل ، أما قوة المسيح ذلك العبد المتضرع لله فإنها تتمثل في صلواته وتسابيحاته .

وحين يجد الجدد وتكاد تكتمل حلقات المؤامرة تندخل ذراع الرب القوية فتفعل الأعاجيب وتخلص المسيح ، وأنداك يسقطون على الأرض من هول الصدمة - كما وصفهم يوحنا لحظة محاولة القبض على المسيح - أما هو فالى العلاء أوالى السماء ، كما يقول على لسانه المزمور ١٨ :

« أرسل من العلى فأخذنى . نشلتنى من مياه كثيرة أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضى لأنهم أقوى منى » ولا شك أن قول داود فى الفقرة ٢ :
« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه » إنما هو نبضة الهام تنبىء بما هو صائر إليه أمر المسيح فى ذلك اليوم المرتقب : يوم الضيق .

* * *

الزمرور ٢١

١ - يارب بقوتك يفوح الملك وبخلاصك كيف لا يبتهج جدا . شهوة قلبه أعطيته وملتمس شفثيه لم تمنعه . . حياة سألك فأعطيته . طول الأيام إلى الدهر والأبد .

٢ - عظيم مجده بخلاصك جلالا وبهاء تضع عليه .. لأن الملك يتوكل على الرب وبنعمة العلى لا يزعزع .

٣ - تصيب يدك جميع أعدائك يمينك تصيب كل مبغضيك . . تبئد ثمرهم من الأرض وذريتهم من بنى آدم .

لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها .

لأنك تجعلهم يتولون . تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم .

٤ - ارتفع يارب بقوتك . نرنم وننغم بجبروتك » .

*

يعتبر المزمور ٢١ تكلمة للمزمور ٢٠ فيبدأ الأخير بالدعاء طلبا
النجاة في يوم الضيق نجد هذا المزمور - ٢١ - يقرر أن الدعاء قد استجيب
للمسيح - ملك السلام وملك أورشليم - فلقد كانت شهوة قلب المسيح أن
يجيز الله عنه تلك الكأس المنتظرة ، كأس القتل وانزال دمه إلى الحفرة ،
وكانت النجاة من ذلك ملتصق شفتيه وكان بقاؤه حيا هو سؤاله الملح .
وهنا يقرز المزمور (في الفقرة ١) أن ذلك كله قد تحقق ، فقد أجزت عنه
تلك الكأس ونجاه الله من القتل فبقى حيا طول الأيام :

أما أعداء المسيح الذين تفكروا بمكيدة له ، فإنهم لم يستطيعوها .

ان هذا القول وحده يكفي لفهم هذا المزمور ، بل إنه يكفي لفهم كل
المزامير إذا كانت هناك ثقة في أنها جميعا تمثل كتاباً واحداً « موصى به من الله » .
لقد تفكروا في قتل المسيح - فلم يستطيعوا .

أليس هذا ما يقوله المزمور ؟ :

ثم ماذا ينتظر المتآمريين على المسيح ؟

ينتظرهم الهزيمة والإبادة وقطع ثمرهم من الأرض كما قال داود
في هذا المزمور (الفقرة ٣) وكما قال في المزمور ١٠٩ الذي اعتبره
بطرس نبؤة تحققت في يهوذا الخائن ، بعد أن هلك وانقطع خبره :

المزمور ٢٢

يعتبر هذا المزمور من أكثر المزامير التي نقل عنها الأناجيل ،
فقد اقتبسوا منه ما لونوا به قصة الصلب والآلام . وكذلك استشهد به بقية
كتبة أسفار العهد الجديد .

فقد استخدمه مرقس في ١٥ : ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٤ - ومتى في ٦ : ١٣ ، ٢٧ :

٤٣ ، ٤٦ - ولوقا ٢٣ : ٣٥ - ويوحنا في ١٤ : ٢٤ - وكاتب الرسالة إلى
الغبرانيين في ٢ : ١٢ ، ٥ : ٧ - كما استخدم في مواضع أخرى من العهد الجديد .

*

وتذكر نسخة الملك جيمس في مقدمة هذا المزمور أنه يتكون من
من ثلاثة عناصر رئيسية :

- ١ - شكوى يتقدم بها داود بعد أن أصيب بحالة من الإنهيار النفسى
والوهن الشديد .
- ٢ - ثم هو يصلى صلاة المكروب الذى احتواه الغم والحزن العميق .
- ٣ - وأخيراً فإنه ثناء على الرب لنجاته .

*

محنة داود : إن هذا المزمور فى حقيقته لا يعدو أن يكون تقريراً عن
محنة قاسية تعرض لها داود وكادت تفضى عليه قتلا بيد أعدائه لولا أن تداركه
الله بالخلاص من شرهم .

فقد كانت العداوة شديدة بين شاول أول ملك فى إسرائيل وبين داود
فقال « داود فى قلبه أنى سأهلك يوماً بيد شاول فلا شىء خير لى من أن
أفلت إلى أرض الفلسطينيين فيأسس شاول منى فلا يفتش على بعد فى جميع تخوم
إسرائيل فأنجو من يده .

فقام داود وعبر هو والست مائة رجل الذين معه إلى أخيش بن معوك
ملك جت ، وأقام داود عند أخيش فى جت هو ورجاله كل واحد وبيته
داود وإمرأته أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملية . فأخبر
شاول أن داود قد هرب إلى جت فلم يعد أيضاً يفتش عليه .

فقال داود لأخيش ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلتعطونى
مكائناً فى إحدى قرى الحقل فأسكن هناك . . فأعطاه أخيش فى ذلك
اليوم صقلع ..

وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجززين والعالقة لأن هؤلاء
من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر . وضرب داود
الأرض ولم يستبق رجلاً أو امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً
ورجع وجاء إلى أخيش - صموئيل الأول ٢٧ : ١ - ٩ .

لقد غزا داود العالقة وغيرهم ، وأعمل فيهم سيفه هو ورجاله ، فكان

من الطبيعي أن يردوا عليه السيف ، وينزلوا لمحاربتة وهذا ما حدث فعلا
وسوف نراه بعد قليل .

*

وخلال المدة التي قضاها داود لاجئته في صقلغ ، انضم إليه عدد من
رجال الحرب الأقوياء من أسباط بنيامين وجاد ومنسى ، يقول فيهم
سفر الأخبار :

« وهؤلاء هم الذين جاءوا الى داود الى صقلغ وهو بعد محجوز عن وجه
شاوول ابن قيس وهم من الأبطال مساعدون في الحرب ..

من الجاديين انفصل إلى داود إلى الحصن في البريه جبابرة البأس رجال
جيش للحرب صافوا أتراس ورماح وجوههم كوجوه الأسود وهم
كالظبي على الجبال في السرعة . عازر الرأس وعوبديا ..

هؤلاء هم الذين عبروا الأردن في الشهر الأول وهو ممتلئ إلى جميع
شطوطه وهزموا كل أهل الأودية شرقا وغربا ..

وسقط إلى داود بعض من منسى .. حين انطلق إلى صقلغ سقط إليه
من منسى عدناح ويوزاباد .. وهم ساعدوا داود على الغزاة لأنهم جميعا
جبابرة بأس وكانوا رؤساء في الجيش . لأنه رقتئذ أتى أناس إلى داود يوماً
فيوما لمساعدته حتى صاروا جيشا عظيما كجيش الله .

— أخبار الأيام الأول ١٢ : ١-٢٢ —

لقد كان رجال داود من الإسرائيليين الذين انضموا إليه : من سبط
جاد الذين وصفنوا بأنهم « جبابرة البأس وجوههم كوجوه الأسود » ،
ومن سبط منسى وهم « جميعا جبابرة بأس » ثم كان هؤلاء وهؤلاء « جيشا
عظيما كجيش الله » .

ان هذا الجيش العظيم إذا انقلب على داود ، لسبب أو لآخر فان هذا
يعنى ولا شك هلاك داود .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ، لولا أن تداركه الله برحمته .

*

وإذا رجعنا قليلا إلى الوراثة لوجدنا أن موسى قد أعطى لبنى جاد وبنى منسى أرض باشان في عبر الأردن - فقد قالوا لموسى : « نحن نعتبر متجردين أمام الرب إلى أرض كنعان ولكن نعطي ملك نصيبنا في عبر الأردن .

فأعطى موسى لهم لبنى جاد وبنى راووين ونصف سبط منسى بن يوسف مملكة سيحون ملك الأموريين ومملكة عوج ملك باشان مع مدنها بتخوم مدن الأرض حواليها - عدد ٣٢: ٣٣ » .

ان هؤلاء الرجال حين يغضبون ، يصدق فيهم الوصف بأن : « أقوياء باشان فغروا أفواههم كأسد منترس مزجر » .

*

ولقد جاءت محنة داود عندما تغيب عن صقلغ هو ورجاله لبضعة أيام تمكن فيها العمالقة من غزوها وتخريبها ، وعندئذ ثار عليه شعبه وقالوا برجمه . « لما جاء داود ورجاله إلى صقلغ في اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلغ وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتي فيها لم يقتلوا أحد لا صغيرا ولا كبيرا بل ساقوهم في طريقهم .

فدخل داود ورجاله المدينة وإذا هي محرقة بالنار ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سبوا . فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم تبق لهم قوة للبكاء . وسيت امرأة داود أخينوعم اليرزعية وأبيجايل امرأة نابال الكرمل .

فتضايق داود جدا لأن الشعب قال برجمه لأن أنفُس جميع الشعب كانت مرة كل واحد على بنية وبناته .

أما داود فشدد بالرب إلهه - صموئيل الأول ٣٠ : ١ - ٦ »

*

وكما هي عادة البشر - وخاصة المؤمنين - أن يلجئوا إلى الله في وقت الضيق ، فلم يكن لداود من ملجأ آنذاك سوى الله ، الذي قبل صلواته

ونصره على العالمة أولئك الذين وصفهم داود بأنهم كانوا يقتسمون
الغنائم ويقترعون عليها ، كالكلاب التي اجتمعت على فريسة لتهبها .
وأخيراً « استخلص داود كل ما أخذه عماليق وأنقذ داود إمرأته
ولم يفقد لهم شيء . - صموئيل الأول ٣٠ : ١٨-١٩ »

*

تسجيل الخنة : لقد كانت محنة داود التي خرج منها مستصرا ، بعد أن
سجلها في المزمور ٢٢ - الذي يقول فيه :

« ١ - إلهي إلهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي عن كلام زفيرى .
إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل أدعو فلا هدولي . وأنت القدوس
الجالس بين تسيحات إسرائيل . عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيتهم
إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم ينجزوا .

٢ - أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل
الذين يرونني يستهزؤون بي . يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين . اتكل
على الرب فلينجيه . لينقذه لأنه سر به . لأنك جذبتني من البطن . جعلتني
مطمئنا على ثدي أمي . عليك ألتيت من الرحم .

من بطن أمي أنت إلهي .

لانتباعد عني لأن الضيق قريب . لأنه لا معين .

٣ - أحاطت بي ثيران كبيرة . أقوياء باشان اکتفتني . فغروا على
أفواههم كاشد مقترس مزجر .

٤ - كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع .
قد ذاب في وسط امعاني يبست مثل شقفة قوتى ولصق لساني بجنحي والى
تراب الموت تضرعتي .

٥ - لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اکتفتني . ثقبوا
يدي ورجلي أحصى كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون في . يقسمون
ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون .

- ٦ - أما أنت يارب فلانبعد . يا قوتى أسرع لنصرتى .
أنقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى .
خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لى .
- ٧ - أخبر باسمك أخوتى فى وسط الجماعة اسبحك . يا خائفى الرب
سبحوه . مجدوه يامعشر ذرية يعقوب . وأخشوه يازرع اسرائيل جميعا .
لانه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند
صراخه إليه استمع .
من قبلك تسبحى فى الجماعة العظيمة . أو فى بندورى قدام خائفيه .
يا كل الودعاء ويشبعون . يسبح الرب طالبوه . تحيا قلوبكم الى الأبد .
- ٨ - يخبر عن الرب الجليل الآتى . يأتون ويخبرون ببه شعبا سيولد
بأنه قد فعل . »

*

إن فهم العلماء لهذا المزمور يتمثل فيما يقوله نينهام : « باننا لوأخذناه
ككل ، فانه لايعدو أن يكون صلاة لعبد باريعانى آلاما ، الا أنه
يثق تماما فى حب الله له ، وحفظه من الشر . وهو مطمئن تماما لحمايته
وخاصة الأعداد ١٩ - ٢٦ (أى الفقرتين ٦ ، ٧) ، وبالذات العديدين
٢٤ ، ٢٦ (وفيهما : لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب
وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمع . .)

وتوجد بعض الشواهد على أن افتتاحية المزمور كان يفسرها قدامى
اليهود على ضوء بقية أجزاءه ، وأنه كان يعرف كصيغة لصلاة مؤكدة
الاستجابة من أجل العون فى وقت الضيق » (٥٩)

وبالإضافة الى هذا - وفيه الكفاية - فاننا نستطيع أن نزيد الآتى :

١ - أن عبارته « ثقبوا يدي ورجلى » المذكور في التراجم الشائعة لا توجد
في الأصل العبرانى ، ولكن يوجد بدلا منها : « كلتا يدي مثل الأسد » (٦٠)

(٥٩) المرجع ٦ - ص ٤٢٨ .

(٦٠) كتاب : اظهار الحق - تأليف رحمة الله الهندي - الجزء الاول

ومن المؤكد أن هذا المزمور بالذات قد تعرض للكثير من التحريف والتعديل مما يجعلنا في شك من أن تراجمة الشائعة لاتعطي نفس المعاني والمفاهيم التي سجلها داود في مزموره الأصلي .

والدليل على ذلك مانجده في أحد التراجم الحديثة (٦١) للمزامير التي قام بها نخبة من العلماء ، حيث يستطيع القارئ أن يميز بسهولة الاختلاف الواقع بينها مع ما في نسخة الملك جيمس من حيث المعاني وترتيب الفقرات - كما يتضح من المثال الآتي من المزمور ٢٢ :

من نسخة الملك جيمس (الترجمة القديمة) من الترجمة الحديثة

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| يبس حلقى كالطين المحروق | يبست مثل شقفة قوتي |
| ولصق لساني بحنكى | ولصق لساني بحنكى |
| أحاطت بي كلاب كثيرة | والى تراب الموت تضعني |
| جماعة من الأشرار اكتنفتني | لأنه قد أحاطت بي كلاب |
| خرقوا ثقبوا في يدي ورجلي | جماعة من الأشرار اكتنفتني |
| ووضعوني في تراب الموت | ثقبوا يدي ورجلي |

*

| | |
|--------------------------|--------------------|
| أنقذ من السيف نفسي | أنقذ من السيف نفسي |
| من قبضة هذه الكلاب حياتي | من يد الكلاب وحيدي |

٢ - ومن الواضح أن عبارة « ثقبوا يدي ورجلي » حتى لو قبلت في صورتها هذه فإنها لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي وهو أنه قد حدث ثقب لليدين والرجلين كما في حالة المصلوب .

إنها لا تعني شيئاً أكثر من التعبير عن حالة من الآلام التي غشيت ذلك العبد ، والافكييف يفهم قوله : « كالماء انسكبت - انفصل كل عظامي - صار قلبي كالشمع - قد ذاب في وسط أمعائي »

(٦١) المرجع رقم (٣)

أن أيا من هذه الأقوال لا يمكن أن يشير إلى مصلوب ، لأن المصلوب لا ينسكب كالماء ، ولا يتحول قلبه إلى شمع يذوب في وسط أمعائه ، بل تبقى أعضاؤه متماسكة حتى يسلم الروح نتيجة الاستنزاف والآلام المتصاعدة.

٣ - يصف نينهم كيفية الصلب فيقول : « يوضح الضحية على الأرض بينما تثبت ذراعه الممتدتان جانبيا على عارضة الصليب إما بالمسامير أو بسير من الجلد . بعد ذلك ترفع عارضة الصليب وعليها الجسد إلى أعلا بعد أن تكون قد تثبتت في أعلا قائم الصليب هكذا (T) أو عمودية عليه هكذا (+) ثم يثبت القدمان بعد ذلك (في ذلك العهد كانت تستخدم لتثبيتها السيور الجلدية أكثر من المسامير ، على الرغم مما يقوله لوقا في ٢٤ : ٣٩ ، ٤٠ وامله تأثر في ذلك بما في المزمور ٢٢ : ١٦ - وهو يخالف ما يقوله يوحنا في ٢٠ : ٢٠ ، ٢٥)

وفي العادة فقد كانت تثبت كتلة من الخشب في منتصف القائم الرأسى لتسند الجسد المعلق .

أما الموت الذي كان يحدث نتيجة للاستنزاف فانه قد لا يأتي قبل مضي الكثير من الساعات الطويلة « (٦٢)

وإذا رجعنا إلى ما أشار إليه نينهم عن قول لوقا لوجدنا هذا الأخير يتحدث عن ظهور المسيح لتلاميذه الذين كانوا في شك قاتل من أمره فيقول على لسان المسيح لتلاميذه :

« انظروا يدي ورجلي اني أنا هو جسوني وأنظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه - ٢٤ : ٣٩ ، ٤٠ »

فمن الواضح أن لوقا تأثر بما في المزمور ٢٢ : ١٦ الذي يقول : « ثقبوا يدي ورجلي » فطبقه حرفيا ، مخالفا بذلك المفهوم الخاص بكل فقرة من فقرات المزمور وبالتالي مخالفا لمفهومه العام .

بل ان اوقا قد خالف يوحنا في هذه النقطة ، حيث يتبين من رواية الأخير أن الرجلين لم تثقبا بالمسامير - باعتبار أن التثبيت قد تم باستخدام السيور الجلدية - فيوحنا يقول :

« ولما قال (يسوع) هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . . . أما توما . . . فقال لهم ان لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن . . . ٢٠ : ٢٠ ، ٢٥ »

*

ما سبق يتبين أنه حدث خطأ لا ينكر في فهم هذا المزمور وبالتالي في استخدامه . وإذا كان قول هذا المزمور : « ثقبوا يدي ورجلي » يفهم حرفيا بأنه يعنى حدوث ثقب لليدين والرجلين ، فكيف يفهم قول الله في التوراة تحذيرا لبني اسرائيل من مخالفة الوصية :

« ولكن ان لم تسمع اصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياها وفرائضه .. تكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا والارض التي تحتك حديدا . ويجعل الرب مطر أرضك غبارا وترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك -- تثنيه ٢٨ : ١٥ - ٢٤ » .

لقد خالف بنو اسرائيل الوصايا والفرائض وتعرضوا كثيرا للعنة والأذى ، ولكن لم يحدث في أى وقت من الأوقات أن تحولت السماء التي فوقهم الى نحاس والارض التي تحتهم الى حديد ، ولم يحدث أن قتلهم التراب والغبار كما تنص على ذلك التوراة . ان المفهوم الوحيد لهذا التحذير هو أنهم بمخالفتهم الوصايا يتعرضوا للمحن والنكبات . وهذا ما تشهده به فعلا وقائع التاريخ .

٤ - لقد كان اقتسام الغنائم عن طريق القرعة وسيلة مجربة عبر العصور وبين مختلف الشعوب والعقائد - وقد استخدمها موسى كثيرا في بني اسرائيل كما جاء في سفر العدد :

« كلم الرب موسى قائلا لهؤلاء تقسم الأرض نصيبا . . . انما بالقرعة تقسم الأرض . . . حسب القرعة يقسم نصيبهم - ٢٦ : ٥٢ - ٥٦ » .

ولما كانت المرأة تعتبر لباسا للرجل وبالعكس كما جاء في الكتاب المقدس - وغيره - في أسفار التكوين ٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، لاويين ١٥ : ١٦ - ١٨ ، ١ - كورنثوس ١١ : ٣ ، ١٥

فعلى ضوء هذا يمكن فهم قول داود في هذا المزمور : « يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقرعون » ذلك أن العالقة لما غزوا صقلغ في غياب داود ، فانهم أخذوا معهم كل شيء يخص داود ورجاله وكان من بين ما أخذوه متعلقات داود وأمراته ومن الطبيعي أن يقتسم العالقة ما كان لداود ورجاله بالقرعة ، فاذا صرخ داود في المزمور بقوله هذا ، فانه يتكلم عن واقعة حدثت فعلا عندما اقتسم العالقة متعلقاته ، واقترعوا على امرأته وبقيّة نساء شعبه للمتعة واللعب .

فقد حدث قبل أن يسرد داود ما نبيه العالقة أن وجدهم منتشرين على وجه كل الأرض يأكلون ويشربون ويرقصون بسبب جميع الغنيمة العظيمة التي أخذوا من أرض الفلسطينيين ومن أرض يهوذا - صموئيل الأول ٣٠ : ١٦ .

٥ - وكما حدث خطأ في فهم قول المزمور : « ثقبوا يدي ورجلي » والاقبتاس منه - فقد حدث نفس الشيء بالنسبة لقوله : « يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقرعون » . ذلك أن أنجيل متى في صورته الحالية يقول : « ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها . لكي يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة - ٢٧ : ٣٥ »

والمقصود بالنبى هنا ما جاء في المزمور ٢٢ : ١٨ ويرى فريق من العلماء أن عبارة : « لكي يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابي . . » قد اضيقت فيما بعد لانجيل متى وأنها واجبة الحذف ، ولذلك حذفها كريسيباخ ، وأثبت هورن بالأدلة الفاطعة في الصفحة ٣٣٠ ، ٣٣١ من المجلد الثاني من تفسيره (طبعة لندن ١٨٢٢) أنها الحاقية وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره : (طبعة لندن ١٨٥١) لا بد من ترك هذه العبارة لأنها ليست جزءا من المتن « (٦٣)

٦ - لقد كان أقوياء باشان - أو بالأحرى سبطا جادومنسى - من بين الاسباط العشرة المنقودة التي محى ذكرها من التاريخ ، بعد أن ابتلعهم السبى الاشورى عام ٧٢١ قبل الميلاد ، وبالتالي فإن أيا منهم أو من سلالتهم لم يشارك في واقعة الصلب التي حدثت بعد ذلك السبى بأكثر من ٧٥٠ عاما ولم يكن منهم من اكتنف المصلوب « وفغروا (عليه) افواههم كأسد منترس مزجر » .

٧ - وحين نترك كل ما قيل عن آلام العبد التي عبر عنها بثقب اليدين والرجلين واقتسام الثياب والاقتراع على اللباس - نجد أننا قد وصلنا الى الفقرة السادسة ، فحتى ذلك الوقت لم يكن العبد المتألم قد مات ، بل انه حدد مطلبه واضحا وهو انتقاذ نفسه من القتل وذلك في قوله : « انقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى » .

٨ - وتأتى الفقرة السابعة لتؤكد نجاة ذلك العبد المتألم والاستجابة لدعائه بانتقاذ نفسه من القتل .

فى هذه الفقرة نجد النتيجة النهائية الحاسمة والواضحة التى تقرر نجاة العبد فتقول :

« لانه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند صراخه إليه استمع »

*

الخلاصة : من كل ماسبق نصل إلى النتائج التالية :

١ - أن هذا المزمور بتفصيلاته انما يتعلق بأحداث معينة وقعت لداود فى حياته وكانت تمثل محنة خرج منها سليما لم يذق الموت .

٢ - ولقد أصبح هذا المزمور - بعد داود - يعتبر فى الآثار الاسرائيلية صلاة مؤكدة الاستجابة يستخدمها الأفراد والجماعات وقت الضيق وعند ما تأتى المحن - إن ذلك هو مفهومه العام لدى الاسرائيليين وهو مفهومه العام لدى علماء المسيحية .

٣ - اذا أريد اعتبار هذا المزمور نبؤة نطق بها داود عما يكون من أمر المسيح ، فانه لا يمكن أن يكون نبؤة بقتله وإذاقته الموت كذا

بيد أعدائه ، بل على العكس من ذلك تماماً ، انه نبوءة بنجاته من القتل . فعندما كان المسيح يعاني الآلام في الحديقة ويرجو الله أن يعبر تلك الكأس المرتبة بمرارتها وعذابها ، فان الله قد استجاب له و « عند صراخه إليه استمع » .

٤ - واذا كان في هذا المزمور نبوءة عن المستقبل فهي تقع ولاشك في خاتمته (الفقرة) التي تقول : « يخبر عن الرب الجيل الآتي . يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل »

إنها تتحدث عن الجيل الآتي والشعب الذي سيولد ، وهو غير الشعب الاسرائيلي . ولاشك - ان أولئك الذين سيأتون بعد المسيح ، سيخبرون عن بر الله الذي قدمه لعبده المتألم المتضرع - سيقولون أن الله قد نجاه من القتل - هم شعب المؤمنين الذين سيقولون أن الله قد فعل ، هم شعب المسلمين لله .

أما أولئك الذين يقولون بعكس هذا - أى يقولون أن الله « لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين - رسالة بولس إلى أهل رومية ٨ : ٣٢ »
فن الواضح أن هؤلاء لا ينسبون لله برا ، بل ينسبون له - سبحانه - القسوة المجردة من كل رحمة .

وهم بذلك لا يندرجون تحت ذلك الجيل الآتي أو شعب البر الذي سيولد .

* *

أما بعد - فلقد كان المسيح يرجو الله من كل قلبه أن يجيز عنه الموت - ما في ذلك شك . . ويقول هذا المزمور أنه « عند صراخه إليه استمع » :
وكان ذلك ما قرره كاتب الرسالة إلى العبرانيين ، في قوله عن محنة المسيح وآلامه :

« الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت . وسمع له من أجل تقواه - ٥ : ٧ »

ان ما يتنبأ به هذا المزمور من أمر المسيح هو النجاة ، والنجاة من القتل .

ومن يشك في هذا ، فذاك وشأنه - ولكن بعد أن يسمع شيئاً من قول داود في المزمور ٤ :

« يا بني البشر : حتى متى تحبون الباطل وتبتغون الكذب ..
اعلموا أن الرب قد ميز تقيته .. ارتعدوا ولا تنطئوا »

المزمور ٣١

١ - عليك يارب توكلت لا تدعني أخزى مدى الدهر . بعدلك نجني .. أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي .. في يدك استودع روحي .

٢ - فديتني يارب إله الحق . أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة .. ابتهج وافرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذابتي وعرفت في الشدائد نفسي . ولم تحبسني في يد العدو بل أقيمت في الرحب رجلي .

٣ - ارحمني يارب لأنني في ضيق .. لأن حياتي قد فנית بالحزن وسنيتني بالتهد .

عند كل أعدائي صرت عاراً وعند جيراني بالكلية ورعباً لمعارفي . الذين رأوني خارجاً هربوا عني . لأنني سمعت مذمة من كثيرين . الخوف مستدير بي بمؤامرتهم معا على . تفكروا في أخذ نفسي .

٤ - أما أنا فعليك توكلت .. في يدك آجالي . نجني من يد أعدائي ومن الذين يطردوني .

لا تدعني أخز لأنني دعوتك .

٥ - ليخز الأشرار ليسكنوا الهاوية . لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة .

٦ - ما أعظم جودك الذي ذخرتة لخائفيك . وفعلته للمتكلمين عليك تجاه بني البشر .

تسترهم بستر وجهك من مكاييد الناس . تخفيهم في مظلة من
مخاصمة الألسن .

مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمة لي في مدينة محصنة .
وأنا قلت في حيرتي قد انقطعت من قدام عينيك . ولكنك سمعت
صوت تضرعي إذ صرخت إليك .

٧ - أحبوا الرب يا جميع أتقيائه . الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة
العامل بالكبرياء » .

*

يعتبر هذا المزمور نبوءة عن المسيح في ساعته الأخيرة ، « فقد كان
ما جاء في العدد ١٣ - الذي يقول : لأنني سمعت مذمة من كثيرين الخوف
مستدير بي بمؤامراتهم معاً على . تفكروا في أخذ نفسي - هو الذي ساعد
متى أن يصوغ روايته في ٢٦ : ٣ - ٤ ، عن مؤامرة مجمع
السهدرين » (٦٤) .

فلقد قال متى : « حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ
الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا . وتشاوروا لكي يمسكوا
يسوع بمكر ويقتلوه » .

كذلك اقتبس من هذا المزمور مرقس في ١٥ : ٣٧ ، ولوقا في ٢٣ :
٤٦ ، واقتبس غيرهما من كتبة أسفار العهد الجديد .

*

يبدأ المزمور (في الفقرة ١) - بدعاء من العبد الصالح - أو المسيح -
يرجو الله فيه أن يجنبه شرور المؤامرة التي تحاك ضده ، وهي مؤامرة تبغى
قتله وأخذ نفسه (الفقرة ٣) - يزعجها أشرار يدعو عليهم بالموت والهلاك
(الفقرة ٥) .

وتقرر هذه الفقرة ومعها الفقرة ٤ - شيئا هاما وهو أنه لو نجحت مؤامراتهم لنجزى العبد الصالح مدى الدهر .

ومن عجب أن الذين يؤمنون بنجاح المؤامرة ضد المسيح فيقولون أنه قد قبض عليه وأهين وقتل على الصليب ومات لم يجعلوه ينجزى أبد الدهر فقط - على عكس ما كان يرجو المسيح ويتبذل إلى الله ألا يكون ، كما يقول المزمور - بل أنهم زادوا الأمر سوءا فجعلوه لعنة كذلك أبد الدهر - كما يقول بولس ويعلم في رسائله :

« المسيح أفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كمل من علق على خشبة - غلاطية ٣ : ١٣ »

وتقرر الفقرتان ٢ ، ٦ نجاة العبد الفرح الذي افتداه الله ونظر إليه فاستجاب دعاءه وخلصه من أعدائه ومنعهم من القبض عليه ، وهو الشيء الذي لو تم لكان الله قد حبسه في يد العدو ، لكن الله خلصه بطريقة عجيبة إذ أقام في الرحب رجله وستره بستر وجهه من مكاييد الناس وأخفاء في مظلمته من مخاصميه .

ان هذا يعنى أن الله قد رفع المسيح إليه قبل أن يتمكن منه أعداؤه ، رفعه في خفاء إلى وتركهم يتخبطون ، فكان ذلك رحمة من الله له وأمرًا عجبًا .

وتشير الفقرة ٣ إلى ما حدث حين جاءت قوة الظلم للقبض على المسيح فقد تركه التلاميذ كلهم وهربوا فتحقق فيهم قول المزمور أنه صار رعبا لمعارفه ، أولئك الذين فروا من مصاحبته . ومن قول المزمور :

في يدك أستودع روحي - في يدك آجالى - أنا قلت في حيرتى قد انتقطعت من قدام عينيك - نتبين من هذا كله حالة اليأس والانهيار التي عاناها المسيح ووصفها الإنجيل بقوله « وإذ كان في جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عرقه كتقطرات دم نازلة على الأرض » وكان يقول في صلاته :

« إن أمكن فلتعبر غني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

وفي مواضع المحن القاسية التي تدفع بالناس - على تفاوت بينهم - إلى اليأس أو تكاد فإنهم لا يملكون سوى التسليم لمشيئة الله واستيذاع أرواحهم التي لا يملكون من أمرها شيئا - فكل هذه الأقوال وما يشابهها إنما هي تحصيل حاصل .

لقد استيأس المسيح وظن أنه قد ضيع ولكن ما لبث أن جاءه نصر الله ، فنجى وحفظ .

إن تلك هي خلاصة الزمور التي يكفى أن نوردها على لسان المسيح في قوله : « لكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت إليك » .

مما سبق نتبين أن هذا الزمور نبوءة برفع المسيح ونجاته من القتل .

المزامير ٣٤ ، ٣٥ ، ٤١

لقد سبق أن تعرضنا لهذه المزامير عند الكلام عن « شهادات العهد القديم » * وتبين لنا أنها جميعا قد تنبأت بنجاة المسيح ، ذلك العبد الصالح الذي « صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه »

لأنه « في يوم الشر ينجيه الرب . . يحفظه ويحييه . يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه » .

أما أعداؤه الذين فغروا عليه أفواههم فقد خزوا ، وأما دليلهم يهوذا الخائن رجل سلامته الذي كم وثق به من قبل ، فقد تنكر له ورفع عليه عقبه . من أجل ذلك أتته التهلكة وهو لا يعلم ونشبت به الشبكة التي أخفاها .

لقد حاول يهوذا ، أن يسوق سيده للصلب فصلب هو ، لأن « الشر يميت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون »

ولبعد التاريء إلى قراءة هذه المزامير بالتفصيل ، فلن يخرج منها بغير
هذه الخلاصة اللى نذكرها هنا بهذا التركيز .

* * *

المزمور ١٠٩

١ - « يا إله تسبيحى لا تسكت لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم
الغش . تكلموا معى بلسان بكلام بغض أحاطوا بي وقاتلونى بلا سبب .
بدل محبى بخاصمونى . أما أنا فصلاة .

٢ - فأقم أنت عليك شريرا وليقف شيطان عن يمينه .

إذا حوكم فليخرج مذنباً .

وصلاته فلتكن خطية لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . ليكون
بنوه أيتاما وامراته أرملة .

٣ - من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفتيرا
والمسحق القلب ليمينه .

وأحب اللعنة فأتته . . ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخات كياه فى
حشاه وكزيت فى عظامه . .

٤ - هذه أجسرة مبغضى من عند الرب وأجرة المتكلمين شرأ
على نفسى .

٥ - أما أنت يا رب السيد فاصنع معى من أجل اسمك . لأن رحمتك
طيبة نجى .

فإنى فقير ومسكين أنا وقلبى مجروح فى داخلى . . وأنا صرت عارا
عندهم . أعنى يا رب الهى خلصنى حسب رحمتك وليعلموا أن هذه هى
يدك يا رب فعلت هذا . .

٦ - قاموا وخزوا أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائى خجلا وليتعطفوا
بخزيهم كالرداء .

٧ - أحمد الرب جدا بقمى وفى وسط كثيرين أسبحة .
لأنه يقوم عن يمين المستكين ليخلصه من القاضين على نفسه » .

*

لقد قرر بطرس أن الشرير الذى يتكلم عنه هذا المزمور هو يهوذا الخائن . فلقد سجل لوقا ذلك فى سفر أعمال الرسل حيث قال على لسان بطرس « لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر - ١ : ٢٠ »

وبذلك يتقرر أن المسيح هو العبد الصالح الذى يتضرع إلى الله ليخلصه من شر ذلك المتآمر ، وكما يقرر هذا أيضا العلماء (٦٥) الذين يرون أن ما يقوله - مرقس عن المسيح فى ١٤ : ٥٧ - ٥٩ إنما هو صدق لما جاء فى هذا المزمور ١٠٩ : ٢ - ٥ (الفقرة ١)

*

ونجد فى مقدمة هذا المزمور (الفقرة ١) - أن المسيح يرجو الله ألا يسكت ، فلا بد من اجراء مضاد لما يقوم به أعداؤه الأشرار .

ثم يصب المسيح اللعنات (فى الفقرة ٢) - على ذلك الشرير الذى قرر بطرس أنه يهوذا الخائن - وهى لعنات وإن أخذت صورة دعاء ، إلا أن الفقرة ٤ - تقرر بالإضافة إلى ما قاله بطرس - أن هذا الدعاء يعتبر تقريراً لواقع لا بد أن يكون ، وأن يؤخذ كحقيقة لا بد أن تقع .

فهذه الفقرة تقول : هذه أجرة مبغضى من عند الرب وأجرة المتكلمين شراً على نفسى . ومن هذا نتبين أن ذلك الشرير سيعرض المحاكمة يدان فيها ويحكم عليه بما يقوده للهلاك .

والذى يرجع إلى ما روته الأناجيل عن المحاكمة - وقد ذكرناه بشئء من التفصيل * نجد أن قصة المحاكمة قد حدث فيها اضطراب عظيم . ويكفى

(٦٥) المرجع ٦ - ص ٤٠٦

(*) راجع الصفحات ١٤٩ وما بعدها .

أن نتذكر رواية لوقا التي تجعل المصلوب يقضى ليلة التبش عليه بين
العسكر يستهزئون به ، وفي الصباح يماكم مرة أمام هيرودس وأخرى أمام
الكهنوت اليهودي وثالثة أمام بيلاطس . بينما روى الآخرون تعرض
المصلوب لمحاكتين .

أولاهما نحو منتصف ليلة القبض عليه أمام الكهنوت اليهودي والثانية
أمام بيلاطس في الصباح .

وعلى كل فلقد كانت نتيجة المحاكمة أمام رؤساء الكهنة والشيوخ -
هي التي أدت بالمقبوض عليه إلى الموت - إذ اعتبرته مذنباً . فقد « أجابوا
وقالوا أنه مستوجب الموت - متى ٢٦ : ٦٦ » .

ولكي تتحقق لعنات الفقرة الثانية كاملة في يهوذا فلا بد أن يتعرض للآتي :

(أ) محاكمة تنتهي باعتباره مذنباً : « إذا حوكم فليخرج مذنباً » .

(ب) وبسبب إدانته فإنه يستوجب الموت : « ليكون بنوه أيتاما

وامرأته أرملة » .

(ح) وحين يستشعر هلاكه ويصلى لله من أجل أن يغفر له حماقته وذنوبه

فان صلاته لن تقبل ، وإنما ترد عليه اثماً : « وصلاته فلتكن خطية » .

(د) ولأنه « أحب اللعنة فأنته ولبس اللعنة مثل ثوبه ، فدخلت كميته

في حشاه وكريت في عظامه » فلا بد أن يصلب إذ الكتاب يقول : « المعلق

(على الخشبة) ملعون من الله - تثنيه ٢١ : ٢٣ »

(هـ) وأخيراً فان هذا المصلوب الملعون يعلق بين شياطين الإنس من

الأئمة والمجرمين : (ليقم شيطان عن يمينه) .

ولقد كانت هذه المواقف هي التي تعرض لها المصلوب فعلا في الأناجيل .

إن هذا وحده يكفي للقول بأن المصلوب هو يهوذا الخائن ذلك الذي

(لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا والمنسحق القلب

ليمته » (الفقرة ٣) . ويجب أن نلاحظ أن جريمة يهوذا هي أنه أراد أن

يميت المسيح - كما يستدل على ذلك من قوله :

٥ لحيته - الشيء الذى يمكن أن يعطى معنى آخر ، لو كان المزمور قد قال : فأماته .

على أن الفقرة ٦ تبشر بخلص المسيح من مؤامرة الأشرار الذين يرد عليهم شرهم فيخزوا .

أما الفقرة السابعة والأخيرة فإنها تحسم الموقف نهائيا إذ تؤكد فشل مؤامرة قتل المسيح لأن الله «يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه» .

المزمور ٣٧

١ - الشريير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه . الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت .

٢ - الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير ، لقتل المستقيم طريقهم .

سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر ..

٣ - الشريير يراقب الصديق محاولا أن يميته . الرب لا يتركه ولا يحكم عليه عند محاكمته .

٤ - انتظر الرب واحفظ طريقه فرفعك لترث الأرض . إلى انقراض الأشرار تنظر .

خلص الصديقين فن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق . ويعينهم الرب وينجيهم .

يتقدمهم من الأشرار ويخلصهم لأنهم احتموا به «

*

يعتبر هذا المزمور - الذى ألمح إليه متى فى ٥ : ٥ - من أوضح المزامير التى تنبأ بهلاك يهوذا صلبا بعد نجاته المسيح من المؤامرة التى تزعمها ضده :

فحسب تفكير الشرير يهوذا بالشر على المسيح الصديق (الفقرة ١)
سخر منه الرب لأن تلك المؤامرة ستعجل بيوم يهوذا .

ولقد بدأ يهوذا مؤامره بمراقبة تحركات المسيح « محاولا أن يميته »
وذلك لتمكين قوة الظلم من القبض عليه ، وتلفيق ألهم إليه ثم إدانته وقلته
— وإذا بهذا الشر كله ينتقل على يهوذا (الفقرة ٢) — لقد ارتد السيف
الذى أراد به يهوذا أن يقتل المسيح إلى صدر يهوذا نفسه ، وتحطمت
الأقواس التي صوبت تجاه المسيح .

إن السيف وسيلة قتل ، ولما كانت وسيلة قتل المجرمين تحت حكم
الرومان آنذاك تركز في الصليب فإن معنى هذا أن الصليب الذى أراده
يهوذا للمسيح سيكون من نصيبه هو ، وأن ذلك المقبوض عليه الذى
أجمعت الأناجيل على قتله معلقا فوق خشبة الصليب إنما كان يهوذا الخائن .

وبعد أن قررت الفقرة ١ فشل المؤامرة ، وأوضحت الفقرة ٢ أن
ما كان متوقعا من صلب للمسيح سيكون من نصيب يهوذا ، فإن الفقرة
الرابعة والأخيرة قد أكدت هذه المفاهيم جميعا ، تلك التي تتمثل في نجاة
المسيح في زمن الضيق إذ يرفعه الله « وإلى انقراض الأشرار ينظر » .

وبالإضافة الى ذلك — فإن الفقرة ٣ تقول قولاً يستوقف النظر ، فهي
تقرر أن الرب لا يتركه في يده « ولا يحكم عليه عند محاكمته » .

إن الشطر الأول من هذا القول يعنى فشل عملية القبض على المسيح ، فتلك
هى الحالة الوحيدة التي يتقرر فيها أن الله لم يترك لم المسيح في يديه يهوذا وعصابته .

وأما شطره الثانى الذى يقرر أن الله لا يحكم على المسيح عند محاكمته ،
فإنه لا يمكن أن يتفق مع ما ترويه الأناجيل عن المحاكمة إلا في حالة واحدة
فقط وهى : أن يكون ذلك الشخص الذى تعرض لتلك المحاكمات ثم حكم
عليه وقتل ، إنما كان في الحقيقة شخصا آخر غير المسيح .

بلى أن تلك هى الحالة الوحيدة التي تسمح بتحقيق تنبؤات المزامير
عن المحاكمة . فلقد رأينا المزمور ١٠٩ يتنبأ بالحكم على يهوذا فيقول : « إذا

حوكم فليخرج مذنباً ، وها هو المزمور ٣٧ يتنبأ بعدم الحكم على المسيح في المحاكمة التي تعتقد ضده فيقول : « ولا يحكم عليه عند محاكمته »

والحكم هنا يعنى الإدانة مشفوعة بالتنفيذ ، فهو حكم يعنى القتل ، إذ أن ذلك ما يقوله الإنجيل .

فبعد ما جاءوا بالمقبوض عليه من عند قيافا رئيس الكهنة إلى دار الولاية « خرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟

أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك .

فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم .

فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً — يوحنا ١٨ :

٢٩ — ٣١ »

إن الحكم يعنى القتل ما فى ذلك شك ، وإن هذه النتيجة — بالإضافة إلى ما سبق — تحتم نجاة المسيح من القتل ، كما تحتم فى الوقت نفسه ادانة يهوذا وقتله .

المزمور ٦٩

١ — « خلصنى يا الله لأن المياه قد دخلت الى نفسى — غرقت فى حمأة عميقة وليس مفر . دخلت الى أعماق المياه والسيل غمرنى . تعبت من صراخى . يبس حلقى . كلت عيناى من انتظار الهى .

أكثر من شعر رأسى الذين يبغضونى بلا سبب . اعز مستهلكى أعدائى ظالما ، حينئذ وددت الذى لم أخطفه .

٢ — يا الله أنت عرفت حماقى ، وذنوبى عنك لم تخف . لا يخزبى منتظروك يا سيد رب الجنود .

لا ينجل بني ملتسوك يا اله اسرائيل . لأنى من أجلك احتملت العار .
غطى الحجل وجهى .

صرت أجنبياً عند اخوتى وغريباً عند بنى أمى . لأن غيرة بيتك أكلتنى
وتعيرات معيريك وقعت على .

وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على . جعلت لباسى مسحاً
وصرت لهم مثلاً . يتكلم فى الجالسون فى الباب وأغانى شرابى المسكر .

٣ - أما أنا فلك صلاتى يا رب فى وقت رضى يا الله بكثرة رحمتك
استجب لى بحق خلاصك .

نجنى من الطين فلا أغرق نجنى من مبغضى ومن أعماق المياه .. لا يتلغنى
العمق ولا تطبق الهاوية على فاهى .

استجب لى يا رب لأن رحمتك صالحة ككثرة مراحمك التفت الى
ولا تحجب وجهك عن عبدك . . استجب لى سسريراً . اقرب الى
نفسى . فكها ..

٤ - انت عرفت عارى وخزى وخجلى قدامك جميع مضايقى العار
قد كسر قلبى فمرضت .

انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد . ويجعلون فى طعامى علقماً وفى
عطشى يسقونى خلا .

٥ - لتصر مائدتهم قدامهم فحوا وللآمنين شركاً . لتظلم عيونهم عن
البصر وقاتل متونهم دائماً ..

لأن الذى ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون .
اجعل اثماً على أثمهم ولا يدخاوا فى برك .

٦ - أما أنا فمسكين وكثير . خلاصك يا الله فليرفعنى .. يرى ذلك
الودعاء فيفرحون .

وتحيا قلوبكم يا طالبى الله لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه ،
تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها .

تشتمل دراسة هذا المزمور واستخداماته في أسفار العهد الجديد ، على دراسة أربعة جوانب رئيسية ، نعرض لكل منها بالتقدير الذي يمكننا من الوصول الى مواقف محددة ، وفق التسلسل الآتى :

أولاً : التراجم القديمة والحديثة لهذا المزمور ونصوصها المختلفة : تختلف أغلب نصوص الترجمة القديمة لهذا المزمور - وهى التى نقلناها آنفاً - عن نظيرها فى الترجمة الحديثة (٦٦) ، وذلك فى مواضع هامة وكثيرة ، الأمر الذى يجعلنا فى شك من حقيقة نصوصه الأصلية التى نطق بها قائله . وفيما يلي بيان مقارنة لبعض النصوص المختلفة فى كلا الترجمتين : القديمة والحديثة ، مسبوقة بإعدادها التى رقت بها .

والمرجو أن يلاحظ القارىء اختلاف زمن الفعل بين الماضى والمضارع فى كلا الترجمتين :

| الترجمة الحديثة | الترجمة القديمة |
|------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------|
| ٥ - أكثر من مقدرتى الذين يتهمون على حينئذ رددت الذى لم أخطئته . | ٤ - اعتر مسهلكنى أعدائى ظلما |
| ٨ - لأجلك أعانى التوبيخ الساخر | ٧ - لأنى من أجلك احتملت العار |
| ١٠ - والسخرية منك تقع على | ٩ - وتعبيرات معيريك وقعت على |
| ١١ - عند ما ابتلى بصوم نفسى يجعلون سخرية منى | ١٠ - وأبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على |
| ١٢ - عند ما ألبس مسحا فى حداد - يجعلونى مضغة فى أفواههم لهم مثلا | ١١ - جعلت لباسى مسحا وصرت |
| ٢٢ - أعطونى لطعامى سما فى عطشى ستونى خلا * | ٢١ - ويجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يستونى خلا |
| ٢٧ - لأنهم يضطهدون الذى ضربته يزيدون وجع الذين جرحتهم . | ٢٥ - لأن الذى ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون |

إن اختلاف الترجمتين واضح ، ولأشك أن الأعداد ٥ ، ١١ ، ١٢ من الترجمة الحديثة تعطى معانى أوضح من نظيرها فى الترجمة القديمة .
على أن أهم هذه الاختلافات هو ما كان فى العدد ٢١ من الترجمة القديمة ، تلك التى استشهد بها كتبة الأناجيل فى تسليطهم لخاتمة قصة الصلب ، فإن له الآن معنى آخر يجعل الاستشهاد به على هذا النحو خاطئا .

*

وليس عجيبا أن تظهر بين الحين والحين تراجم مختلفة لأسفار العهد القديم فذلك شىء ارتبط بهذه الأسفار لعوامل كثيرة ليس هذا مجال الحديث عنها . ويكفيها هنا أن نذكر عددا محمدا من الأمثلة لما هو واقع من اختلافات بين ترجمة أسفار العهد القديم المعتادة — التى ننقل عنها فى هذا الكتاب — وبين التراجم الأخرى (٦٧) .

مسلسل الترجمة المعتادة (القديمة) التراجم الأخرى (الحديثة)

- ١ « وقال شاول للرب إله اسرائيل » وقال شاول للرب إله اسرائيل :
هب صدقا . لماذا لم تجب عبدك اليوم . إذا كان
فأخذ يونانان وشاول أما الشعب الذنب فى أوفى يونانان ابنى ، يارب
فخرجوا — صموئيل الأول ١٤ : ٤١ إله اسرائيل اعط اوريم ، ولكن إذا كان
الذنب فى شعبك اسرائيل اعط ثميم
(من أدوات القرعة)
فأخذ يونانان وشاول أما الشعب فخرجوا
- ٢ « باطنهم أن بيوتهم الى الأبد » قبورهم هى بيوتهم
مساكنهم إلى دور فدرور — مزموور ومساكنهم إلى دور فدور «
« ١١ : ٤٩ »
- ٣ « هل تركض الخيل على الصخر » هل تركض الخيل على الصخر
أويحترث عليه بالبقر — عاموس ٦ : ١٢ « أو يحترث الثيران فى البحر »

(٦٧) راجع كتاب المؤلف : فلسطين بين الحقائق والاباطيل — الفصل

الأول : أسفار العهد القديم ، وخاصة الصفحات ٢٩ — ٣٢

ويلاحظ في هذه الأمثلة أيضاً أن التراجم المختلفة ، تعطى معاني واضحة ومقبولة غير تلك التي تعطيها الترجمة المعتادة .

*

ثانياً - شهادات المزمور : استخدم كاتب انجيل يوحنا هذا المزمور صراحة في ٢: ١٧ ، ١٥: ٢٥ ، ١٩: ٢٨ ، حيث قدم لما اقتبسه منه بالأقوال التالية على الترتيب : « فنذكر تلاميذه أنه مكتوب » - « لكى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم » - « لكى يتم الكتاب » .
وكذلك اقتبس من هذا المزمور فى : مرقس ١٥: ٣٦ ، ومتى ٢٧: ٣٤ ورومية ١٥: ٣ .

ولقد حدثت أخطاء فى الاستشهاد بهذا المزمور ، كما يتبين من الآتى :
١ - يقول انجيل يوحنا « أما الآن فقد روا وأبغضونى أنا وأبى لكن لكى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب - ١٥: ٢٤-٢٥ »
ومن المعلوم أن أسفار العهد القديم تتكون من : الناموس والأنبياء والكتب - ويعتبر سفر المزامير واحداً من مكونات هذه الأخيرة . وعلى ذلك فإن الإشارة الى مكونات العهد القديم لا يمكن أن تعدى ما يرويه لوقا عن المسيح فى نهاية انجيله : « لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير - ٢٤: ٤٤ » .

ولما كان من المصطلح عليه أن ناموس موسى يتكون من الأسفار الخمسة الأولى التى تنصدر العهد القديم - وان كان الناموس فى حقيقة لا يمثل الا جزءاً ضئيلاً جداً من تلك الأسفار - صار من الواضح أن الناموس شئ والمزامير شئ آخر ، وأنه لا يمكن الخلط بينهما مهما كانت الأسباب .
ولقد ورد الكلام عن « البغض بلا سبب » فى موضعين من سفر المزامير هما :

« لا يشمت بى الذى هم اعدائى باطلا ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونى بلا سبب - ٣٥: ١٩ » .

« أكثر من شعر رأسى الذين يبغضونى بلا سبب - ٦٩: ٤ » .
ومما سبق جميعه يتضح أن كاتب انجيل يوحنا قد اخطأ حين قال ما قاله

في ٢٥:١٩ ، إذ أن « البغض بلا سبب » مكتوب في المزامير وليس في الناموس .

ويفكرنا هذا الخطأ بنظير له وقع فيه كاتب انجيل متى — وقد أشرنا اليه من قبل — حين تكلم عن « الثلاثين من الفضة » ثمن خيانة يهوذا وحقل الفخاري واعتبرها نبؤة من سفر إرميا (متى ٢٧:٩) ، بينها لا يمكن أن إرجاع هذا القول الا لسفر زكريا ١١:١٢-١٣ .

٢ — يتفق العلماء على أن ما اقتبسه يوحنا في ٢٥:١٥ عند الكلام عن « البغض بلا سبب » قد جاء من المزمور ٦٩ ، وليس من المزمور ٣٥ كما سبق أن ذكرناه .

وهذا يعني أنه قد حدث خطأ آخر — في الموضوع — كما سبق أن حدث خطأ في الشكل ، أي في الأطار العام .

ذلك أن المزمور ٣٥ يقول : « لا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب » ، بينما يقول المزمور ٦٩ : « أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب » .

فالحالة الأولى — كما في المزمور ٣٥ — تتكلم عن الذين يبغضونه بلا سبب ، وهم عدد من الأفراد يمكن أن يصل مجموعهم الى ثلاثة فأكثر ، أما الحالة الثانية — من المزمور ٦٩ — فإنها تقرر أن أولئك الذين يبغضونه بلا سبب ، انما هم جمع كثير جداً ، يزيدون في تعدادهم عن شعر رأسه الذي يصل في المعتاد الى بضعة مئات الألوف .

إن المتحدث — في المزمور ٦٩ — الذي يبغضه كثيرون جداً ، يزيد تعدادهم عن شعر رأسه لا يمكن أن يكون هو المسيح الذي تحدثنا الأناجيل عن شعبيته وتعلق الجاهل به ، كما يظهر من شواهد كثيرة منها :

(١) منذ أول يوم في دعوته « كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب .

فذاع خبره في جميع سورية فأحضروا إليه جميع الستماء المصابين بأمراض
وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمنلوجين فشفاهم .

فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن
عبر الأردن - متى ٢٣: ٤ - ٢٥ »

« وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى ويعلم في مجامعها ويكرز
بشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب ولما رأى الجموع
تحزن عليهم اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها .

حينئذ قال لتلاميذه العحصاء كثير ولكن النعلة قليون - متى ٩: ٣٥ - ٣٧ .

(ب) « بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل .. وتبعه جمع كثير
لأنهم أبصروا آياته .. فقال يسوع اجعلوا الناس يتكثرون .. فانكأ الرجال
وعدددهم نحو خمسة آلاف . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ
والتلاميذ أعطوا المتكئين .. فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا
ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم .

وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا
انصرف أيضاً إلى الجبل وحده - يوحنا ٦: ١ - ١٥ » .

« ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية
من عبر الأردن . وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك - متى ١٩: ١ - ٢ » .

(ج) « وفي دخوله الأخير لأورشليم « كثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق
وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق . والذين تقدموا
والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا . مبارك الآتي باسم الرب .
مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب - مرقس ١١: ٨ - ١٠ » .

(د) « ولقد كانت هذه الشعبية التي أكتسبها المسيح بين الجماهير هي
التي جعلت الكهنة اليهودي لا يستطيع الصدام به علانية ، ولذلك عمد إلى التآمر
في الخفاء :

« وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين وكان رؤساء الكهنة والكتبة
يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا
يكون شغب في الشعب - مرقس ١٤: ١ - ٢ »

من ذلك نبين أن ما استشهد به كاتب الإنجيل يوحنا من المزامير، عن الذين يبغضون المسيح بلا سبب لا يمكن أن يتفق مع ما جاء في المزمور ٦٩ لكنه يستطيع التآلف فقط مع ما في المزمور ٣٥ .

٣ - يقول إنجيل مرقس أنه جرت محاولتان لسقي المقبوض عليه ، حدثت أولاهما بعد أن « جاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيرة جمجمة وأعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل - ١٥ : ٢٢-٢٣ » .

وأما الثانية فكانت بعد أن صلبوه ثم أطلق صرخة اليأس على الصليب وأنداك « ركض واحد وملاً أسفنجة خلا وجعلها على قصبه وسقاه - ١٤ : ٣٦ » .

وقد نقل متى عن مرقس هذا إلا أنه اختلف معه فيما قدم للمقبوض عليه عند المحاولة الأولى في تل الأعدام (موضع جمجمة) فهو يقول : « ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة .. أعطوه خلا ممزوجة بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب - ٢٧ : ٣٣-٣٤ » .

فذلك المشروب الذي كان في مرقس : « خمراً ممزوجة بمر » - تحول في متى إلى مشروب آخر مختلف ، إذ كان « خلا ممزوجة بمرارة » . فكما أن الخمر شيء والخل شيء آخر فكذلك الحال بين المر والمرارة .

أما كاتب إنجيل يوحنا فإنه لم يعلم شيئاً عن محاولة السقي الأولى - ولذلك تكلم عن المحاولة الثانية فقال : « بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل فلحى يتم الكتاب قال أنا عطشان وكان أناء موضوعاً مملوءاً خلا فملأوا اسفنجة من الخلل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه . فلما أخذ يسوع الخلل قال قد أكل - ١٩ : ٢٨-٣٠ » .

فعلى الرغم من أنه اتفق مع مرقس ومتى في نجاح المحاولة الثانية في سقي المصلوب خلا ، وتأكيده على أن ذلك تنمة لما قاله الكتاب - الذي اصطلح على أنه المزمور ٦٩ - إلا أنه اختلف معها أيضاً في شخصية الساقى . فبينما يخبرنا كل من مرقس ومتى أن الساقى كان فرداً ، وذلك من قوله : « ركض واحد وملاً أسفنجة .. وسقاه » - نجد يوحنا يخبرنا ان الساقى كان جمعا ، فهو يقول : « ملأوا اسفنجة .. وقدموها الى فمه » .

أما لو قأ فيكفنى بذكر الخل عابراً عند الكلام عن سخرية الجنود من المصلوب ، فيقول : « والجند أيضاً استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلا . قائلين ان كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك . » - ٣٦:٢٣-٣٧ .

لقد حدث اضطراب في قصة سقى المصلوب خلا . وإذا أخذنا بما في الترجمة الأخرى للمزمور ٦٩ ، التي اصطلحنا على تسميتها بالترجمة الحديثة ، والتي تقول :

« أعطوني لطعامي سما . في عطشي سقونني خلا » يتضح لنا على الفور إستحالة تطبيق هذه الفقرة على المصلوب حرفياً ، كما فعل كتبة الأناجيل بالنسبة لما ذكروه عن سقى الخل .

ذلك أن الذي يعطى لطعامه سما ، لا يلبث أن يموت بالسم وليس بالصلب . وهذا يعني أن أقصى ما يمكن استخراجه من هذه الفقرة أنها تعبر عن الألم والمرارة والحمة ، وكلها أشياء يتعرض لها العبد الصالح كما يتعرض لها العبد الفاجر .

*

ثالثاً - المزمور وشخصية الداعى : نستطيع أن نحدد نوعية الداعى ومن ثم شخصيته ثم في سهولة ويسر ، بملاحظة الآتى :

(أ) يبدأ الداعى في هذه المزمور بطلب الخلاص من الله (الفقرة ١) فهو قد تعرض لمحنة قاسية ، أوردته موارد اليأس حتى كلت عيناه من انتظار الهه . ثم يعترف ذلك الداعى في مقدمة الفقرة ٢ بأنه عبد أحمق خاطيء ، يعلم الله حماقته وذنوبه التي ارتكب منها ما يجعله مصدر خزي وعار للشعب الذي ينتسب اليه . وهو لذلك يسأل الله المعذرة ليس من أجل صلاحه - الذي فقده - بل من أجل أولئك الذين ينتظرون رب الجنود ويلتمسون إله اسرائيل .

والذي يعلمه كل الناس من أسفار العهد الجديد ، أن المسيح أبعد مايكون عن صفات الحماسة وارتكاب الخطايا والذنوب .

فهو الذى يتكلم عن نفسه فى الإنجيل فيقول : « أنا هو الراعى الصالح .
- يوحنا ١٠: ١١ » .

وفى مشادة خمائية بين الكهنوت اليهودى وذلك الذى رد إليه المسيح
بصره بعد أن كان أعمى منذ ولادته ، نجده يدافع عن المسيح ويقول :
« نعلم أن الله لا يسمع للخطاة . ولكن ان كان أحد يتق الله ويفعل مشيئته
فلهذا يسمع - يوحنا ٩: ٣١ » .

ثم ها هو بطرس يرى المسيح من كل خطية فيقول : « الذى لم يفعل
خطية ولا وجد فى فمه مكر - ١ بطرس ٢: ٢٢ » .

لم يبق بعد هذا مجال لمن يريد أن يتلمس للمسيح من الخطايا والحقائق
ما يصوره لنا على أنه ذلك العبد الذى يدعو الله فى هذا المزمور فلو ، فعل
هذا لهدم الكتاب المقدس كله ، وهدم كل منطق ودين .

تلك حقيقة أولية لا يمكن الهروب من مواجهتها ، وهى حقيقة تزيدها
بقية المزمور أيضاحا .

*

(ب) فمن الملاحظ أن هذا العبد الداعى يرجو أن يستجاب له بكثرة
مراحم الله ، ورحمته الواسعة . ونظراً لأنه عبد خاطيء فهو يرجو أن تكون
صلاته فى وقت رضى من الله ، فآنذاك فقط يمكن أن تسمع صلاته . ان
عدل الله يرى فى أوقات الرضى والغضب ، وأما رحمته فترى فى وقت
الرضى ، ولله فى دهره نفحات . لهذا يحجم العبد المتضرع عن طلب
المعاملة بالعدل نظير بره وكماله ، لأنه صار أحق خاطئاً ، فقد كل
بر وكمال ، ولم يعد يملك من ذلك سوى ذكرى لما كان من صلاحه السابق ،
قبل أن ينزلق إلى الحماقة وتزل قدمه بالخطيئة وهو يستخدم تلك الذكرى فى
صلاته لعلها تشفع له فيقول : « غيرة بيتك أكلتني وتعبيرات معبيريك
وقعت على » .

ومنذ بدأ المسيح دعوته واختار تلاميذه فإنه أوصاهم بتحمل التعبير
والأذى فى سبيل الدعوة . فقد « رفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها

المساكين لأن لكم ملكوت الله .. طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم - لوقا ٦: ٢٠-٢٢ .

(ج) وهيات أن يقارن هذا العبد الخاطيء الذى لا يجد ما يتعلق به سوى رحمة الله بذلك العبد الصالح الواثق من نفسه وبره والذى يثق أن عدل الله كغليل أن ينجيه - ولهذا يقول :

« أحمد الرب بكل قلبى . أحدث بجميع عجائبك :

لأنك أقت حقى ودعواى جلست على الكرسي قاضيا عادلا .. أهلك الشرير .

معروف هو الرب . قضاء أمضى الشرير يعلق بعمل يديه - مزمو ٩ .

« أرسل من العلى فأنتدنى .. أخرجنى إلى الرحب . خلصنى لأنه

سرى . يكافئى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى يرد لى .

لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لأن جميع أحكامه أمامى وفرائضه لم أبعدها عن نفسى وأكون كاملا معه واتحفظ من أئمى فيرد الرب لى كبرى وكطهارة يدى أمام عينيه - مزمو ١٨ .

« ليستجب لك الرب فى يوم الضيق ..

ليذكر كل تقدماتك .. ليعطك حسب قلبك ويتمم كل رأيك ..

الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسة بجبروت

خلاص يمينه - مزمو ٢٠ .

(د) وفى ساعات الألم والضيق جرت العادة أن يدعو كل الناس -

الأخيار منهم والأشرار - على أعدائهم الذين أوقعهم فى تلك الآلام ،

أولئك الذين يحجمون عن مديد المعونة لهم وانتاذهم من محتهم :

بل ان الأناجيل لتذكر لنا أن المسيح دعا على شجرة التين - وهى

جماد مسخر - حين جاع وطلب منها ثمراً فلم يجد :

« وفى الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على

الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط :

فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة في الحال -
متى ١٨:٢١-١٩. »

ولذا نجد من الطبيعي أن يدعو ذلك العبد الخاطيء على أعدائه بالخراب
كما في الفقرة ٥

(هـ) لقد رأينا في مقدمة هذه الدراسة عن تنبؤات المزامير أنها
جمعت وبوبت على صور مختلفة اذ يتكون المزموران ٩ ، ١١٣ في النسخة
الاغريقية من جمع المزامير ٩، ١٠، ١١٤ - ١١٥ ، في النسخة العبرية على
الترتيب ، كذلك وجدنا أن المزمورين ١٣٦، ١٣٧ من النسخة العبرية يتكونان من
جمع المزامير ١١٤، ١١٥ - و ١٤٦ ، ١٤٧ في النسخة الاغريقية على الترتيب.

فإذا اعتبرنا أن الفقرة السادسة والآخرية من المزمور ٦٩ كانت تشكل
خاتمة المزمور الأصلي ، ولم تجمع عليه من هنا أو من هناك فانها لا تعنى
شيئا أكثر من تمنى النفس بالخلاص من المحنة التي اكتنفها بالإضافة إلى
أنها خاتمة صلاة تقليدية تقول أن الرب يسمع دعاء المساكين الذين يسبحونه
كما تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها .

ان المزامير تسبىح لله ودعاء وصلاة قبل أن تكون تنبؤات عن أحداث
المستقبل ، ولهذا كانت خاتمها التقليدية دائماً الثناء على الله والتسبىح بحمده .
بل ان واحداً من المزامير - وهو رقم ١١٧ - قد ابتداءً بتسبىح الله
وانتهى به ولم يقل شيئاً غير ذلك . وهذا نصه الكامل يقول :

« سبحوا الرب يا كل الأمم حمدوه يا كل الشعوب . لأن رحمته قد
قويت علينا ، وأمانة الرب إلى الدهر . هلهويا » .

★

رابعا - الخلاصة : من كل ماسبق نستطيع الوصول إلى النتائج التالية :

(١) أن الداعى في هذا المزمور هو شخص خاطيء أحقق ، ارتكب
حماقة جلب بها العار على نفسه وعلى شعبه الذي ينتمى إليه ، وأن شخصاً
هذا حاله - كما نطق به لسانه - لا يمكن أن يكون المسيح « البار » ،

« الصديق » « الراعى الصالح » ، « الذى لم يفعل خطية » والذى اشتهر بالكياسة والحكمة وبعد النظر ، فكان يبيكم الكهنوت اليهودى فى كل مرة يحاولون فيها اصطياده والاعثار به (متى ٢٢: ٣٤، ٤٦) وهو الذى ينصوص الكتاب والمنطق والتاريخ ، أبعد ما يكون عن الحماقة .

(ب) ولما كان كتبة الأناجيل قد استخدموا هذا المزمور فى تلوين أحداث الصليب فذكروا أن المصلوب تعرض للسخرية والخزى والتعبير وشرب الخمر ، وهى عناصر اشتمل عليها هذا المزمور - فان هذا يعنى إعترافا ضمنيا بأن المصلوب كان ذلك الخاطيء الأحمق الذى هو بالتأكيد شخص آخر غير المسيح .

وإذا أخذنا بما تقوله الترجمة الحديثة للمزمور عن إطعام ذلك العبد الخاطيء سما لطعامه لانفتت بذلك كل إمكانية لتطبيق هذا المزمور حرفيا على ما كان من أمر المصلوب كما حدث بالنسبة لما يقال عن سقيه الخمر تنمه للكتاب ، الذى يقصد به سفر المزامير .

(ج) لقد كان يهوذا الاسخريوطى واحداً من تلاميذ المسيح الذين تمتعوا بثقته وكان له وضع متميز فى تلك الجماعة الصغيرة إذ كان أميناً للصندوق (يوحنا ١٣: ٢٩) حتى إذا كان العشاء الأخير « غمس (المسيح) اللقمة وأعطها ليهوذا سمعان الأسخريوطى . فبعد اللقمة دخله الشيطان - يوحنا ١٣: ٢٦-٢٧ » .

لقد ارتكب يهوذا بخيائته غلطة العمر بل حماقة الدهر ، وصار بهذا مثل سوء فى العالمين . ولهذا تقول المزامير فى وصفه على لسان المسيح من قبل أن يخون ومن بعد ما خان :

« رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع على عقبه - مزمور ٤١: ٩ » .

« أنت إنسان عديلى النى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا العشرة .

إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور - مزمور ٥٥: ١٣-١٤ » .

ولهذا حين نجد الداعي يعترف لله - في المزمور ٦٥ - بحماقته وذنوبه ، ثم يطلب رحمته ويذكره بما كان من نشاطه السابق في الدعوة وما تحمله في سبيلها من أذى فيقول : « من أجلك احتمات العار .. غيرة بيتك أكلتني وتعيرات معيريك وقعت على » وكل هذه مواقف وأحداث رواها بصيغة الماضي - ندرك على الفور أن هذا الداعي كان من تلاميذ المسيح الذين شاركوه الأذى وتحملوا التعبير والاضطهاد .

وهو لا بد تلميذ أصابته الحماقة فخان ، وبذلك إنحدر من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، وقد حدث هذا كله قبل أقل من ٢٤ ساعة على حادثة الصلب .

إنه يهوذا الخائن ولا شك الذى يروى المزمور على لسانه قولاً صدقاً ، فيقول : « حينئذ رددت الذى لم أخطقه » .

وهو يهوذا الشرير الذى يقول فيه المزمور « الخاطف يجدف - يهين الرب . الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب .. يكمن ليخطف المسكين ١٠ : ٣ - ٩ » .

فلقد كان يهوذا يتآمر مع الكهنة لخطف سيده ، وهو قد سار فعلا في مؤامراته ففقد قوة الظلم وجاء بها إلى البستان ، وهناك حدثت أعاجيب تنطق بها المزامير على لسان المسيح :

« عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون قدام وجهك . لأنك أقت حقى ودعواى .. أهلكت الشرير .. العدو تم خرابه إلى الأبد .. مزمور ٩ : ٣ - ٦ » .

وهذا ما رواه يوحنا عندما حاولت قوة الظلم القبض على المسيح ، فقد « رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » .

ولقد كانت نجاة المسيح فى ذلك الظرف اليائس ، وبتلك الوسيلة العجيبة وهى رفعه إلى السماء وعدم القبض عليه ، إنما هى أمر عجب يقول فيه المسيح :

« مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً ، رحمته لى فى مدينة محصنة .
وأنا قلت فى حيرتى أنى قد انقطعت من قدام عينيك ولكنك سمعت
صوت تضرعى إذ صرخت اليك - مزمو ر ٣١ : ٢١ - ٢٢ » .
لقد أجب ر يهوذا فعلا على رد المسيح الذى تحطمت المؤامرة لخطفه .

★

وبعد - فلا نظن أحداً يشك فى أن خلاصة النتائج تقول بنبجاة المسيح
وقتل يهوذا بدلا منه .

★ ★ ★

المزمور ٩١

« ١ - الساكن فى ستر العلى ، فى ظل القدير بيت . أقول للرب ملجأى
وحصنى الهى فاتكل عليه لأنه ينجيك من فخ الصيد ومن الوباء الخطر .
بجوافيه يظلك وتحت أجنحته تحتمى .

ترس ووجن حقه . لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى
النهار . ولا من وباء يسلك فى الدجى ، ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة .

٢ - يسقط عن جانبك ألف ، وربوات عن يمينك اليك لا يقرب إنما
بعينك تنظر وترى مجازاة الأشرار .

٣ - لأنك قلت : أنت يارب ملجأى جعلت العلى مسكنك لا يلاقيك
شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طررك على الأيدى
يحملونك لثلا تصدم بحجر رجلك . على الأسد والصل تظاً ، الشبل
والثعبان تدوس .

٤ - لأنه تعلق بى أنجيه أرفعه لأنه عرف إسمى يدعونى فاستجيب له .
معهُ أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » .

★

من المتفق عليه تماماً أن هذا الزمور يتكلم عن المسيح ، فقد كان هو الكتاب الذى أشير إليه فى تجربة المسيح من الشيطان ، قبل أن يبدأ دعوته . فقد « أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليحرب من إبليس .. فتقدم إليه المحرب .. ثم أخذه .. إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له أن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك - متى ٤ : ١-٦ » .

*

الحق أن هذا الزمور واضح لا يحتاج إلى شرح أو تعليق ، فكما أنه واضح فى التنبؤ عن المسيح بما لا يدع مجالاً لأى لبس أو احتمال آخر ، فإنه واضح كذلك فى سرد عناصر تلك النبوة وما تشمل عليه من أحداث . ويكفى أن يقرأه القارئ بمفرده مرة أو مرات ، أو يقرأه بمحاذاة إحدى تراجمه فى اللغات الأخرى ولتكن الانجليزية مثلاً - حتى يعلم يقيناً أن هذا هو زمور نجاة المسيح ورفعته ، أو بالأحرى هو زمور نجاة المسيح برفعه .

*

ان هذا الزمور يبدأ بالتأكيد على نجاة ذلك العبد الصالح - المسيح - الذى اتكل على الله فجعله ملجأه وحصنه ، لم يعتمد على قوى مادية أو بشرية ، بل اعتمد على الثقة فى الله والإيمان به ، ولهذا نجاه .

لقد رأينا الكهنوت اليهودى الذين هم « رؤساء الكهنة والكتبة كانوا يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه » .

وهذا الإمساك بمكره هو ما عبرت عنه المزامير فى صور مختلفة ، فقالت أنه :

تأمر : « قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه - ٢ : ٢ » .

موأمره : « ليسقطوا من موأمرتهم ، بكثرة ذنوبهم طوح بهم - ٣٣ - ٥ : ١٠ » .

هوة : « سقط في الهوة التي صنع - ١٥:٧ » .
حفرة وشبكة : « تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها . في الشبكة التي
أخفوها أنتشبت أرجلهم - ١٥:٩ » .

ثم هو عملية خطف : « حينئذ رددت الذي لم أخطفه - ٤:٦٩ » .
وتبين الفقرة ١ أن النجاة من كل ذلك التآمر ، تكون بالإقامة في المكان
المستور ، أو المكان الخفي - كما تقول الترجمة الانجليزية - فهناك تظلمه حجب
الله وخوافيه .

وحين تخرج المؤامرة من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ ، وتبدأ
قوة من جنود الظلم عملها ، محاولة القبض على المسيح ، فانها تسقط عن
يمينه وعن يساره .

وهذا ما قرره يوحنا فقال أنهم : « رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » .
وهذا ما يقوله المزمور : « يسقط عن جانبك ألف ، وربوات
عن يمينك » .

ذلك أن الألف والربوات (عشرة آلاف) تمثل وحدات من التنظيم
العسكري (عدد ١: ١-١٦) ، (صموئيل الأول ١٨ : ٧) .

وحسباً تنبأ به المزمور ، فإن تلك القوة تعجز عن القبض على المسيح :
« اليك لا يقرب » ذلك أنه في تلك اللحظة الحاسمة ، ينجي الله المسيح ،
الذي يرى بعينه آنذاك دليل القوة يهوذا الخائن وقد قبض عليه . لقد كان
ذلك هو جزاء الشرير الذي قضاه الله .

قضى أن يقبض عليه فيساق إلى الموت الذي لا مفر منه ، وهو
موت وسيلته الصليب .

أليس هذا ما يقوله المزمور ٩ : « الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق
بعمل يديه » .

وتوضح الفقرتان ٣ ، ٤ كيف تكون نجاة المسيح ، فنقول أنها بالسكن
في العلى حيث لا يلاقيه شر ولا تدنو منه ضربة ، ويتحقق هذا عن طريق
الملائكة التي تحمله على أيديها - فتلك مهمة قد عهد بها الله اليها .

ولما كان الإنجيل يذكر عن المسيح منذ أول يوم بدأ دعوته أنه قد « صارت الملائكة تخدمه - مرقس ١: ١٢ » .

كما يؤكد الإنجيل مرة أخرى على لسان المسيح قوله . « الحق أقول لكم . من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان - يوحنا ١: ٥١ » .

لهذا لم يعد هناك مفر من التسليم بأن قول المزمور . « يوصى ملائكته بك .. على الأيدي يحملونك هو تقرير حقيقي يؤخذ كما تنطق به كلماته ، وهو يعنى أداء عمل حقيقي لا رمز فيه ولا تشبيه .

لقد كادت أن تكتمل حلقات المؤامرة حول المسيح ، وهناك تلفت حوله فوجد سبل النجاة وقد تقطعت به . وفي ذلك الرعب والضيق اقترب منه اليأس ، فقال لسان حاله : « أنا قلت في حيرتي أنى قد انقطعت من قدم عينيك - مزمور ٣١: ٢٢ » - لكن الأمل في الخروج من المحنة سالماً كان أقوى . ولهذا جاشت نفسه بأن تمده العناية الإلهية بوسيلة انقاذ ، وقد تكون عجيبة إلا أنها قد تكون أيضاً الوسيلة الوحيدة التي تبدو النجاة بدونها مستحيلة - ولهذا قال : « ليت لي جناحا كالحمامة فأطير واستريح - مزمور ٥٥: ٦ » .

لقد تمنى المسيح أن يطير لينجو ، ثم قال الشطر الثاني من فقرة الحيرة واليأس ، أن ما تمناه قد تحقق فقال : « لكنك سمعت صوت تضرعى إذ صرخت اليك - مزمور ٣١: ٢٢ » .

وكانت وسيلة النجاة - أو الطيران - عن طريق الملائكة التي تحمله على أيديها فيطير ويستريح .

وأخيراً يؤكد المزمور في الفقرة الأخيرة ماسبق أن بدأ به في الفقرة الأولى ، وهو الاستجابة للمسيح الذي كان يدعو الله في الضيق ويقول : « أجز عنى هذه الكأس » .

إذ يقول المزمور : « معي أنا في الضيق » - ويترتب على هذا أن يستجيب له الله فينجيه يرفعه ، هنالك يمجده الله فلا يلحق به خزي أو عار ،

لأنه لو خذل الله دعاءه ، لخزى أبد الدهر . ان هذا مايقوله الزمرر على لسان المسيح . « لا تدعنى أخزى مدى الدهر . بعدلك نجنى .. يارب لا تدعنى أخزى لأنى دعوتك - ١٧-١:٣١ .

لقد كان المسيح يسأل الله النجاة والحياة الطويلة فاستجاب له ، ولهذا لم يخز ، بل تمجد .

وقال فيه الزمور : « حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد - ٤:٢١ » .

ذلك ما يؤكد هذا الزمور فى قوله : « من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » .

ومن البديهى أن المجد على التقيض تماما من اللعن ، فهذا الأخير لباس لكل من علق الخشبة وصلب ، وكان هذا لباسا لذلك الشرير - يهوذا - قضى الله عليه قضاء عدلا أن يعلق بعمل يديه .

*

حقا إن هذا الزمور نبؤة عن نجاة المسيح برفعه ، والقبض على يهوذا وصلبه .

المزمور ١١٨

« ١ - أحمدا الرب لأنه صالح ، لأن إلى الأبد رحمته .. ليقل متقو الرب أن إلى الأبد رحمته .

٢ - من الضيق دعوت الرب فاجابنى من الرحب .

الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الإنسان : الرب لى بين معينى .

وأنا سأرى باعدائى .

٣ - الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان . الاحتماء بالرب خير

من التوكل على الرؤساء . كل الأمم أحاطوا بى . باسم الرب أبيدهم . أحاطوا بى وأكتنفتونى باسم الرب أبيدهم أحاطوا بى مثل النحل . انطفأوا

كنار الشوك . باسم الرب أبيدهم .

- ٤ - دحرتنى دحوراً لأسقط ، أما الرب فعضدنى .
- ٥ - قوقى وترنمى الرب ، وقدصار لى خلاصا . صوت ترنم و خلاصا
فى خيام الصديقين يمين الرب صانعة بياس . يمين الرب مرتفعة . يمين
الرب صانعة بياس .
- ٦ - لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب . تأديبا أديبى الرب
وإلى الموت لم يسلمنى . افتحوا لى أبواب البر . ادخل فيها وأحمد الرب .
هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه . أحمده لك لأنك استجبت لى
وصرت لى خلاصا .
- ٧ - الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل
الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا .
- هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهم ونفرح فيه آه يارب خلص .
آه يارب أنقذ مبارك الأتى باسم الرب ..
أحمدوا الرب لأنه صالح ، لأن لى الأبد رحمته .

*

من المتفق عليه أيضاً أن هذا المزمور نبؤة عن المسيح وما كان من
أحداث فى ذلك اليوم المشهور يوم الضيق .

وقد نقل عنه المسيح فى تعليمه ، فقال للكهنوت اليهودى : « أما قرأتم
قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من
قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا .

لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره .
ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه - متى
٢١ : ٤٢ - ٤٤ . »

كذلك اقتبس كتبه أسفار العهد الجديد من هذا المزمور فى مواضع
كثيرة مثل : مرقس ١١ : ٩ ، ١٢ : ١٠ ، ومتى ٢٣ : ٣٩ ، ولوقا ١٣ : ٣٥ ،
ويوحنا ١٠ : ٢٤ ، وأعمال الرسل ٤ : ١١ ، و ١ بطرس ٢ : ٧ .

*

هذا - وبعد أن يبدأ المزمور بحمد الله (في الفقرة ١) ، نجد المسيح يتكلم عن يوم الضيق الذى دعا فيه الرب . وما كان ذلك إلا يوم تأمر الرؤساء - الكهنوت اليهودى - وطلبوا مساعدة الأمم - جند الرومان - وذهبوا للقبض على المسيح يتقدمهم يهوذا الخائن ، تمهيداً لقتله والتخلص منه . لقد أكتنفه كل هؤلاء واحاطوا به كالنحل ، لكن الله أذهب غيظ قلوبهم فانطفئوا وخدموا (الفقرة ٣) .

في ذلك اليوم بلغ الضيق بالمسيح مداه ، ولم يجد له من ملجأ سوى الله « فجثا على ركبتيه وصلى قائلاً : ان شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك .

وظهر له ملاك من السماء يقويه . وإذا كان في جهاد كان يصلى بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » .

ثم يخبرنا المزمور على لسان المسيح بنتيجة دعائه فيقول : « أجابنى من الرحب » . لقد أجابه الرب فأجاز عنه تلك الكأس - تلك هى الحقيقة الأولى والأخيرة فى المزامير ، وفى قصة الصلب ، وما حاجتنا بعد إلى دراسة واستقصاء .

ولكن ما علينا ، فلنكمل شرح المزمور أسوة بما سبقه من مزامير . فكما قررت الفقرة ١ الاستجابة لدعاء المسيح من الرحب - من السماء - فأنها قررت كذلك أمراً هاماً قال عنه : « سأرى باعدائى » .

فى يوم الضيق يرى المسيح عدوه الخائن وقد فشلت محاولته وارتد سيفه إلى قلبه ، فذلك شئ أكدته المزامير - قالت به هنا ، وقالت به من قبل : « الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميتته الرب لا يتركه فى يده .. إلى انقراض الأشرار تنظر - ٣٧ : ٣٢ - ٣٤ » .

لذلك يقول المسيح ليهوذا (فى الفقرة ٤) بلسان الحال : « دحرتنى دحوراً لأسقط ، أما الرب فعضدنى » .

ماسقط المسيح ، ولكن سقط يهوذا . وهذا الأخير لم يسقط إلا بما

صنعته يمين الرب ، يمين القوة والبأس (الفقرة ٥) . لقد سقط يهوذا لأنه شرير « والشريير فدية الصديق ، ومكان المستقيمين الغادر - أمثال ٢١: ١٨ ، وسقط لأنه توكل على الرؤساء والأمم (الفقرة ٣) ، أولئك الذين تأمروا « معاً على الرب وعلى مسيحه .. (لكن) الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم - مزمو ٢: ٢-٤ » .

وما الهزؤ بالأشرار إلا بابطال مؤامرتهم ، فذلك قضاء الله الذي « قال فكان - هو أمر فصار الرب أبطل مؤامرة الأمم .. أما مؤامرة الرب فالى الأبد تثبت - مزمو ٣٣: ٩-١١ » .

وتؤكد الفقرة ٦ ما جاء في صدر المزمور من استجابة الله للمسيح ، فنطق الحق على لسان المسيح قائلاً : « لا أموت بل أحيأ » .

والحق أنه لا مجال بعد هذا لمن يقول بموت المسيح قتلاً على الصليب ؛ وإذا كان المسيح قد مر بمحنة عاتية يوم الضيق فإنه في النهاية أنقذه الله وحفظه و كما قال المسيح : « إلى الموت لم يسلمنى » .

وأخيراً ينتهى المزمور كما بدأ بحمد الله الذى خلص عبده الفرح بنجاته لأنه « يفرح الصديق إذا رأى النعمة ، يغسل خطواته بدم الشرير - مزمو ٥٨ : ١٠ » .

والآن ونحن نختم هذا المزمور لا نملك سوى الفرح بنجاة المسيح وهلاك يهوذا الشرير الخائن ، الذى سار لحتفه بقدميه ، فهلك وأهدردمه وصار لعنة فى العالمين :

الخلاصة من المزامير

لقد درسنا عددا محدودا من المزامير وكم كان المرجو أن تتسع هذه الدراسة لتشمل عددا أكبر من ذلك ، لولا ضيق الوقت والحيز والعزاء حقا هو أن خلاصة ما ينثبنا به المزمور أو المزمورين لا يختلف ولا يمكن أن يختلف - عما يتنبأ به العدد من المزامير .

ان جميع تنبؤات المزامير التي تختص بالمسيح متكاملة ، لا ينقض أحدهما الآخر ، إنما يزداد الأمر بجمعها معا ايضا كما يقينا .

والخلاصة أن تنبؤات المزامير بالأحداث التي يتعرض لها المسيح تشتمل على سبعة عناصر ، نذكرها بما يشهد لها من تلك المزامير .

١ - يتآمر الرؤساء (الكهنوت اليهودي) على المسيح لقتله والتخلص منه :

« قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما - ٢ : ٣ - ٣ »

« الخوف مستدير بي بمؤامرتهم معا على . تفكروا في أخذ نفسي »
« ٣١ : ١٣ »

« مجمع القبائل يحيط بك - ٧ : ٧ » .

« في خطواتنا الآن قد أحاطوا بنا . نصبوا أعينهم ليزلقونا إلى الأرض - ١٧ : ١١ » .

٢ - ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن :

« رجل سلامتي الذي وثقت به ، آكل خبزي رفع على عقبه - ٩ : ٤١ » .

« ليس عدو يعيرني فاحتمل . ليس مبغضى تعظم على فأختبي منه . بل أنت إنسان عديلي ، النى وصديقي . الذي معه كانت تحولنا العشرة . إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور - ٥٥ : ١٢ - ١٤ » .

« الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه . . الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميتة - ٣٧ : ١٢ ، ٣٢ . »

٣ - وحين يستشعر المسيح الخطر ، فانه يفرع ويرتاع وتقرب به الخنثة من حافة الياس فيصرخ إلى الله طالباً النجاة وحفظ نفسه من القتل :

« خوف ورعدة أتيا على ، وغشيني رعب . فقلت ليت لى جناحاً كالحمامة فأطير واستريح - ٥٥ : ٥ - ٦ . »
« عظامى قد رجفت ونفسى قد ارتاعت جدا . »

وأنت يارب فحتى متى . عديارب . نج نفسي . خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك . فى الهاوية من يحمدك - ٦ : ٥٠ .
« ارحمنى يارب . انظر مذلتى من مبغضى ، يارافعى من أبواب الموت - ٩ : ١٣ . »

« انظر واستجب لى يارب إلهى . أنر عينى ائلا أنام نوم الموت .
١٣ : ٣ . »

« لا تجمع مع الخطاة نفسى ، ولا مع رجال الدماء حياتى - ٢٧ : ٩ . »
« بذبيحة وتقدمه لم تسر .. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب - ٤٠ : ٦ . »
« ما الفائدة من دى إذا نزلت إلى الحفرة . هل يحمدك التراب . هل يخبر حقلك . استمع يارب ارحمنى . يارب كن معيناً لى - ٣٠ : ٩ - ١٠ . »
« استمع يارب . بصوتى أدعو فارحمنى واستجب لى .. »

لا تسلمنى إلى مرام مضايقى - ٢٧ : ٧ ، ١٢ .
« أقض لى حسب عدلك ، يارب إلهى فلا يشمتوا بى لا يقولوا فى قلوبهم هه شهوتنا . لا يقولوا قد ابتلعناه - ٣٥ : ٢٤ - ٢٥ . »

٤ - ثم يدعو المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك :
« ليقف شيطان عن يمينه إذا حوكم ليخرج مذنباً . وصلاته فلتكن خطية . »

لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر .

ليكن بنوه أيتاما وإمرأته أرملة ..

لتنقرض ذريته ، في الجيل القادم ليمح اسمهم .:

من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا ،

والمسحق القلب ليمينه - ١٠٩ : ٦ - ١٦ . «

« قم يارب . تقدمه أسرع . نج نفسي من الشرير بسيفك - ١٧ : ١٣ »

« اهلك يارب فرق السنهم لأني قد رأيت ظلما وخصاما في المدينة . .

أنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك ، رجال الدماء والغش لا ينصفون

أيامهم - ٥٥ : ٩ ، ٢٣ . «

٥ - ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ

الله عليه حياته :

« في يوم الشر ينجبه الرب .

الرب يحفظه ويحميه يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه -

. « ٤١ : ١ - ٢ » .

« الربط أبطل مؤامرة الأمم . لا شئ أفكار الشعوب أما مؤامرة الرب

فإلى الأبد تثبت - ٣٣ : ١٠ - ١١ . «

« عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك .

لأنك أقمت حتى ودعواى .

« جلست على الكرسي قاضيا عادلا انتهت الأمم - ٩ : ٣ - ٥ »

« حينئذ تترد أعدائى إلى الوراى في يوم أذعوك فيه . هذا قد علمته

لأن الله لى .. شكر لك ، لأنك قد نجيت نفسي من الموت - ٥٦ : ١٣ »

« الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه . بحبروت

خلاص يمينه - ٢٠ : ٦ . «

« تصيب يدك جميع أعدائك .. لأنهم نصبوا عليك شرا . تفكروا بمكيدة

لم يستطيعوها - ٢١ : ٨ ، ١١ . «

« من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرحب .. وانا سأرى بأعدائي .
« لا أموت بل أحيأ وأحدث بأعمال الرب .. إلى الموت لم يسلمنى -
١١٨ : ٥ - ١٨ » .

« حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد - ٢١ : ٤ »
٦ - كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتقلب عليه
مؤامرته ، ويتجرع ذات الكأس التي شارك في تجهيزها لمعلمه :
« سدد نحوه آلة الموت .

هوذا - يخصص بالأنثى .. كراجبا حفرة ، فسقط في الهوة التي صنع .
يرجع تبعه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه - ٧ ، ١٣ - ١٦ »
هيأوا شبكة لخطواتي .. حفروا قدامى حفرة . سقطوا في وسطها -
٥٧ : ٦ » .

« الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يديه - ٦ : ١٦ » .
« إلى انقراض الأشرار تنظر - ٣٧ - ٣٤ » .

« سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر - ٣٧ : ١٥ »
٧ - وتكون وسيلة نجاة المسيح من القتل أمرا عجبيا ، إذ يرفعه الله
إلى السماء فلا يمسه سوء :

« يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرفك . على الأيدي
يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ..

أرفعه لأنه عرف اسمي - ٩١ : ١١ - ١٤ » .

« اصرخ إلى الله العلى ، إلى المحامى عنى .

يرسل من السماء ويخلصنى - ٥٧ : ٢ - ٣ » .

« يخبئني في مظلمة في يوم الشر . يسترني بستر خيمته .

على صخرة يرفعني - ٢٧ : ٥ » .

« لم تحبسني في يد العدو ، بل أقمت في الرحب رجلى ..

مبارك الرب لأنه جعل عجباً ، رحمته لى فى مدينة محصنة .. ٣١ :
٨ ، ٢١ .

*

هذا - وإذا جمعنا تلك العناصر السبعة اللى تشتمل عليها تنبؤات المزامير
وقرأناها بتسلسلها لكانت كالآتى :

يتآمر الكهنة اليهودى على المسيح لقتله والتخلص منه ، ويستخدم
المتآمرون عميلاً من تلاميذ المسيح هو ذلك الشرير الخائن .

وحين يستشعر المسيح الخطر ، فإنه يفزع ويرتاع وتقرّب به المحنة من
حافة اليأس فيصرخ إلى الله طالبا النجاة وحفظ نفسه من القتل ، ثم يدعو
المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك .

ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ عليه
حياته ، كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن ، فتقلب عليه
مؤامراته ويتجرع ذات الكأس اللى شارك فى تجهيزها لمعلمه .

وتكون الوسيلة اللى نجا بها المسيح من القتل أمراً عجباً ، إذ يرفعه
الله الى السماء فلا يمسه سوء .

تلك هى الحقيقة من المزامير وهى الحقيقة اللى يجدها كل من يقرأ فى
المزامير ، واضحة كل الوضوح لا لبس فيها ولا غموض .

حقاً نقول : لقد تنبأت المزامير بنجاة المسيح من القتل والصلب .

وتنبأت المزامير بهلاك يهوذا

هلاكا وسيلته « آلة الموت » أو بالأحرى خشبة الصليب ، لأنه بسببها
لبس اللعنة والعار والخزى والبوار .

الفصل العاشر

اختلاف المسيحيين الأوائل في صلب المسيح

مقدمة

لا حرج علينا أن نتذكر بين الحين والحين أن أقدم الأسفار المسيحية التي تقرر قانونيتها بعد قرون من كتابتها كانت رسائل بولس ، هذا الذي ما كان قط من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة في حياته .

ويرجع تاريخ أقدم رسالة أملاها بولس - وخاصة رسالته إلى أهل كورنثوس - إلى أكثر من ٢٠ عاماً مضت بعد رفع المسيح .

كذلك سطر مرقس إنجيله - الذي يعتبر أقدم الأناجيل - بعد أكثر من ٣٥ عاماً خلت بعد رفع المسيح - ومن هذه الرسائل والأسفار القانونية ومن غيرها من الكتب المسيحية التي لم تحظ بتلك القانونية بيد أنها بقيت موضع اعتبار في التعاليم المسيحية ، نستطيع أن نتبين مقدار الاختلاف الذي وقع فيه قدامى المسيحيين في صلب المسيح .

لقد اختلفوا في صلب المسيح كحادث وقع ، فقد وجد بينهم من أنكر تعرض المسيح لعملية صلب .

كذلك اختلف قدامى المسيحيين في نظرية الصلب التي روج لها المروجون فيما بعد - وعلى رأسهم بولس - باعتبارها تكفيراً عن خطايا الآخرين ، فرفضوا تلك النظرية وتجاهلوا تماماً .

ولا يزال لهذه الإختلافات صدى يتردد في الفكر المسيحي حتى الآن .

اختلاف المسيحيين الأوائل في حادث الصلب

يقول مرقس عن المصلوب : « بعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الارجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه .

فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه .. وكانت الساعة الثالثة فصلبوه - ١٥ : ٢٠ - ٢٥ » .

ويقول نينهام في تعليقه على هذه الفقرة : « من الواضح أن الكنيسة التي كتب لها القديس مرقس انجيله كانت تعرف هذين الشخصين (الكسندروس وروفس) جيدا ، ولهذا لم يكن هناك داع للحديث عنهما بأكثر من ذلك . ويبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب ، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل ، كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرا للمعلومات عن الصلب جدير بالثقة ..

ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب - من إنجيل يوحنا ، هو أنه في الوقت الذي كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ - ١٢٥ م) كان الإدعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع وصلب بدلا منه ، لا يزال ساريا في الدوائر الغنوسية التي كانت لها الشهرة فيما بعد » (٦٨) .

فن الملاحظ أن الأناجيل الثلاثة قد ذكرت أن سمعان القيرواني كان هو حامل الصليب (متى ٢٧ : ٣٢ ، ومرقس ١٥ : ٢١ ، ولوقا ٢٣ : ٢٦) ، بينما يذكر الإنجيل الرابع ما يخالف هذا فيقول . « فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة .. حيث صلبوه - يوحنا ١٩ : ١٦ - ١٨ » .

*

كذلك يقول متى : « وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قبروانيا اسمه سمعان فسخره ليحمل صليبه ..

ولما صلبوه اقتسموا ثيابه .. ثم جلسوا يحرسونه هناك ..

وفي الغد (بعد الصلب والدفن) الذى بعد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين . يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إني بعد ثلاث أيام أقوم . فربضببط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى .

فقال لهم بيلاطس عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر - ٢٧ : ٣٢ - ٦٦ « . ويقول جون فنتون فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد كانت عبارة مرقس التى تلت (ما قيل عن اقتسام الثياب والاقتراع عليها) هى : وكانت الساعة الثالثة فصلبوه .

لكن متى يغير هذا إلى قوله : ثم جلسوا يحرسونه .

لاحظ كذلك اضافة الكلمات : الذين يحرسون يسوع - فى العدد ٥٤ ، ولعل السبب فى أن متى يضيف هذه الكلمات التى تتكلم عن حراسة يسوع ، أثناء الصلب وما بعده (٢٧ : ٦٢ - ٦٦ ، ٢٨ : ٤ ، ١١ - ١٥) إنما يرجع إلى وجود اناس قالوا بأن يسوع قد أنزل من على الصليب قبل أن يموت .

كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوطسية التى عاشت فى القرن الثانى ، قالت بأن سمعان القبروانى قد صلب بدلا من يسوع . فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال « (٦٩) » .

*

فمن ذلك نتيين أنه في الفترة التي أعقبت رفع المسيح حتى كتابة الأناجيل قد وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه .

كذلك وجدت جماعات اخرى تقول بانها لم يمت على الصليب وانما انزل حيا وهذا ما قاله الفيلسوف الالمانى فنتيورينى في بداية القرن التاسع عشر حيث خلص من دراسة لما قيل عن الصلب والدفن الى ان « يسوع قد اغمى عليه فقط ، ثم افاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة » (٧٠) .

ولا شك أن قوة تلك الجماعات وذبوع معتقداتها في نجاة المسيح من القتل ، كانت هي السبب الرئيسى الذى منع كتبة الأناجيل من تجاهلها ، واضطروهم إلى الرد عليها بما يتفق وتعاليم بولس التي سطرها في رسائله قبل أن يكتب أقدم الأناجيل بأكثر من ١٥ عاما ، تلك التعاليم التي لم تعرف في المسيحية شيئا سوى الصلب .

اختلاف المسيحيين الأوائل في نظرية الصلب

لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا ، هي إنجيل بولس الذى جال يبشر به في طول العالم الرومانى وعرضه ، فلم ير بولس في رسالة المسيح شيئا غير هذا .

لكن هذا التعليم الذى تبناه بولس وجعل محوره صلب المسيح وجد له مقاومه جماعية ورفضاً تاماً وهو الشيء أثبتته بولس في رسائله فقد قال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس :

« انت تعلم هذا . أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عنى - ١ : ١٥ »

وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية :

« انى اتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثيما - ١ : ٦ - ٨ .

*

ويشير أدولف هرنك إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أى ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة ، فيقول :

« لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثني عشر ، أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح ، وحتى إعلال الإنجيل (المتعلق بموته وقيامته) لم يلاحظ شىء عنه .

أن كتابات هرمس المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثاً وقع ولا يوجد فيها أى ذكر على الاطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته .. إلخ ، رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التى يذكر فيها ذلك .

إنه يصف عمل يسوع بأنه :

١ - حفظ الشعب الذى اختاره الله .

٢ - تنقية الشعب من الخطية .

٣ - تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهي « (٧١) .

إن كتاب هرمس هذا « كان ايرنيوس يقتبس منه باعتباره واحداً من الكتب (المقدسة) ، وأعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحى إلهي ، ويقرر ايزبيوس أنه على الرغم من عدم قانونيته ، فقد كان يقرأ علانية فى الكنائس ، وهو الأمر الذى عززه جيروم ، وكذلك نجد أثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائدة « (٧٢) .

ولقد جاء في الكتاب الثالث لهرمس - الذى أشار إليه هرنك - على لسان الملاك : « أن الصوم الحقيقى هو : لا تفعل شراً ، ولكن اخدم الرب بفكر طاهر ، واحفظ وصاياه وسر حسب فرائضه ولا تجعل أى فكرة شريرة تدخل قلبك . ولكن ثق فى الرب انك لو تفعل هذه الأشياء وتحشاها وتمتنع عن كل شر ، فإنك سوف تعيش لله .

لو تفعل هذا فإنك تصوم صوما عظيماً ، صوما يقبله الرب - ٥ : ٥ - ٧ »
ومن الحقائق البارزة فى مجال الحديث عن إسقاط بعض الرسائل المسيحية الهامة لكل ما يقال عن الصلب - سواء باعتباره حادثاً وقع ، أو برؤيته وسيلة للخلاص ، حسباً تقول فلسفة الفداء والكفارة - ما نجده فى رسالة يعقوب التى هى إحدى الرسائل القانونية التى يشتمل عليها العهد الجديد ، ويستطيع القارىء امراجعتها بنفسه .

فهذه الرسالة تسقط أيضاً كل ما يتعلق بالصلب والقيامة ، بل انها لتقرر بوضوح طريق الخلاص والديانة الحقة فتقول أنه : إيمان بالله وعمل صالح ، كما سترى فيما بعد .

* * *

الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب

أن الخلاص الحق الذى ذكره يعقوب وهرمس - بعيداً عن كل ما يقال عن الصلب وسفك الدم كفارة عن الخطايا - قد ذكر أيضاً فى أسفار العهد الجديد التى اتفق على قانونيتها . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بذكر عدد محدود منها :

١ - بينما كان المسيح يسير خارجاً « إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمال لتكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ، قال له أية الوصايا . فقال يسوع لا تقتل . لا تزنى . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأمك وأحب قريبك اكنفسك .

قال له الشاب هذه كلها حفظها منذ حدثتني فإذا يعوزني بعد :

قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني - متى ١٩ : ١٦ - ٢١ .

ومن الملاحظ أن المسيح قبل أن يجيب السائل إلى سؤاله فقد صحح له صيغة السؤال ، فنتى عن نفسه صفة الصلاح التي خلعتها عليه السائل ، وردّها إلى الله الذي تفرد في ذاته وصفاته ، وهو الله الواحد الذي أرسل موسى وأنزل عليه الوصايا العشر (خروج ٢٠ : ١ - ١٧) .

٢ - وفي يوم الدينونة تكون النجاة بالعمل الصالح بعيداً عن الصلب وفلسفاته . فهناك « يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .

لأنى جعت فأطعمتوني . كنت غريباً فأويتموني . عريانا فكسوتموني مريضاً فزرتموني . محبوساً فأتيتم إلى .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك .
أو عطشانا فسقيناك . ومتى رأيناك غريباً فأويناك أو عريانا فكسوناك .
ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك .

فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي الأصغر فبي فعلتم .

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .

لأنى جعت فلم تطعموني حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً . . .

فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصغر فبي لم تفعلوا فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية - متى ٢٥ : ٣٤ - ٤٦ .

هكذا يدان الناس : أهل البر والعمل الصالح إلى الحياة الأبدية ، وأهل

الشر والبخل إلى عذاب أبدي - ولا دخل لفلسفة الصلب والفداء في إنقاذ أهل الشر أو إهلاك أهل البر .

ولا يبقى مقياساً لميزان الدينونة سوى ما ينطق به الكتاب من حق - بعيداً عن الصلب ومشتقاته - فيقول :

« الإبن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن .

بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون - حزقيال ١٨ : ٢٠ »

٣- ويقول يعقوب في رسالته أن الدينونة التي تحدد المصير الأبدي للإنسان تقوم على ركيزتين هما : إيمان بالله الواحد ، يصحبه عمل صالح ، وبدونهما لا فائدة ترجى .

وأن كلامهما لا علاقة له بالصلب وسفك الدم من قريب أو بعيد :

« أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال

ميت . . . بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده - ٢ : ١٩ - ٢٤ » .

ان « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه : افتقاد اليتامى

والأرامل في ضيقهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم - ٢ : ٢٧ »

ان ذلك ما شرعه الله : « واحد هو واضع الناموس ، القادر أن يخلص

ويهلك - ٤ : ١٢ »

من ذلك - وغيره كثير وكثير جدا - نتبين أن الخلاص الحق لا علاقة

له بالصلب على الإطلاق .

ما ترتب على نظرية بولس في الصلب

لقد ظهر في القرن الثاني تلميذ شهير لبولس هو مركيون، الذي كان يعتقد « بان إله اليهود الذي اعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم . كان في الحقيقة الهاشريا !! »

أما إله المحبة فقد ظهر في المسيح - ولقد وضع مركيون إله المحبة في تعارض ضد خالق العالم «

كذلك اعتقد مركيون أن « الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه .. ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلاً يخالف لإنجيل بولس ، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح ..

من أجل ذلك فإن المسيح ألم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير .

ويبلغ ضلال هذه المعتقدات مداه حين تروى لنا محاكمة تجرى بين يسوع ورب المخلوقات - إله موسى - فتقول : « نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لا هوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته (قتلا على الصليب) ..

قال له يسوع : إن الدينونة بيني وبينك . لا تدع أى شخص آخر يكن قاضيا ، إنما شرائعك ذاتها تقضى لى ..
ألم تكتب في ناموسك أن من قتل تقتل ؟
وعندئذ أجاب (إله المخلوقات) : لقد كتبت هذا ..
قال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدى ..

قال خالق العالم : لأنى قد ذبحتك فأنى اعطيتك عوضا . كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك ..

وعندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيدا ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن . وإن كل من يؤمن بيسوع قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب « (٧٣) !!!
ان هذا الضلال الذى يجلب العار لكل المؤمنين بكتب الله ورسالاته ، لا يحتاج إلى تعليق .

* * *

نتائج بحث قضية الصلب

لقد درسنا عددا من الموضوعات الهامة التى تشتمل عليها قضية الصلب ، وخرجنا عقب دراسة كل موضوع ، بل وعقب دراسة كل عنصر من عناصرها المختلفة بنتائج محددة . وفى تجميع لهذه النتائج نستطيع أن نبلور نتيجة هذه الدراسة كما يلي :

١ - اختلفت روايات الأناجيل الأربعة فى أحداث الصلب : فقد اختلف الرواة فى مقدمة الأحداث مثل قصة مسح جسد المسيح بالطيب وقصة خيانة يهوذا . كذلك اختلف الرواة فى العشاء الأخير وكيفية التحضير له وتوقيته ودور يهوذا وما قيل عن شك التلاميذ الذى تنبأ المسيح بوقوعهم فيه فى تلك الليلة الأخيرة ، واختلفت الأناجيل فى الليلة الأخيرة وأحداثها ، وإن كان هناك اتفاق على أنه فى قمة المحنة التى تعرض لها المسيح « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » .

واختلفوا فى المحاكمات وأعدادها وزمانها ومكانها ، كما اختلفوا فى قصة انكار بطرس وكان الخلاف حادا فى الصلب وأحداثه السابقة واللاحقة ، ولعل أخطر خلاف وقع هو ما قيل عن توقيت الصلب ويومه . فقد تأرجح ذلك من يوم الخميس على أحد الأقوال ويوم الجمعة على أقوال أخرى . وكما اختلفوا فى الصلب فأنتهم اختلفوا فى الدفن .

لقد اختلفت روايات الأناجيل فى أحداث الصلب اختلافا يكفى لتنجية نهاداتها عن ذلك الحادث جانبا .

*

٢ - واختلفت الروايات التي ذكرت عن نهاية يهوذا ، وإن كانت قد اتفقت على أنه هلك في أعقاب حادث الصلب وفي ظروف غامضة تناظر ما قيل عن هلاك بيلاطس الحاكم الروماني . وهذا الأخير ذكرت بعض الروايات أنه مات مائة القديسين والشهداء ، بينما قالت رواية أخرى أنه مات مائة الشياطين .

*

٣ - وفي شتى المناسبات رأينا المسيح يرفض كل محاولة لقتله يقول لليهود : لماذا تطلبون أن تقتلوني ؟ . « وعند المحاكمة كان المقبوض عليه يقول لمحاكميه : « ان سألت لانجيوني ولا تطلقوني » .
بل في النزاع الأخير نجد ذلك المصلوب يصرخ في يأس وحسرة قائلاً :
« إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ !! » .

*

٤ - ويكنى أن نورد في موضوع تنبؤات المسيح بنجائه من القتل - قوله : « ستطلبوني ولا تجدوني وحيث أكون انا لا تقدرتون أنتم أن تأتوا » .

*

٥ - وأما عن تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل ، فقد ظهرت فيها الحقيقة بأوضح ما تكون مؤكداً جميعها نجاة المسيح « لأن الرب يحفظه ويحميه يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه » .

وكذلك قال المزمور على لسان المسيح : « لا أموت بل أحياء . . إلى الموت لم يسلمني » . أما يهوذا الخائن فإنه « سقط في الهوة التي صنع ، يرجع تبعه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » . وذلك لأن : « الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يديه » لقد صلب يهوذا ، فهكذا تنبأ المزامير .

*

٦ - ولقد اختلف المسيحيون الأوائل في صلب المسيح : اختلفوا فيه كحادث فقال بعضهم : ما صلب المسيح ولكن صلب أحد تلاميذه . كذلك اختلفوا في الصلب كمنظرة تتكلم عن القداء والخلاص ، فرفضه الرافضون

وقالوا أن الانسان يعتمد على ركيزتين اثنتين هما : إيمان بالإله الواحد خالق الأكوان ، وعمل صالح يثبت ذلك الإيمان ويصدقه . وما عدا ذلك فهو ضلال وضياع .

*

أما بعد - فتلك هي خلاصة النتائج التي انتهى إليها بحث قضية الصلب ، وهي تبين أن الصلب يعتبر بحق قوة في مجموعة المشاكل التي تحتويها الأناجيل . انه مشكلة رئيسية يكمن حلها في عقل القارىء وضميره . وهو يستطيع حلها بسهولة بشرط الا يكون من الذين قال عنهم المسيح :

« تمت فيهم نبوة اشعياء القائلة . تسمعون سمعوا ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وآذانهم قد ثقل سمعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقلوبهم . ويرجعوا فأشفيهم » .

الباب الرابع

قضية القيامة والظهور

● القیامة
● الظهور

الفصل الحادي عشر

القيامة

مقدمة :

تقول الأناجيل أن المسيح بعد أن مات على الصليب يوم الجمعة: حسب روايات مرقس ومتى ولوقا ، أو يوم الخميس : حسب رواية يوحنا - فقد وضع جسده في قبر مساء يوم الصلب :

وفي الساعات الأولى من فجر يوم الأحد ، أكتشفت بعض النسوة من معارف المسيح وتابعيه ، خلو ذلك القبر من أى جسد :

لقد كانت تلك نواة ، بدأت تتكون من حولها روايات تقول أن المسيح قام من الأموات . ثم ما لبثت هذه أن تداخلت معها روايات أخرى تقول أنه بعد قيامته ظهر لبضعة أشخاص ، وكانت أولاهن - بالطبع - إحدى النسوة اللاتي نسب لها أول ما أشيع عن القيامة من روايات ، الا وهى مريم المجدلية « التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين - مرقس ٦ : ٩ » .

*

ولقد بدأت روايات قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد الموت ، تنتشر ببطء شديد وسط المجموعة المسيحية الأولى ، بسبب انكار تلاميذ المسيح وحوارييه - وعلى رأسهم بطرس - لتلك الروايات ، وشكهم فيها ، وعدم إيمانهم بوجود أدنى صلة بين رسالة المسيح الحق التي تلقوها من معلمهم ، وبين فكرة القيامة من الأموات ، التي صارت واحدة من ركائز العقائد المسيحية فيما بعد .

من أجل ذلك تأخر الاعلان عن قيامة المسيح وظهوره سبعة أسابيع ، فلم يدع خبرها بين عامة المسيحيين إلا بعد ٥٠ يوما ، كما تقول رسالة الأعمال التي سطرها لوقا بعد أكثر من ٦٠ عاما من رفع المسيح :

*

وإذا كان هذا هو مجمل حديث القيامة كما سجلته الأناجيل ، فن الواجب ألا يغيب عن البال « أن أول شهادة عن القيامة لم تعطها الأناجيل لكنها جاءت من رسائل بولس ، وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس - الاصحاح ١٥- التي كتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل . ففي هذا الاصحاح نجد بولس يقتبس تعليما تسلمه من أولئك الذين كانوا مسيحيين قبله » (١) .

ولقد رأينا أن ما تقوله الأناجيل عن صلب المسيح يمثل مشكلة رئيسية فيها ، وبالتالي فإن ما يترتب على ذلك من القول بقيامته وظهوره ، يمثل - بداهة - مشاكل أخرى تضاف إلى قائمة المشاكل التي تتنقل كاهل الأناجيل . وفي هذا الفصل نناقش قضية القيامة بعناصرها الرئيسية .

زيارة النساء للقبر

يقول مرقس : « بعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا لياثين ويدهنه . وباكرا جدا في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس وكن يقلن في أنفسهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر .

فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا . ولما دخان القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندھشن .

فقال لهن لاتندھشن . أنتن تطلبن يسوع الناصري المصاوب . قد قام . ليس هو ههنا هو ذا الموضع الذي وضعوه فيه .

لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم . فخرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاها . ولم يقلن لاحد شيئا لأنهن كن خائفات - ١٦ : ١ : ٨ .

*

ويقول نينهام : « ان الدافع المقترح لهذه الزيارة يدعو ، على أى حال إلى الدهشة وإذا صرفنا النظر عن التساؤل الذى أثير (عن يدحرج الحجر) ، فمن الصعب أن نثق فى أن الغرض من زيارة النسوة كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان .

إن أغلب المعلقين يرددون ما يقوله مونتييورى من أن : السبب الذى تعزى له هذه الزيارة غير محتمل البتة . .

وفى الواقع نجد أنه حسب رواية القديس مرقس ، فإن جسد يسوع لم يدهن أبدا بعد الموت خلافا لما جاء فى يوحنا ١٩ : ٤٠ (الذى يقول : فأخذنا - يوسف ونيقوديموس - جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا) ..

إن كثير آ من القراء سيتفقون فى الرأى مع ما انتهى إليه فنست تيلور من أنه : من المحتمل أن يكون وصف مرقس محض خيال ، إذ أنه يصور لنا فى وصفه بما يعتقد انه قد حدث « (٢) .

* *

وقد انفرد متى بما ذكره عن طاب اليهود من الحاكم الرومانى بيلاطس أن يرسل حراسا لضبط القبر ، فأستجاب لهم « ففضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » .

بعد ذلك تكلم عن زيارة النساء للقبر بصورة مختلفة فقال : « وبعد السبب عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر .

وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات .

فأجاب الملاك وقال للمرأتين لاتخافا أنما . فأنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلما أنظرا الموضوع الذى كان الرب مضطجعا فيه . وإذها سريعا قولاً لتلاميذه أنه قد قام من الأموات . هاهو يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما . فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبيرا لتلاميذه -
٢٨ : ١ - ٨ .

*

ويقول جون فنتون : « أن حدوث الزلزلة ، ونزول الملاك من السماء ودحرجة الحجر بعيدا وخوف الحراس ، كلها إضافات من عمل متى . . . كذلك نجد فى انجيل مرقس أن النساء لاتطعن الرسالة (التى تلقينها من الشاب الجالس عن يمين القبر : ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات) ، أما فى انجيل متى فانهن يطعننها (فخرجتا سريعا .. لتخبيرا لتلاميذه) » (٣) .

* *

ويقول لوقا : « فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الخنوط الذى أعددهن ومعهن أناس . فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر . فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع . وفيما هى مختارات فى ذلك إذا رجلان وقفاهن بثياب براقه . وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالاهن . لماذا تطلبن الحى بين الأموات . ليس هو ههنا لكنه قام . إذكرن كيف كنتمكن وهوبعد فى الجليل . فتذكرن كلامه ورجعن من القبر واخبرن الأحد عشر الباقين بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل - ٢٧ : ١ - ١٠ .

*

ويقول جورج كيرد : « إن قصة لوقا عن القبر الخالي تسير بمحاذاة مرقس ، لكنها تختلف معها في اربع نقاط :

فبينما يذكر مرقس شابا واحدا عند القبر ، نجد لوقا يذكر رجلين ..
وحسباً في مرقس ١٦ : ٧ قيل للنسوة : اذهبن وقلن لتلاميذه رلبطرس أنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم - لكن لوقا يشير بدلا من هذا إلى تعليم سبق اعطاؤه في الجليل .

ذلك أنه حسب مصدر المعلومات الذي استقى منه لوقا فإن ظهور (المسيح) بعد القيامة لم يحدث في الجليل ، لكنه حدث فقط في أورشليم وما حولها .

كذلك نجد حسب رواية مرقس أن النسوة قد حملن برسالة ، فشنلن في توصيلها لأنهن كن خائفات ، بينما نخبرنا لوقا أنهن قدمن تقريرا كاملا عما رأيناه وسمعنه إلى التلاميذ الآخرين .

وأخيرا ، فإن قائمة الأسماء مختلفة ، إذ أن لوقا يذكر يونا بدلا من سالومي التي ذكرها مرقس « (٤) »

* *

أما رواية يوحنا عن القيامة فإنها مختلفة عما روته الأناجيل الثلاثة في عناصرها الرئيسية ، ذلك أن يوحنا يقول : « في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا والظلام باق ، فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر .
فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه .

فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر . وكان الاثنان يركضان معا . فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا الى القبر وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفان

بل ماثوقا في موضع وحده . فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذي جاء
أولا إلى القبر ورأى قامن لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن
يقوم من الأموات . فضى التلميذان أيضا الى موضعهما .

أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى . وفيما هي تبكى انحنت
الى القبر . فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر
عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا .

فقال لها يا امرأة لماذا تبكين . قالت لهما أنهم أخذوا سيدي ولست أعلم
أين وضعوه - ٢٠ : ١ - ١٣

* *

اختلاف الأناجيل في روايات الزيارة

من الواضح الآن أن هناك اختلافا بين ما تروييه الأناجيل عن زيارة
النساء للقبر وملابسها كما يتضح مما سبق ، بالإضافة إلى ما يأتي :

١ - يذكر مرقس أن الزائرات كن ثلاثة من النسوة ، لكن متى
يذكر اثنين فقط ، بينما يقول لوقا أنهم كن جمعا من النساء (اثنين) مع
المسيح) من الجليل .. ومعهن أناس ، - أما يوحنا فيجعل بطلقة الزيارة
مريم المجدلية بمفردها التي تذهب فوراً لتخبر معها بطرس ويوحنا .

ولا يتفق كسبة الأناجيل على شيء من العناصر الرئيسية المنقصة الزيارة
سوى ما قالوه عن وجود مريم المجدلية في موضع الصدارة بين الزائرات ،
حتى أن يوحنا يجعلها الزائرة الوحيدة .

وبذلك صارت مريم المجدلية - « التي كان (المسيح) قد أخرج منها
سبعة شياطين » هم المصدر الرئيسي لكل ما قبل عن قبامة المسيح من الأموات .

٢ - وعند القبر ، رأت النساء « شابا جالسا عن اليمين لابساحلة بيضاء ،
- حسب رواية مرقس ، بينما هو في متى (ملاك الرب .. وكان منظره
كالبرق ولباسه أبيض كالثلج) .

أما في لوقا فهما (رجلان بشياب براقه)، بينما نجدهما في يوحنا (ملاكين بشياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند القدمين) .

★

إن فرانك موريسون يعلق على زيارة النسوة إلى القبر وما اختلط بها من روايات فيقول : (إننا نستطيع أن نرى كحقيقة تاريخية أن مغامرة النساء عند القبر قد غاصت نسيبا في ثنايا النسيان حيث طغت عليها القضايا الأخرى الأكثر حيوية والتي فرضتها الأحداث . لقد حفظت ذكراها في مخيلة النساء أنفسهن .

وما من شك في أنها أضيفت إلى تعاليم الكنيسة عند ما هدأت الأمور واستقرت ، ثم ما لبث أن خرج من تلك القصة التي تناثرت على نطاق واسع في الكنائس المسيحية في أوروبا وآسيا - كل تلك الروايات التي تطورت واختلفت ، والتي نقل عنها كل من القديسين لوقا ومتى .

وهكذا فإن الشاب الواحد الذي كان عند المقبرة - والذي كان في الحقيقة شابا واحدا حسب القصة الأصلية - قد أصبح بمرور الزمن : الملاك العظيم في انجيل متى ، والزائرين السماويين بشياب براقه في انجيل لوقا .

وهكذا أيضا فإن دحرجة الحجر بعيدا (عن القبر) . . قد أصبحت موضوعا للكثير من الحدس والتخمين فقد قال بعضهم أن الحجر دحرج نفسه بعيدا ، بينما قال آخرون قد دحرجته الملائكة (٥) .

الفصل الثاني عشر

الظهور

روايات الأناجيل

لقد درجنا على أن نبدأ أولاً بذكر ما يقوله انجيل مرقس في مختلف الموضوعات التي نتعرض لها في هذه الدراسة ثم نتبع ذلك بما تقوله أناجيل متى ولوقا ويوحنا في ذات الموضوع :

ويرجع ذلك لما هو متفق عليه من أن انجيل مرقس يعتبر أقدم الأناجيل القانونية التي وصلتنا بالإضافة إلى كونه المصدر الرئيسي الذي نقل عنه كل من متى ولوقا .

وإذا طبقنا تلك القاعدة التي درجنا عليها ، وبدأنا بما يرويه انجيل مرقس عن ظهور المسيح بعد قيامته من الأموات ، فإننا نقول :

يقول انجيل مرقس : لا شيء ..

نعم : لا يقول انجيل مرقس شيئاً عن موضوع الظهور .

ولقد يسر بعض القراء إلى النسخ التي في متناول أيديهم من انجيل مرقس ، بغية التثبت من حقيقة هذا الادعاء الخطير ، فيجدون خاتمة الإنجيل - الاعداد : من ٩ إلى ٢٠ التي ينتهي بها الإصحاح السادس عشر - تتكلم عن ظهور المسيح لبعض الناس بعد فتنة الصلب وروايات القيامة .. !

وهنا يحدث لبس تزيله الحقيقة الآتية :

إن خاتمة إنجيل مرقس التي تتكلم عن ظهور المسيح - من ٩ إلى ٢٠ - ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الإنجيل ، ولكنها إضافات

أدخلت إليه حوالي عام ١٨٠ م - أي بعد أن سطر مرقس إنجيله بنحو
١٢٠ عاما - ولم تأخذ أى صورة قانونية إلا بعد عام ٣٢٥ م .

*

لقد أشرنا الى هذا من قبل ونضيف الآن قول نيهايم :

وإنه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ - ٢٠) تظهر في أغلب
النسخ الموجودة لدينا من انجيل مرقس (مثل النسخة المعتمدة وما يناظرها)
إلا أن النسخة القياسية المراجعة مصيبة تماماً في اعتبارها غير شرعية ،
منزلة إياها من النص إلى الهامش .

إن العالم الكاثوليكي الكبير لاجرانج واضح تماماً في قوله : أنه
بالرغم من قانونيتها (أى أنها جزء من الكتاب المقدس) ، فإنها ليست
قانونية بالمعنى الحرفي (أى ليست من عمل القديس مرقس) وتقوم
وجهة النظر التي تتطابق وآراء العلماء الآخرين على ثلاثة أسباب
رئيسية هي :

١ - أن بعض أفضل النسخ من انجيل مرقس تنتهي عند ١٦ : ٨ ،
وبعض النسخ الأخرى تتفق معها في حذف الأعداد ٩ - ٢٠ ، لكنها تعطي
بدلاً من ذلك الخاتمة المذكورة (في صفحة ٥٥)

٢ - أن كبار العلماء في القرن الرابع مثل ايزيبوس وجيروم يشهدون
بأن هذه الأعداد كانت ساقطة من أفضل النسخ الإغريقية المعلومة لديهم ،
وقد اقتبس منها مرة واحدة فقط - أو مرتين على الأكثر - في كل
المؤلفات التي كتبت حتى عام ٣٢٥ م .

٣ - والأكثر حسماً من كل ما سبق هو أن أسلوب تلك الأعداد ،
ومفردات اللغة التي كتبت بها يعطى أسلوب القرن الثاني ، وهو شيء يختلف
تماماً عما كتب به القديس مرقس .

إن هذه الفقرة لا يمكن تحديدها تاريخياً بالضبط ، ويمكن القول بأنها
سبحت تقبل كجزء من انجيل مرقس حوالى عام ١٨٠ م « (٦)

★

كذلك يقول جون فنتون : « على حسب معلوماتنا فإن انجيل مرقس
الذى كان بين يدي متى ، قد انتهى عند ١٦ : ٨ ، وعلى هذا فإن ظهور
يسوع للنساء فى انجيل متى ٢٨ : ٩ قد أضافه متى .

وحسبنا نعم فإن انجيل مرقس لم يحتو على أى روايات تتكلم عن
ظهور الرب المقام من الأموات « (٧)

★

ومع ذلك فسوف نعود إلى نسخ انجيل مرقس التى تتكلم عن ظهور
المسيح ، فنجدها تقول :

وبعد ما قام باكراً فى أول الأسبوع ظهر أولاً لمرج المجادلة التى كان
قد أخرج منها سبعة شياطين .

فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم بنوحون ويكرون .
فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرتة لم يصدقوا .

وبعد ذلك ظهر بيثة أخرى لإثنين منهم وهما عيشان منطلقين
إلى البرية .

وذهب هذان وأخيرا الباقي فلم يصدقوا ولا هذين .

اخيراً ظهر للاحد عشر وهم متكون وويخ عدم إيمانهم وقساوة
قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام - ١٦ : ٩-١٤ « .

(٧) المرجع ٧ - ص ٤٤٩ - ٤٥٠

ولقد علمنا حسب رواية متى عن زيارة النساء للقبر ، أن مريم
المجدلية ومريم الأخرى قد حملهما ملاك الرب رسالة يقول فيها : « اذهبا
سريعا قولوا لتلاميذه انه قد قام من الأموات ها هو يسبقكم إلى الجليل » .

وعندئذ « خرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين
لتخبيرا لتلاميذه »

والآن نضيف قول متى : « وفيما هما منطلقتان لتخبيرا لتلاميذه إذا
يسوع لاقاهما وقال سلام لكما .

فتقدمتا وأمسكتا بقدمية وسجدتا له . فقال لهما يسوع لا تخافا . اذهبا
قولوا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى ..

وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجليل حيث
أمرهم يسوع .

ولما رأوه سجدوا له ، ولكن بعضهم شكوا - ٢٨ : ٩ - ١٧ » .

★

هذا - وبعد أن ذكر لوقا ما روته النسوة من حديث القيامة للتلاميذ
والرسل نجده يتكلم عن الظهور فيقول : « وإذا اثنان منهم كانا منطلقين
في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس .. وفيما
هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما
ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته . فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطرحان
به .. فقلا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرا فى الفعل
والقول امام الله وجميع الشعب .. فقال لهما أيها الغيبان والبطينان القلوب
فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء .. تم ابتداء من موسى ومن جميع الأنبياء
يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب .

ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها وهو تظاهر كأنه منطلق
إلى مكان أبعد . فألزماه قائلين امكث معنا .. فدخل ليكث معهما . فلما

اتكا معها أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه
ثم اختفى عنهما ..

فقاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين
هم والذين معهم . وهم يقولون أن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان . .
وفيا هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام
لكم . فجزعوا وخافوا وظنوا انهم نظروا روحاً .
فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر افكار في قلوبكم .
انظروا يدي ورجلي إني أنا هو .

جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي . وحين
قال هذا أراهم يديه ورجليه .

وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام
فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم
٢٤ : ١٣ - ٤٣ «

* *

ويقول يوحنا أن مريم المجدلية كانت تبكي عند القبر ، فقال لها
الملاكان : « يا امرأة لماذا تبكين قالت لهما أنهم أخذوا سيدي ولست أعلم
أين وضعوه .

ولما قالت هذا التفتت إلى الورااء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم انه
يسوع . قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين . من تطلبين . فظنت تلك انه
البستاني فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته
وأنا أخذه .

فقال لها يسوع يا مريم : فالنفتت تلك وقالت له ربوني الذي
تفسيره يا معلم .

قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى
اخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي واياكم وإلهي وإلهكم .

*

فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا .

ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم .

ولما قال هذا أراهم ففرح وجنبه يديه ورأوا الرب ..

أما توما أحد الإثنى عشر .. فلم يكن معهم حين جاء يسوع . فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب فقال لهم إن لم ابصر في يديه اثر المسامير واضع اصبعي في اثر المسامير واضع يدي في جنبه لا اومن .

وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ أيضا داخلا وقوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم .

بعد هذا أظهر أيضا يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية .. لما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع .. فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا .. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكا كبيرا .. ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب . ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك . هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات - ٢٠ : ١٣ - ٢٦ ، ٢١ : ١ - ١٤ .

* *

ملاحظات على روايات الأناجيل

لقد عرضنا ما ترويه الأناجيل الأربعة عن ظهور المسيح ، وكلها روايات تسمح بإبداء الملاحظات الآتية :

١ - اتفق مرقس ومتى ويوحنا على أن الظهور الأول كان من نصيب مريم المجدلية ، التي لم تعرفه ووظنته البستاني ، بينما أسقط لوقا تلك الرواية تماما ، وجعل الظهور الأول من نصيب اثنين ، كانا منطلقين إلى قرية عمواس .

٢ - حدث الظهور للتلاميذ مرة واحدة في كل من مرقس ومتى ولوقا
بينما يتحدث عنه يوحنا ثلاث مرات بصور مختلفة .

٣ - اتفق مرقس ومتى على أن الظهور للأحد عشر تلميذا حدث
في الجليل ، فاختلفا في ذلك مع لوقا ويوحنا اللذين جعلانه في اورشليم .

شك التلاميذ في روايات القيامة والظهور

تمتلئ روايات الأناجيل عن القيامة والظهور بالكثير من المآخذ
والثغرات التي يستطيع القارئ تلمسها بمجرد المطالعة ومقارنة المواقع
المتشابهة في الأناجيل المختلفة .

وتكفي هذه المآخذ والثغرات لرفض ما تقوله تلك الروايات عن قيامة
المسيح وظهوره . وكيف لا ترفض وقد رفضها كاتب إنجيل مرقس
الأصلي فأسقطها من حسابه وأنهى الإنجيل عند ١٦ : ٨ ، كما سبق بيانه ، كذلك
رفضها تلاميذ المسيح وشكوا فيها ذلك الشك المريب الذي سجلته الأناجيل .

لقد شك التلاميذ جميعا فيما روته مريم المجدلية ومن معها من النسوة
عن قيامة المسيح من الأموات فحين « رجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر
وجميع الباقين بهلنا كله وكانت مريم المجدلية / ويونا ومريم أم يعقوب
والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل .

قراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن .

فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها
فحسى متعجباً في نفسه مما كان - لوقا ٢٤ : ٩ - ١٢ :

هكذا كان موقف تلاميذ المسيح من روايات القيامة ، وهم الذين
التصقوا به منذ اختارهم حتى رحل عنهم ، وكان على رأسهم بطرس ،
وفهم يوحنا ، وهم الذين تلقوا تعاليمه ووعوها قبل أن تظهر بينهم مريم
المجدلية ومن بعد ما ظهرت .

« إن أناجيل مرقس ومتى ولوقا تذكر لنا حديثاً جرى بين المسيح وتلاميذه تنبأ فيه بقتله ثم قيامته من الأموات .. فهي تقول :

« ابتداء يعلمهم أن ابن الإنسان (المسيح) ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ويعد ثلاثة أيام يقوم .

وقال القول علانية .

فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينهره فالتفت وأبصر تلاميذه فانهز بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن للناس - مرقس ٨ : ٣١ - ٣٣ ، متى ١٦ : ٢١ - ٢٣ ، لوقا ٩ : ٢٢ »

إن رواية أطوار بين المسيح وتلاميذه على هذه الصورة تعني أن القيامة من الأموات أصبحت أمراً مفروغاً منه ، مثلها كمثل القتل ، ذلك أن الأناجيل تذكر أن المسيح « قال القول علانية »

ولما راجعه فيه بطرس أمام التلاميذ ما كان من المسيح إلا أن أغلظ له القول ولقبه بالشیطان .

فإذا وجدنا بعد ذلك أن روايات القيامة التي جاءت بها مريم المجدلية كانت بالنسبة لبطرس ورفاقه كلاماً « كالهذيان » لا يمكن تصديقه ، فإن النتيجة التي لا مفر من التسليم بها هي :

إن ذلك الحوار الذي قيل أنه جرى بين المسيح وتلاميذه والذي تنبأ فيه بقتله ثم قيامته لم يحدث على الإطلاق ، وأن ما نجده عن ذلك الحوار في الأناجيل لا يعدو أن يكون إضافات ادخلت إليها فيما بعد . إن هذا ما ينطق به إنجيل يوحنا حين يقرر أن فكرة القيامة كانت غريبة تماماً بالنسبة للتلاميذ الذين فوجئوا برواية مريم المجدلية . فحين ذهبت هذه وأخبرت بطرس ويوحنا فإنهما تسابقا إلى القبر « فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فأمن . لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات .

فضى التلميذان (بطرس ويوحنا) أيضا إلى موضعهما - يوحنا

٢٠ : ٨ - ١٠ »

على أن الشيء الذى إتفقت عليه الأناجيل - بجانب إتفاقها على شك التلاميذ فى روايات القيامة هو إتفاقها على خلو ذلك القبر الذى قيل إن جسد المسيح قد دفن فيه - من أى جسد .

*

كذلك شك التلاميذ فيما روته مريم المجدلية وغيرها عن ظهور المسيح .

يقول انجيل مرقس فى خاتمته التى أضيفت إلى ما سطره مرقس فيما بعد ، أنه عند ما ذهبت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أن المسيح قد ظهر لها « فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا »

وكذلك كان الحال مع الإثنى الذين قيل أنه ظهر لهما ، إذ لما « ذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين »

لقد شك التلاميذ حتى آخر لحظة فى روايات الظهور ، وهو الأمر الذى جعل كتبه الأناجيل يقولون ما قالوا عن ظهور المسيح لتلاميذه الأحد عشر مصحوبا بتوبيخهم لعدم إيمانهم « لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام »

*

أما رواية متى التى تتكلم عن ظهور المسيح لتلاميذه فإنها تسجل شكهم فى أن يكون ذلك الذى ظهر لهم هو المسيح الذى عرفوه جيدا وصاحبوه زمانا لم يفارقوه فيه البتة - فهى تقول : « أما الأحد عشر تلميذاً . . لما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا »

*

وكذلك يقول لوقا أن المسيح حين ظهر لتلاميذه فإنهم « جزعوا وخافوا وظنوا إنهم نظروا روحاً .

فقال لهم ما بالكم مضطربين . . وبيننا هم غير مصدقين من الفرح
ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً
من شهد عسل .

★

ويسجل يوحنا شك أحد التلاميذ - ويدعى توما - بصورة تقطع بأن
فكرة القيامة لا علاقة لها البتة برسالة المسيح وتعاليمه ، وإنما هي شيء دخيل
ألصق بها فيما بعد :

« أما توما أحد الإثنى عشر الذى يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء
يسوع : فقال له التلاميذ الآخرون قد رأينا الرب .

فقال لهم إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع اصبعى فى أثر
المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن . »

* *

لقد ربطت المسيحية التقليدية نفسها بالقول بأنها : تقوم على أحداث
تاريخية - مثل قتل المسيح على الصليب وقيامته فى اليوم الثالث - بحيث
لو تعذر اثبات وقوعها ؛ ما كان للمسيحية من برهان يدعّمها ، كما أنه
لو أمكن اثبات عدم حدوثها لانهارت العقيدة التقليدية من أساسها ولم
يبق منها شيء .

وفى هذا يقرر علماءها بأنه قد جرى التوكيد دائماً على « أن المسيحية
تعتبر عقيدة تاريخية بمفهوم قلما تناظرها فيه أى من العقائد الأخرى ، ذلك
أنها إما أن تظل قائمة أو تنهار بناء على حقيقة ما كان من أحداث معينة ،
جرى الزعم بأنها وقعت خلال فترة زمنية محددة تقدر بثمان وأربعين ساعة ،
فى فلسطين منذ ألقى عام تقريباً » (٨)

وهنا يثور السؤال الآتى :

(٨) المرجع رقم (١٥) - ص ٥٨

D.M. Mackinnon (and others): OBJECTIONS TO CHRISTIAN

» من أى الوجوه - إذن - تكون العقيدة المسيحية عرضة للسقوط تاريخياً ؟

إن ما يتوقع هو أن يؤمن المسيحيون بمعتقداتهم ، بمثل تلك الثقة التي تجعلهم مهينين ليس فقط من أجل العيش على هديها ، بل للموت في سبيلها إذا لزم الأمر .

ولكن إذا نظرنا الى السؤال بعين فاحصة ، لوجب علينا الاعتراف بأنه لا يمكن اثبات أن المعتقدات التي تقوم على الأمور التاريخية يمكن اعتبارها حقائق مؤكدة .

وبتعبير أدق ، فإن تلك المعتقدات لا تملك أكثر من درجة عالية جداً من الاحتمال والترجيح ، (٩)

إن ذلك هو الرأى الغالب بين العلماء فيما يتعلق بالمسيحية والتاريخ .

★

أن كل قول لم يبصر في مسيحية المسيح الحققة الفاضلة سوى الصلب والقيامة ، قد قادها إلى مغامرة خطيرة وجعلها تحت رحمة التاريخ . وإذا رجعنا إلى ما يسعفنا به التاريخ في روايات القيامة والظهور لوجدناه في غير صالح ذلك المفهوم الذى لم ير بولس شيئاً غيره في مسيحية المسيح .

يقول أدولف هرنك أن هناك عدداً من النقاط مؤكدة تاريخياً منها » أن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته - وأنه لا يمكن التحقق بيقين من تواتر مرات الظهور وعددها - وأن القبر الذى كان خالياً في اليوم الثالث لا يمكن إعتباره حقيقة مؤكدة تاريخياً ، بأى حال من الأحوال ، (١٠) .

(٩) المرجع ١٥ - ص ٦٤ ، ٦٥

(١٠) المرجع ١٣ - الجزء الأول - ص ٨٥

ناهيك بروايات الصلب وما فيها من تناقض واضطراب أقل ما يدعو إليه هو تنحيها جانباً وعدم الاعتماد عليها في معرفة حقيقة ما حدث للمسيح. ومجمل القول في هذا المقام أن تلاميذ المسيح شكوا فيما قاله الرواة - وأولهم مريم المجدلية - عن قيامة المسيح وظهوره ، وأكثر من هذا فإن تلاميذ المسيح شكوا في ذلك الذي قيل أنه ظهر لهم باعتباره المسيح .

* * *

أين ذهب المسيح

لقد اختلفت المصادر المسيحية في المكان الذي ذهب إليه المسيح بعد فترة الصلب ، كما اختلفوا في توقيت ذهابه إلى ذلك المكان الذي قال به كل فريق .

فقد قيلت أقوال منها أن المسيح صعد إلى السماء بعد قيامته من الأموات كما قيل أنه نزل الجحيم !

* * *

هل صعد المسيح إلى السماء ؟

يذكر انجيل لوقا أنه بينما كان المسيح على الصليب وسط مذنبين علقا معه أن « كان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه .. فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ..

فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس

٢٣ : ٣٩ - ٤٣ ،

ويذكر انجيل يوحنا أنه عند ما ذهبت مريم المجدلية بعد ثلاثة أيام من الصلب لزيارة القبر في فجر أول الأسبوع ثم وجدته خالياً من أى جسد فإنها وقفت تبكى وهناك ظهر لها المسيح وقال لها « لا تلمسيني لأني لم أصدع بعد إلى أبي . ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم أني أصدع إلى أبي وأبيكم وإلى والهي وإلهكم - ٢٠ : ١٧ ،

فما سبق يتضح أنه حسب رواية لوقا فقد حدث الصعود إلى السماء في يوم الصلب ، بينما هو حسب رواية يوحنا قد حدث متأخراً عن ذلك بعدد من الأيام .

على أن لوقا أغفل ما قاله على لسان المسيح للص المصلوب : « أنت اليوم تكون معي في الفردوس »

وعاد ليختم انجيله بقوله أنه بعد أن قام وظهر لتلاميذه فقد « انفرد عنهم وأصعد إلى السماء - ٢٤ : ٥١ ،

ولقد جاء في سفر أعمال الرسل الذي سطره لوقا أن الصعود حدث بعد « أربعين يوماً - ١ : ٣ ،

*

ويقول أدولف هرنك : « إن الاعتقاد في أن يسوع صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً من القيامة قد أخذ يشق طريقه تدريجياً ضد المعتقدات القديمة ، التي كانت تقول بأن القيامة والصعود حدثاً في نفس الوقت ، وكذلك ضد أفكار أخرى كانت تؤمن بوجود فاصل زمني أكبر بين الحادتين ..

على أن بولس لا يعلم شيئاً عن الصعود ، كذلك لم يذكره كل من كليمنت واجناتايوس وهرمس وبوليكارب .

وغالبا ما أتحدت صيغة الكلام عن القيامة والجلوس عن يمين الله (كما في أفسس ١ : ٢٠ ، وأعمال الرسل ٢ : ٣٢) :

وحسبما جاء في انجيل لوقا ٢٤ : ٥١ ، ورسالة برنابا ١٥ : ٩ فإن الصعود إلى السماء قد حدث في نفس يوم القيامة (ومن المحتمل أن يكون ذلك ما جاء في يوحنا ٢٠ : ١٧) ..

إن القول بأن الصعود حدث بعد ٤٠ يوماً من القيامة قد ذكر لأول مرة في سفر أعمال الرسل « (١١)

وقد قالت بعد الطوائف والمصادر المسيحية إن الصعود إلى السماء حدث بعد ١٨ شهراً من القيامة ، وقالت أخرى : حدث بعد ١١ عاماً (١٢) .

*

هل نزل المسيح إلى الجحيم ؟ !

تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح اجتمعوا معا بعد رحيله ووضعوا قانونا للإيمان المسيحي يقرأ كل منهم فقرة من فقراته الإثني عشر ويعرف هذا القانون باسم « قانون إيمان الرسل » الذي جاء في إحدى صيغته المعروفة :

« بطرس -- ١ : أومن بالله الآب القادر

يوحنا -- ٢ : صانع السماء والأرض

يعقوب -- ٣ : ويسوع المسيح ابنه الوحيد ، ربنا

أندراوس -- ٤ : الذي حبل به من الروح القدس ، وولد من العذراء مريم .

فيليبس -- ٥ : وتألّم في عهد بيلاطس البنطي وصلب ومات ودفن .

توما -- ٦ : ونزل إلى الجحيم ، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات .

برثولماوس -- ٧ : وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب .

القادر (١٣)

وقد اختلفت الآراء في حقيقة هذا القانون وقامت مطاعن كثيرة ضده ، ورغم ذلك فهو يوجد بهذه الصيغة في « كتاب الصلوات للكنيسة المتحدة في إنجلترا وإيرلندا » عدا تعديل طفيف يحذف أسماء الرسل ويضم الفقرتين الأولى والثانية معا .

(١٢) المرجع ١٣ - ص ٢٠٤

(١٣) المرجع ٢ - ص ٩١ ، ٩٢

فمن ذلك القانون المزعوم نجد المسيح قد نزل الى الجحيم قبل قيامته من الأموات !

*

وقد جاء في الإنجيل نيقوديموس أن آدم و ابراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم .

وهم : أخنوخ وإيليا واللص الذي قيل أنه صلب مع المسيح وكان كريما معه .

ويقول هذا الإنجيل في نزول المسيح إلى الجحيم : « جاء ملك المجد (المسيح) ووطأ الموت بقدميه وأمسك بأمر الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده - ١٧ : ١٣ ، (١٤)

ولاشك أنه يوجد أساس قوى لعقيدة نزول المسيح إلى الجحيم - التي كان يؤكد عليها بعض كبار علماء المسيحية القدامى مثل جيروم - (١٥) حيث تشير إلى ذلك كتابات بولس ويوحنا .

فهذا بولس يتكلم عن هزيمة الموت والهاوية ، ويقول :

« أنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير .. فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة .. اين شوكتك يا موت . أين غلبتك يا هاوية . : ولكن شكر الله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح - !
كورنثوس ١٥ : ٥٢ - ٥٧ »

وغنى عن البيان أن الموت حالة خلقها الله تعرض لها المخلوقات الحية لتنتقل من حياة إلى موت حتى إذا كانت القيامة وعاد الموتى إلى الحياة الآخرة ، فآنذاك تبطل حالة الموت .

ليس الموت إذا عدوا يقهر أو شيطاننا يغلب فيدحر ، إنما هو حالة تغشى مخلوقات وفق قوانين الله وسننه .

*

أما يوحنا كاتب الإنجيل فإنه يجعل الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل المسيح لصوصا وقطاع طرق - الجحيم أولى بهم - وذلك في قوله :
« قال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم انى أنا باب الخراف ؛
جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص
أنا هو الباب . ان دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويمجد
مرعى - ١٠ : ٧ - ٩ . »

كيف هذا والمسيح يقول عن يوحنا المعمدان :
« ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياء ؟ نعم أقول لكم وأفضلى من نبي - هذا
هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيم طريقك
قدامك ، - لوقا ٧ - ٢٦ - ٢٧ . »

بل لقد ضرب المسيح المثل بزهد يوحنا وتعفقه عن مطالب الحياة
الجسدية اذ جافى الطعام والشراب الا قليلا ، على حين كان المسيح أكلوا
شرب نمر - وذلك فى قوله عن سخرية اليهود من كل نبي مستقيم ،
« جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب . فيقولون فيه شيطان .
جاء ابن الإنسان (المسيح) يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكل
شرب نمر محب للعشارين والخطاة - متى ١١ : ١٨ - ١٩ . »

*

وكيف يكون الأنبياء فى الجحيم وقد بين لوقا على لسان المسيح أن
لموتى من الصالحين ينتقلون فورا الى النعيم ، بينما يتلظى الأشقياء فى
نار الجحيم .

فذلك الغنى الذى مات وذهب الى الهاوية ليتعذب رفع عينيه « وهو
فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر (المسكين) فى حضنه . فنادى

وقال يا أبى ابراهيم ارحمنى وارسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهب .

فقال ابراهيم يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلبا والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ١٦ : ٢٣ - ٢٥ «

لاشك أن القول بنزول المسيح الى الجحيم ولقائه بالأنبياء السابقين انما هو زيغ وضلال ، ان دل على شىء فإنما يدل على مقدره شيطانية استطاع بها بعض الأشرار من بنى البشر أن يجيدوا سبك الأساطير الدينية فى قوالب تخدع البسطاء من الناس .

وما قصة نزول المسيح الى الجحيم التى استقر فيها الأنبياء ، الا مرادفا لقصتى موت بيلاطس التى انتهت احدهما بجعله من الشهداء والقديسين ، بينما انتهت الأخرى بجعله من أصحاب الجحيم .

وبعد : إن خلاصة ما تنطق به روايات قيامة المسيح ، وظهوره ونزوله إلى الجحيم ، لا يعدو أن يكون حديث شك ، شاع فى جو مريب .

جوهر الحقيقة

والآن . . .

لقد جاء هذا الكتاب إلى نهايته بعد أن أحطنا بمصادر العقائد المسيحية وكيفية تكوينها حتى صارت كتباً مقدسة ، ثم قمنا بجولة بين طيات الأناجيل باعتبارها أهم تلك المصادر - عرفنا منها خطوطها العامة ومحتوياتها ومشاكلها

ومن خلال ذلك كله كانت حقيقة المسيح تزداد لنا وضوحاً وتزداد فيها يقينا ، بعد أن تبدد ما لحق بقصته من غيوم الظنون والأوهام .

أما الآن فإنا نستطيع تبيان جوهر العقيدة التي دعا إليها المسيح ، بعد أن نزيح جانباً ما علق بها من دخل لم يعد ممكناً المراء فيه ، وخاصة بعدما شهد به علماء المسيحية والمدافعون عنها ، وهم الذين ترتفع شهاداتهم فوق مستوى الشبهات .

*

ليس جديداً أن يقال : كان المسيح سهلاً حلوا المعشر سلس الطبع يقول للناس « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم . احملا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع الفؤاد فتجدوا راحة لنفوسكم »

وليس جديداً أن يقال أن المسيح كان يمتت التكلف والمتكلفين ، ويحمل في عنف على أهل السفسطة والتعقيد ، وخاصة ذلك الصنف المتحذلق من رجال الكهنوت ، الذين جعلوا صناعتهم لى الكلام ليا ، الأمر الذي يلبس على الناس دينهم ويسير بهم في متاهات من الهواجس والظنون ، بدعوى أن ذلك يقودهم إلى ملكوت السموات - ولكن هيهات .

لقد كان المسيح يقول لهؤلاء وأمثالهم : « ويل لكم . . لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون »

سبى المسيح :

لقد وضعت فى موعظة الجبل الأساس الذى يبنى عليه المؤمنون عقيدتهم فقلت فى بساطه ووضوح : « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحدة من الناموس حتى يكون الكل - متى ٥ : ١٧ - ١٧ »

ولقد كانت أول الوصايا التى تلقاها موسى فى الناموس - ولا تزال - هى قول الله : « أنا الرب الهك . . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لاتصنع لك تماثلا منحوتا ولا صورة ما . . لاتسجد لمن ولا تعبدن . لأنى أنا الرب الهك اله غيور - خروج ٢٠ : ١ - ٦ » .

نعم هو اله واحد غيور ، تنزهه عن الصور والتماثيل والأبعاد ، وكل صورة لاله او تماثل يسجد له ، لا بد أن يطرح وعابده فى النار .

*

وفى أول يوم بدأت فيه دعوتك وحملت الى القوم رسالتك ، دفع إليك سفر أشعياء النبي . ولما فتحته وجدت « الموضع الذى كان مكتوبا فيه . روح الرب على لأنه مسحى لأبشر المساكين أرسلنى لأشقى المنكسرى القلوب » ثم طويت السفر وسلمته الى الخادم وقلت « لهم أنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم - لوقا ٤ : ١٧ ٢١ » .

لقد كان سفر أشعياء أثيرا عندك وعند تلاميذك الحقيقيين الذى ما كان لهم أن يعلموا سوى عقيدة التوحيد الخالص الذى لاشبهة فيه ، كما علمتهم ذلك وكما علم أشعياء من قبل - ولا يزال يعلم الى اليوم - مانطق به وحي الله إليه .

« اجتمعوا يا كل الأمم معاً . . لكى تعرفوا وتؤمنوا بي . . قبلى لم يصور اله ، وبعدى لا يكون

أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص - ٤٣ : ٩ - ١١ » .

« أنا الأول وأنا الآخر ولا اله غيرى . .

أنا الرب وليس آخر ، لا اله سوى . .

أنا الرب وليس آخر ، مصور النور وخالق الظلمة ، صانع السلام
وخالق الشر . . .

أنا الرب ولا اله غيري ، اله بار ومخلص : ليس سواي - ٤٤ :
٦ ، ٤٥ : ٥ - ٢١ ،

لقد تردى أكثر الناس على مر القرون - في مناهات الكفر والوثنية
فصنعوا لأنفسهم آلهة حملت أسماء شتى ، ثم عبدوها وسجدوا لها -
ولا يزالون يتردون في تلك المستنقعات إلى الآن .

فلقد عبد الشيطان ، وعبد أبطال الأساطير ، كما عبد الصالح والطالح
من بني آدم .

نعم : لقد عبد الذين لاحول لهم ولا قوة إلا بالله ، وعبد الذين عاشوا
على الأرض فكانوا يأكلون ويشربون ويتبولون و . . . - وكانوا
يتألمون فيحزنون ويحجرون ، وكانوا يفرحون ويشتهون وأخيرا كانوا
يموتون ويدفنون في التراب .

وتعالى الله علوا كبيرا أن يكون له شبيه أو مثيل مهما كان ، ومهما اخترعت
تلك الطوائف من الناس لأنفسها من زخرف القول وزيف الحديث ما تبرر
به عقائدها الوثنية .

إلى هؤلاء وهؤلاء يقول الله على لسان أشعياء :

« بمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به . . .

بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشا به . . .

لأنني أنا الله وليس آخر ، إله وليس مثلي - اشعياء ٤٠ : ١٨ ،

٤٦ : ٥ - ٩ ،

ومن البديهيات التي يسلم بها كل عاقل ، دون حاجة إلى برهان أن
الإله الواحد الحق لا يكل ولا يعيا ، فهو حي لا يموت :

« اله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا - أشعياء

٤٠ : ٢٨ »

نعم : من بكل ويعيا ويموت محال أن يكون اله :

هل تحتاج هذه الحقيقة الى برهان ؟ !!

وعلى كل فلنقف هنا قليلا لتبين موقفاً جديراً بالتأمل والتعليق .

لقد رأينا أن الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس تقول في الفقرة التي نقلناها من سفر أشعياء (٤٠ : ٢٨) مانعيد كتابة نصه مجزءا على هذه الصورة :

« اله الدهر - الرب - خالق أطراف الارض - لا يكل - ولا يعيا »

على حين تقول ترجمته الانجليزية في النسخة المعتمدة ما نكتب نصه مجزءاً أيضاً ليناظر الترجمة العربية كالاتي :

«the everlasting God — the Lord — the Creator of the earth —
faineth not — neither is weary»

وهنا نلاحظ اختلاف ترجمة مطلع هذه الفقرة في الترجمتين العربية والانجليزية

إذ هو في الأولى : «اله الدهر» - بينما هو في الثانية : «the everlasting God»

وهذه الاخيرة تعني : الدائم ، أو الابدى ، أو المعمر الى الابد ، أو السرمدى . وفي جميع الحالات فانها تعني الذي لا يموت ابداً - وهو شيء مختلف تماما عن « اله الدهر » الذي يعنى الشيطان ، ذلك الذي « أعمى أذهان غير المؤمنين » كما يقول بولس في ٢ كورنثوس ٤ : ٤ . ولما كانت المسيحية التقليدية نقول بأن الاله صلب ومات ، فان هذا يكشف لنا السرفى الانحراف بهذه الترجمة العربية الحديثة عن معناها الأصلي .

عجبا ، حقا وأى عجب ! !

سيدي المسيح :

لقد حدث مرة أن تقدم إليك من خاطبك بقوله : «أيها المعلم الصالح :
أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ » .

فا كان منك - قبل أن تجيبه - الا أن أصلحت له صيغة سؤاله ،
فرددت بذلك الصلاح الى الله الواحد ، وشهدت حقا أن « لله المثل الأعلى

في السموات والأرض ، - وذلك حين بادرته بقولك : لماذا تدعوني صالحاً ؟

ليس أحد صالحاً الا واحد وهو الله .

. ثم اجبته .. ياسيدى - بتذكيرك إياه بما جاء في ناموس موسى من وصايا ، فقلت له .

« إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ للوصايا . لا تقتل لا تزني ، لا تسرق لا تشهد بالزور : أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك - متى ١٩ : ١٦ - ١٩ . »

وحين حاورك - ياسيدى - واحد من الكهنوت وسألك « أية وصية هي أول الكل ، أجبته في ثبات ووضوح بقولك : « أن أول كل الوصايا هي أسمع يا اسرائيل :

الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن فكرك ومن قدرتك .

هذه هي الوصية الأولى .

وثانية مثلها هي : تحب قريبك كنفسك .

ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ،

وعندئذ لم يملك المحاور الا أن يصدق على قولك الحق فقال «

« جيداً يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه . »

ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل القدرة ومحبة القريب

كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبايح .

ولأن ذلك المحاور نطق صدقاً أيضاً ، فقد صدقت على كلامه وقلت

له ولكل المؤمنين من بعده :

« لست بعيداً عن ملكوت الله - رقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤ . »

لقد قلت لذلك السائل أن الوصية الأولى والعظمى هي أن : « الرب الهنا

رب واحد ، فهو الله الواحد : ربك ورب ذلك الاسرائيلي ورب الخلق أجمعين ،

لقد كان هذا هو المدخل الوحيد الى ملكوت السموات الذى جئت تبشر به وكانت تلك هى الرسالة الأولى التى تلقاها كل رسول من الله إذ كان يقال له :

« ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون »

*

ولقد قلت - ياسيدى - لمن حولك ، حتى لا تزيع قلوبهم بعد رحيلك الذى حدثهم عنه ، مامعناه : « ليركنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب لأن (الآب) أعظم منى - يوحنا ١٤ : ٢٨ . »

وقلت لهم : « الحق الحق أقول لكم : إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله - يوحنا ١٣ : ١٦ . »

وقلت لهم : تعلیمی ليس لى بل للذى أرسلنى .

إن شاء أحد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم - يوحنا ٧ : ١٦ - ١٨ . »

ولقد عرفتهم : أن لله مشيئته مطلقة ، ولك مشيئته أخرى مختلفة ، فقلت : « كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى - يوحنا ٥ - ٣٠ . »

ولقد عرفتهم « أن الله قد أحاط بكل شىء علما » وأن له - سبحانه - علم لا يحده ، على حين خفيت عليك أنباء يوم القيامة الذى جئت تنذر القوم أهواله ، فكان القول :

« أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ، ولا الملائكة الذين فى السماء إلا الآب مرقس ١٣ : ٣٢ . »

وحين أكملت رسالتك ولم يبق لك على وجه الأرض سوى ساعات معدودة ، رفعت عينيك الى السماء وشهدت الحق الابدى والتوحيد الخالص الذى لا شبهة فيه فقلت :

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك
ويسوع المسيح الذي أرسلته - يوحنا ١٧ : ٣ »

وبلغه أخرى فقد جعلت مجمل القول فيك وفي رسالتك هو :

« رأس الحقيقة : لا إله إلا الله - المسيح رسول الله »

وأخيرا - وليس آخرأ ياسيدى - فلقد علمت الناس جميعاً ماذا يدعونك
فقلت بحق لمن حولك :

« أنتم تدعوننى معلماً وسيدا ، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك - يوحنا
١٣ : ١٣ »

فكل من دعاك معلمه وسيده فقد نجا ، ومن قال بأكثر من ذلك فقد
هلك ، حتى ولو كان ممن تجرى على يديه المعجزات والأعاجيب . فلقد
سبق أن تنبأت عن مثل ذلك الصنف من المغالين فقلت فى موعظة الجليل :
« ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل
الذى يفعل ارادة الذى فى السموات » .

كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب اليس باسمك تنبينا وباسمك
أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة
فحينئذ أصرح لهم لى لا أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الأثم -
متى ٧ : ٢١ - ٢٣ »

لقد قررت - ياسيدى - فى هذا القول بكل وضوح أنه سيأتى يوم القيامة
مسيحيون الصمتوا أنفسهم باسمك - صنعوا معجزات وتدعو الناس ولكنك تبتأ منهم .
« كذلك يريهم الله أعمالهم ، حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار »

*

لقد علمت الناس - ياسيدى - أن الذين يرثون ملكوت السموات
هم أولئك الأبرار الذين آمنوا بما علمته لذلك الاسرائيلى الذى سألك عن
اول الوصايا اذ قلت له : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد »
ثم هم الذين اطعموا الجائع ، وسقوا العطشان وآووا الغريب ، وكسوا
العريان ، وعادوا المريض ، وزاروا المحبوس (متى ٢٨ : ٣٥ - ٤٠) .

وهكذا علم تلميذك يعقوب فقال : « انت تؤمن أن الله واحد . حسنا
تفعل والشياطين يؤمنون ويقشعرون » .

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل أن الايمان بدون أعمال
ميت — ٢ : ١٩ — ٢٠ . إن « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي
هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقهم وحفظ الانسان نفسه بلا دنس
من العالم — ١ : ٢٧ »

نعم — ياسيدى : إن العقيدة الحقة التى لامراء فى صدقها هي : ايمان
بالله الواحد ثم عمل صالح .

« ومن قال بغير ذلك » فانما حسابه عند ربه ، إنه لا يفلح الكافرون »

* *

سيدى المسيح :

لقد اختلفوا فيك ، وفرقوا دينهم وكانوا شيعا ، فبعد أن جثهم
بالتوحيد الخالص ديننا قويا ، دين الحق اذا به يتعرض لغواشى من التعدد
والتثليث : وفى هذا تقول لنا دائرة المعارف الأمريكية :

« لقد بدأت عقيدة التوحيد — كحركة لاهوتية — بداية مبكرة جدا فى
التاريخ وفى حقيقة الأمر فانها نسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين »
لقد اشتقت المسيحية من اليهودية ، واليهودية صارمة فى عقيدة التوحيد .
إن الطريق الذى سار من اورشليم (مجمع تلاميذ المسيحيين الأوائل) الى
نيقية (حيث أقرت عقيدة التثليث عام ٣٢٥) كان من من النادر القول بأنه
كان طريقا مستقيما .

ان عقيدة التثليث التى أقرت فى القرن الرابع الميلادى لم تعكس
بدقة التعليم المسيحى الأول ، فيما يختص بطبيعة الله . لقد كانت على
العكس من ذلك — انحرافا عن هذا التعليم .

ولهذا فأنها تطورت ضد التوحيد الخالص ، أو على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد الثلاثية ، كما أن انتصارها لم يكن كاملاً (١)

*

سيدى المسيح :

على الرغم مما كان - وهو كثير وخطير - فلقد بدأ يظهر فى الأفق ما ينبىء بحتمية العودة الى تعاليمك الأولى التى قلت فيها للقوم: « اعبدوا الله ربى وربكم ، أو بنص الانجيل : الرب الهنا رب واحد . وبنص الانجيل كذلك قلت : « الهى والهكم » .

وختاماً لك - ياسيدى - منى الكثير والكثير من التعظيم والطيب من التحيات والتبجيل .

والى لقاء يرتجى فى ظل من وسعت رحمته كل شىء
لقاء « عسى أن يكون قريباً »

قائمة المراجع الرئيسية

١ - الكتاب المقدس (التراجع العربية والإنجليزية)

*

- 2 — THE LOST BOOKS OF THE BIBLE, The World Publishing Company, Cleveland and New York, 1926.
- 3 — THE PSALMS; A New Translation, Fontana Books, London and Glasgow, 1963.
- 4 — F.C. Grant : THE GOSPELS; Their Origin and Their Growth, Faber and Faber, 24 Russel Square, London, 1957.
- 5 — Günter Lanczkowski; SACRED WRITINGS, Fontana Books, 1961.
- 6 — D.E. Nineham : SAINT MARK, Penguin Books, Harmondsworth, Middlesex, England, 1963.
- 7 — J.C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin Books, 1963.
- 8 — G.B. Caird : SAINT LUKE, Penguin Books, 1963.
- 9 — C.H. Dodd : ACCORDING TO THE SCRIPTURES, Fontana Books, 1965.
- 10 — C.H. Dodd : THE PARABLES OF THE KINGDOM, Fontana Books, 1964.
- 11 — Timothy Ware : THE ORTHODOX CHURCH, Penguin Books, 1964.
- 12 — Frank Morison : WHO MOVED THE STONE ?, Faber and Faber, London.
- 13 — Adolf Harnack : HISTORY OF DOGMA, Constable and Company, 10 Orange Street, London, 1961.
- 14 — C.F. Potter : THE LOST YEARS OF JESUS REVEALED, Fawcett Publications, New York, 1963.
- 15 — D.M. Mackinnon (and others) : OBJECTIONS TO CHRISTIAN BELIEF, Constable, London, 1963.
- 16 — ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959.
- 17 — ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960
- 18 — John Marsh : SAINT JOHN, Penguin Books, 1976.

* * *

الفهرس

صفحة

٣

مقدمة

٥

كلمة عن المراجع

الباب الأول : مصادر العقائد المسيحية

١٣

الفصل الأول : العهد الجديد

مقدمة -- الصورة العامة للعهد الجديد : العهد الجديد ملحق غير متجانس للعهد القديم -- نظرة الطوائف المسيحية للعهد الجديد -- محتويات العهد الجديد -- اللغة الأصلية التي كتب بها العهد الجديد -- عوامل هامة أثرت في إيجاد العهد الجديد .

١٣-٢١

متى كتبت الأسفار والرسائل المسيحية -- قانونية العهد الجديد -- الأناجيل والكتب المسيحية المرفوضة -- نسخ وطبع العهد الجديد .

٢٩-٣٨

٤٣

الفصل الثاني : الأناجيل

ماهو الإنجيل -- المصادر التي استقت منها الأناجيل -- أسباب تأخير كتابة الأناجيل .

٤٣-٤٧

الأناجيل الأربعة : إنجيل مرقس -- إنجيل متى -- إنجيل لوقا -- إنجيل يوحنا .

٥١-٥٢

الباب الثاني : مشاكل رئيسية في الأناجيل

٧٧

الفصل الثالث : الإختلاف الكثير

مقدمة -- (١) نسب المسيح : المسيح ينسب ليوسف خطيب مريم .
إختلاف متى ولوقا في نسب المسيح -- (٢) أسماء التلاميذ -- (٣) روايات

صفحة

مختلفة - (٤) روايات متنافرة - (٥) تحريف ألقاب المسيح والكلمات
الحاكمة - (٦) تنبؤات لم تتحقق .
١٠٢-٧٧

١٠٥ الفصل الرابع : خطأ الاستهشاد بالعهد القديم

رسالة المسيح وشهادات العهد القديم - خطأ فهم أسفار العهد القديم -
شهادات العهد القديم - من شهادات إنجيل متى - من شهادات إنجيل يوحنا .
١٢٤-١١٠

الباب الثالث : قضية الصلب

١٢٧ الفصل الخامس : روايات الأناجيل عن أحداث الصلب

مقدمة - (١) مقدمة الأحداث : مسح جسد المسيح بالطيب . خيانة
يهوذا - (٢) العشاء الأخير : التحضير للعشاء الأخير . توقيت العشاء الأخير
وأثره على قضية الصلب . العشاء الأخير والتلميذ الخائن . شك التلاميذ -
(٣) الليلة الأخيرة : آلام المسيح . أين شك التلاميذ .
١٤٧-١٢٨

(٤) المحاكمة : المحاكمة الأولى أمام مجمع اليهود . قصة إنكار بطرس
المحاكمة الثانية أمام بيلاطس . المحاكمة الثالثة أمام هيردوس - سخرية الحنود
١٦٣-١٤٩

(٥) الصلب : حامل الصليب . شراب المصلوب . علة المصلوب :
اللصان والمصلوب . وقت الصلب . صلاة المصلوب . صرخة اليأس على
الصليب . موت المصلوب : في أعقاب الصلب : شهود الصلب -
١٧٦-١٦٦ (٦) الدفن .

صفحة

- ١٨١ الفصل السادس : نهاية يهوذا
- ١٨٤-١٨١ كيف هلك يهوذا - وكيف هلك بيلاطس
- ١٨٩ الفصل السابع : المسيح ومحاولات قتله
- فتنة الصلب - بولس وفكرة قتل المسيح - تنبؤات المسيح بالآلامه -
المسيح يرفض كل محاولة لقتله
٢٠٢-١٨٩
- ٢٠٧ الفصل الثامن : تنبؤات المسيح بنجاته من القتل
- ٢١١ الفصل التاسع : تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل
- ٢١٢-٢١١ مقدمة - مدخل لدراسة تنبؤات المزامير
- المزمور : ٩-١٦-٢٠-٢١-٢٢-٣١-٣٤،٣٥،٤١-١٠٩-٣٧-
- ٦٩-٩١-١١٨ - الخلاصة من المزامير
٢٦٦-٢١٥
- الفصل العاشر : اختلاف المسيحيين الأوائل في صلب المسيح
- ٢٧١
- مقدمة - اختلاف المسيحيين الأوائل في حادث الصلب - اختلاف
المسيحيين الأوائل في نظرية الصلب - الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب -
ما ترتب على نظرية بولس في الصلب - نتائج بحث قضية الصلب
٢٨٠-٢٧١

الباب الرابع : قضية القيامة والظهور

الفصل الحادى عشر : القيامة

- مقدمة - زيارة النساء للقبر - اختلاف الأناجيل في روايات الزيارة
٢٩٩-٢٨٥

٢٩٣

الباب الثاني عشر : الظهور

روايات الأناجيل — ملاحظات على روايات الأناجيل ٢٩٨-٢٩٣

شك التلاميذ في روايات القيامة والظهور — أين ذهب المسيح : هل

صعد المسيح إلى السماء؟ هل نزل المسيح إلى الجحيم؟! ٣٠٦-٢٩٩

٣١١

جوهر الحقيقة

٣٢١

قائمة المراجع الرئيسية

كتب للمؤلف

- * فلسطين بين الحقائق والأباطيل
دراسة من العقيدة والتاريخ في : الشعب والعهد الإلهي والأرض
٣٤٠ صفحة : الناشر : مكتبة وهبه
- * اسرائيل .. حرفت الأناجيل
٩٦ صفحة : الناشر : مكتبة وهبه
- * العلوم الذرية الحديثة
في التراث الإسلامي
٢٣٢ صفحة : الناشر : مكتبة وهبه

* *

- * سلسلة دراسة في الأديان :
- الجزء الأول : الوحي والملائكة
في اليهودية والمسيحية والإسلام
تحت الطبع
- الجزء الثاني : النبوة والأنبياء
في اليهودية والمسيحية والإسلام
تحت الطبع

* * *

هذا الكتاب

- « ان تعاليم يسوع وعقيدته وايمانه السحى لم تكن أسدا عقيدة التثليث التى استحدثت فيما بعد .. لقد بدأت عقيدة التوحيد مبكرة جدا .. وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بعشرات السنين » .
- هذا ما قرره علماء المسيحية واساتذة العقيدة فى جامعات الغرب .. وهم أيضا يقولون : « ليس لدينا أية معرفة بالكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الاناجيل الأربعة ولا بالمكان الذى تقرر فيه ذلك » .
- وهذا الكتاب « المسيح فى مصادر العقائد المسيحية » الذى استغرق البحث فيه أكثر من ٢٠ عاما يعرض : « مصادر العقائد المسيحية » والصورة العامة للعهد الجديد ومحتوياته والعوامل التى أثرت فى ايجاده وقصة الاناجيل .. ثم يلقى الضوء على « سائل رئيسية فى الاناجيل » والاختلاف الذى شاب معظم آياتها حتى فى أمور مثل أسماء التلاميذ ونسب المسيح .. كما يبين خطأ الاستشهاد بالعهد القديم .
- وفى « قضية الصلب » يعرض الروايات المختلفة للاناجيل عن أحداثها .. وعن هلاك يهوذا .. ثم « تنبؤات المسيح - والمزامير - بنجاته من القتل » وما حدث من « اختلاف المسيحيين الأوائل فى صلب المسيح » .
- ثم يتبع ذلك ببحث « قضية القيامة والظهور » وكيف اختلفت فيها الروايات وشك فيها التلاميذ .. وأنها كانت أحاديث بدأتها بعض النساء ..
- وأخيرا يصل الى « جوهر الحقيقة » فى مصادر العقائد المسيحية .. وما كان من أمر المسيح ودعوته الحقبة .. كل هذا مدعما بالنصوص والأسانيد المنقولة من أقوال الثقة من علماء المسيحية .
- ويسر « مكتبة وهبة » أن تقدم هذا الكتاب ليضيف جديدا الى المكتبة العربية فى مجال حيوى وخطير يظهر حقيقة « المسيح فى مصادر العقائد المسيحية » .